

أنور الجندى

المؤامرة على الإسلام

د. الأعظام

معاملات تاريخ الاسلام

المؤلف على الأسلان

أنور الجندى

دار العنكبوت

آفاق البحث

صفحة

| | | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|---|
| ١٩٢ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | (٢) الاسرائيليات الجديدة |
| ١٩٧ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | (٣) كيف حطم الاسلام قيد الاغريقية |
| ٢٠٦ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | (٤) الفلسفة المكتوبة باللغة العربية |
| ٢١٤ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | (٥) تجديد التفسير الباطني للفرآن |
| ٢١٨ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | (٦) صاحب الرزق والملائج |
| ٢٢٤ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | (٧) المعمريون |
| ٢٢٨ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | (٨) الوحي والنبوة |
| ٢٣٣ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | (٩) المؤامرة اليهودية الفضائية على أصلية الاسلام |
| ٢٣٩ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | باب السابع : الفرق الضالة |
| ٢٤١ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | الفاديانية والبهائية |
| ٢٦١ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | باب الثامن : الأصلة الإسلامية في مواجهة المؤامرة على الإسلام |
| ٢٦٣ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | من الفرق إلى السنة الجامدة |
| ٢٧١ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | من التبعية إلى الأصلية |

مدخل إلى البحث

لأنه من أخطر التحديات التي تواجه الإسلام في مصر الحديث . ابتعاث الفكر الوثني والغنوسي القديم الذي كان معروفاً قبل ظهور الإسلام في البيات الشرقيه والغربيه على السواء والذى تشكل في صورة جامعه من بعد فالأفلاغطونية الحديثة وهو الفكر البشري الذى ظهر باسم الغنوسيه في الشرق وباسم الفلسفة اليونانيه في الغرب .

هذا الفكر الذى يجمع بين الوثنية والإلحاد والتعدد والإشراق والمادية والذي عرفه العرب والملعون بعد ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية وظهر أثره في الفلسفة وعلم الكلام والتصوف والدعوات الباطنية المتتجددة من الجهوسيه وغيرها . ولقد كان هذا الفكر البشري الفلسفى القائم على نظريتين أساسين :

- ١ - نظرية المقل والحس في الفكر اليوناني الطيقى .
- ٢ - نظرية الحدس والإشراق في الفكر الغنوسي الشرقي .

وقد كانت بعد ترجمة الفلسفات معركة ضارية في مواجهة النظريات والأفكار والشهادات التي طرحتها الفلسفات الرايدة في أفق الفكر الإسلامي آنذاك بجزءه الفلسفه والاعتزال والتصوف الفلسفى والفكر الباطنى وتألفت الأسئلة الإسلامية التي تتمثل في مفهوم أهل السنة والجماعة . هذا المفهوم الذي استطاع استيعاب الإيجابيات المستمدۃ من مفهوم التوحيد في مختلف

هذه المدعوات، كما استطاع نفي وإسقاط السليميات التي تتفاوت مع جوهر الإسلام وعقيدته الصحيحة . وبذلك أخذ الفكر الإسلامي من جديد طابعه الأصيل المستمد من جوهره الأول ومنابعه الأساسية .

وذلك بعد أن امتدت هذه المعركة قرنين من الزمان وشارك في تصحيح مفاهيمها وتحريرها من الزييف والشبهات والأخطاء والتعدديات عدد كبير من أعلام الفكر الإسلامي في مقدمتهم : الأئمة الشافعى وأحمد بن حنبل والأشمرى وأبن حزم والغزالى وأبن تيمية وأبن القيم ، هذه التصحيحية يمكن أن نطلق عليها مؤامرة «احتواه الإسلام » .

واليوم تحاول حركة التغريب والغزو الثقافى إلزارة هذه المعركة على نحو أشد عنفاً وفتح باب الفتنة من جديد في محاولة لطرح هذه الشبهات والشحوم على سبق النظر فيها ودحضها والرد عليها مرة أخرى في أفق الفكر الإسلامي وبأسلوب عصرى وفي أغلفة من الفكر الغربى الحديث وفي إطار من أساليب التفسير المادى للتاريخ وفي تصور خادع يستلحلقات ونقطاً ومواقيت من بين أحشاء هذه المعركة في محاولة لتصوير هذه الحلقات على أنها صور مستقلة يمكن عرضها والنظر فيها بذاتها بصرف النظر عن عصرها وأربيلياتها بالمشكلة كالمى تعدد جوانبها وتشعبت فروعها.

ومن ذلك مثلاً ما يثار اليوم حول الإعتزال، ومحاوله تصويره على أنه منهج إسلامي للتفكير يمكن انتطاعه عن قضية احترام الإسلام بكل أبعادها، وهو رسمه على أنه منهج هغلاني يتفق مع روح العصر ويصلح لأن يكون منطلقاً لنشر المضاربة الحديثة وأوضاع المجتمعات البشرية اليوم.

و الواقع أن هذا التصور ليس ملائماً ولا صحيحاً . ذلك لأن الاعتزاز لا يمثل الإسلام بنظرية الجامدة المتكاملة التي تربط بين العقل والوجدان فضلاً عن أن الاعتزاز نفسه لم يكن في داخل قضية داحتواه الإسلام .

إلا خطأ من خبر طـ كثيرة متشابكة ، وأنه عجز في إبان استعلانه عن أن يكون نبيزاً صادقاً بل لقد كان استعلانه خطاً كبيراً أحدث أسوأ الأثر في مسادرة الرأى والنأى عن الحق .

كذلك فإن ماتحاول حـ لـ التـ فـ رـ بـ لـ إـنـارـتـهـ منـ إـعادـةـ كـ شـابـةـ تـارـيخـ القرـاءـةـ وـ الزـيـجـ وـغـيـرـمـ منـ الـ حـرـكـاتـ الصـالـةـ وـ تصـوـيرـهاـ عـلـىـ آـنـهـ نـورـاتـ عـدـلـ وـحـرـيـةـ،ـ هوـ مـنـ تـلـكـ الـ مـحاـوـلـاتـ الـ مـاـكـرـةـ الـ فـيـ يـرـادـبـهـ لـ إـلـقاءـ هـذـهـ السـبـومـ فـ أـفـقـ الـ فـسـرـ الـ اـسـلـامـ،ـ الـ حـدـيـثـ مـرـةـ أـخـرـىـ كـذـلـكـ فـيـ مـاـتـحـاـوـلـ بـهـضـ الـ جـهـاتـ مـنـ إـعـادـةـ نـشـرـ كـنـبـ الـ نـصـوـفـ الـ فـلـاسـفـىـ وـ اـخـبـارـ الـ حـلـاجـ وـ اـبـنـ عـرـبـ وـ طـبـعـ كـتـبـ الـ وـهـمـ وـ الـ حـلـولـ وـ الـ اـتـحـادـ هوـ وـاحـدـ مـنـ هـذـهـ الـ مـحاـوـلـاتـ فـ ذـلـكـ الـ اـتـجـاهـ وـحـدـةـ الـ خـطـيـرـ .

ونتعدد المحاولات اليوم في هذا الاتجاه بحيث تختلط صورة جديدة لاحتواه الإسلام أو المزاصرة عليه تتمثل في تجديد صفحات هذا الركام المضطرب الذي عجز عن تحقيق شيئاً ما في الماضي وسيكون اليوم أعجز عن أن يحقق شيئاً إلا لإنارة الشبهات في نقوص الأجيال الجديدة التي هي بطبيعة نفاذتها وتعليلها عاجزة عن أن تعرف أبعاد المزاصرة المراد فرضها عليهم أو تبين الخلفية التي تختفي من وراءها المزاصرة .

ذلك لأن الحديث عن الاعتزال والتصوف والفلسفة ، هو في مفهوم الإسلام حيث يتكامل مع مختلف وحدات الفكر الإسلامي، وحيث لا يكون حين يستقل بنفسه مثلاً للإسلام الجامع ، وأن كل وحدة من هذه الوحدات لاتفهم فيما صحيحاً إلا في إطار التكامل ولا تؤدي دورها إلا بالارتباط في توازنه وموانئه مع الوحدات الأخرى ، وأن النظرة العقلية ، أو النظرية الرياضية ، لافتة طبع وحدتها أن تقدم تصوراً إسلامياً صحيحاً وأن كل هذه

الوجهات لا بد أن تتفق في تكامل تهذيل منظوراً جاماً متكاملاً للإسلام
بعض العقل والروح ، والدين والعلم ، والدنيا والآخرة .

ولذا كنا نجد اليوم من يحاول أن يتصور أن التراث الإسلامي يمكن
تجزئته وأن خير ما فيه هو عقلانية المعتزلة ، فإن ذلك يختلف مع النظرة
الإسلامية الجامحة التي لا ترى هذا الرأي .

وفي نفس الوقت لا ترى استعماله الدهورة إلى روحانية التصوف كنطلاق
إلى مفهوم الإسلام وأن هذه المحاولات التي تعمى من شأن هذا الجانب أو
ذلك ليست سليمة ولا صحيحة وأن محاولات ذكي نجيب محمود بتحسين
كتابات الاعتزاز والراوندي ، أو كتابات عبد الرحمن بدوي بإعلاء
التصوف الفلسفى والخلو و الانحدار ، أو كتابات محمد إسماعيل بإعلاء
حركات القراءة والربيع أو انتهاه الدكتور محمود الشنطي إلى إحياء ابن هربى ،
أو مه حسين إلى إحياء إخوان الصفا أو ماسينيون وصلاح عبد الصبور إلى
إحياء الخلاج أو عباس صالح وعبد الرحمن الترقاوي ومه حسين إلى تفسير
تارين إحياء الإسلام تفسيراً ماركسيّاً أو مادياً كل هذه المحاولات تدخل في
نطاق المؤامرة على الإسلام أو إعادة محاولة احتواء الإسلام ، الأولى .
كذلك فإن الدهورات القاديانية والبهائية والروحية الحديثة هي أيضاً
محاولات جديدة على نفس الطريق .

(٢)

أهداف المؤامرة على الإسلام

لا ريب أن المدف من المؤامرة على الإسلام في القرن الرابع عشر
المجرى هي نفس مهدف حماولة احتواء الإسلام في القرن الرابع المجري:
النيل من الإسلام وإسقاط دولة وأذابته في أتون الأعمية، ونجداليوم من وراء

الحالة الجديدة قوى خطيرة أبرزها الاستعمار الغربي، الذي يحمل خصوصه الدين وطبع السيطرة الاقتصادية، والذي يضم في أحياه كراهة شخصية للإسلام الذي غزا أوروبا تحت لواء الدولة العثمانية، والصهيونية، الطامة في العودة إلى السيطرة على فلسطين وبيت المقدس باسم الوعد الذي زيفته التوراة و الشبوعية ، التي تحاول السيطرة على الأمم باسم مقاومة الأديان و هدم الأخلاق ، هذه القوى الثلاث الكبرى .

أما تلك الفرق والجماعات والمذاهب القديمة فإنها قد ماتت منه وقت بعيد ، ولكن اثباتها وإحيتها هو هدف يرسى إلى تزويق جبهة الإسلام حتى يحال بينها وبين الوحدة الشاملة القادرة على مواجهة الفزو الخارجي و إقامة دوله الإسلام بالحق في أرض الله .

وهي واحدة من سلسلة المؤامرة المتصنة على الإسلام عن طريق خصومه وفي مقدمتهم اليهودية التلمودية ، التي تستهدف السيطرة الاقتصادية والاجتماعية على أرض الإسلام وأهله ، وهي تعيق الغرض الذي دعا إليه لويس التاسع بزعامة المسلمين في فكرهم ودينهم وعقائدهم قبل هزيمتهم في أرضهم وبالدم .

إن هدف المؤامرة هو إحياء الفكر البشري القديم قبل الإسلام ، والتجدد إبان حالة النرجسية مرة أخرى في قوالب جديدة وأساليب مصرية لنفس الهدف : لنفس الزاوية ، غاية المدح والهرولة والتزويق لمذهبة الإسلام التي لم يبق على وجه الأرض غيرها في طريق التوحيد الصحيح .

وتحاول حركة المؤامرة على الإسلام اليوم أن تتبع نفس الأساليب القديمة فهي تهاجم أصول القيم الإسلامية وجذور المفاهيم الأساسية ، وتهاجم كل معنى الإسلام واللغة العربية وتدعى إلى تفسير القيم الخلقية الإسلامية بالدعاية

إلى إلاتحة، المجهون والمجاهرة بالخلاعة والانحراف الجنسي ، وهو نفس الأسلوب الذي اتخذه حركة احتواء الإسلام ، كان ذلك في الماضي لحساب المجوسية الفارسية ولنكسين الفرامطة والباطنية من السيطرة على الدولة الإسلامية واليوم يجري نفس المخطط لحساب الصهيونية والاستعمار والشيوعية .

وكان أخطر سلاح في الحركة القديمة هو وضع الكتب الزلانفة الملبيبة بالمعايرات والأباعير والانحراف في ثوب براق ، وتنزيف كتب النازع حتى يجعل أبناء الأمة الإسلامية أجادهم وبطولاتهم وكذلك إعداد طلقة من أتباعهم الحاذفين وتزويدم بالعلوم العامة من فن العمارف والفنون دون أن يتمعموا فيها حيث تؤدي بهم هذه التربية الناقصة إلى الغرور والقدرة على الجدل والمراؤفة والاتصال من موضوع إلى موضوع مبالغة في خداع الناس وإيهامهم بالعلم الفياض فإن الحركة الجديدة تتبع نفس الأسلوب .

وهذه التي يصف بها السيد أبو الحسن التدوى حركة احتواء الإسلام القديمة مجده واضحاً تماماً في محاولة المؤامرة على الإسلام الجديدة وتجدد أسماءاً يعنينا تقويم على هذا المخطط يمكن حصرهم وتسميتهم ، على نحو أبو نواس وبشار وحماد محمد وحماد الرواية وحماد بن الزبرقان في الشعر وابن الروندى والخلاج والستهوردى وابن هربى والرازى ، ونجد تماماً عصبة الزنادقة وعصبة المجان ودعاة الانحلال الاجناعى ، ومماجة القبر الأخلاقية ، وتجدد أمثال حماد الذى هاجم أهل النقوى والورع فسيهم بأذىء ألوان السباب والآفراه عليهم بما ليس فيه مستهدفاً نشر الفساد بين أبناء المجتمع وتجريمه الشباب على السخرية من أهل العلم والخلق ، كذلك تجد أمثال حماد عبرى الذى عرف بالتهتك واللسان البذى ، وأمثال

أي نوادر في الترويج للشر وحيث الناس عليه تحت ستار التظاهر بالعصرية والقصد .

(٣)

بدأ الاستشراق ، هذا الخطط في إحياء الفكر اليوناني والغrecian والمعتrocى كجزء من خطته في إنارة الشبهات والسموم في وجه الفكر الإسلامي في العصر الحديث وكمحاولة لمزيف جبهة هذا الفكر والحايلولة دون التقاء المسلمين على وحدة الفكر الجامحة التي وصل إليها الفكر الإسلامي ، بعد موافقة الاعتراف التي قام بها الفكر الباطني والفارسي والمجرمى إبان حر كالتترجمة إن هدف الاستشراق هو تزييف جبهة الوحدة الفكرية الإسلامية الجامحة ذلك المعروف أن هذه المذاهب والفرق قد تلاشت واتهت منذ وقت بعيد ، ولم يبق من وجوده الخلاف إلا ما يعرف بالخلاف في الفروع بين السنة والشيعة . وإن كان هذا الخلاف أيضاً مستحدث قد عمل الاستعمار والقوى الغربية على تعميقه بإنارة الصراع بين الدولة الصفوية الفارسية والدولة التركية العثمانية منذ القرن الناسع الهجري (الرابع عشر الميلادي) .

ولاريب أن خطة إحياء الفكر المتعزى والصوفى والفلسفى والباطنى وتجديده وإنارة قضائاه التي قام بها الاستشراق كانت بهدف التأثير على سليم فكرة التوحيد الأساسية التي هي غقيقة المسلمين جميعاً بعد أن صفت مختلف القوى التي كانت تحمل أسم الاعزال أو التصوف الفلسفى أو الفلسفة وانصرارها في مفهومه الأصولى السنى الجامع ، ومحاولة إحياء هذه القضية بشبهاتها وشكوكها ووجهاتها نظرها المستمددة من الفكر الفارسى الغrecian القديم ، أو الفكر اليونانى اليونانى أو الفكر النهائى المتبدل فى الألطونية الحديثة ، كل هذا لا يرتبه إلا عرض هذه الشبهات والشكوك والسموم مرة أخرى فى أفق الفكر الإسلامي فتقسم الآراء حوله ، وبذلك يبعد

السلطون عن وحدة فكرم الجامعة المتكاملة ، ويعودون مرة أخرى إلى
سراب الفرق فضلاً عما يؤديه طرح هذه المفاهيم من إفساد لجوهر
الإسلام نفسه .

ويجري مع هذا الاتهام القول المضلل بأن مفهوم السنة والجامعة ليس
الا واحداً من جملة مفاهيم يمثلها الإسلام ، منها مفهوم الاعتزال ، والفلسفة ،
والتصوف ، والباطنية مع أن هذا ليس صحيحاً ، فلم تكن هذه الفرق
بناتية فرق متضارعة مع المفهوم الجامع ، ولكنها كانت وسيلة إليه وعندما
قام بهذا المفهوم كانت قد سقطت كل هذه الفرق تماماً ، فقد استطاع المفهوم
الجامع أن يصهر في داخله كل حسّنات الفرق ، فيعمل للارادة الحرة أهيّتها
وهو خير ما في الاعتزال وجمل النّظر المطلقة أسلوباً في الفهم وهو خير
ما في الفلسفة وجعل الأخلاقية طابعاً أساسياً للقيم وهو خير ما في التصوف
وجعل حب آل البيت جزءاً من هقيقة الإيمان وهو خير ما في
الباطنية ومكذا .

ولذلك فإنه من الرّيف المسموم القول بأن في الإسلام حدة مفاهيم
يختتمها جيماً والواقع أن الإسلام مفهوم جامع متكامل والتّنظرة العقلية
بجزء منه والتّنظرة الوجيّانية بجزء منه وإن واحدة منها لا تستطيع بحال
أن تكون مبنية للإسلام بفردها . وأن فكرة المقلانية أو فكرة الوجيّانية
لا يمكن أن تقدم مقدمة عن سيافها التاريخي وعن حركة المواجهة التي
قام بها الفكر الإسلامي إزاء حركة احتواء الإسلام كلها التي قامت من بعد .

ونجد ووجهت المؤامرة على الإسلام مواجهة صحيحة وصربيحة وقوية في
النصر الحديث كما حدث ذلك كلما تمرّضت مفاهيم الإسلام لمحاولة
الاحتواء والتزييف ، وعندما بدأت هذه الحركة في القرن الثاني للهجرة
ووجدت معارضة بعيدة المدى كشفت زيفها وشبهاتها وأبانّت عن أنها حركة

معادية للإسلام نافذة من وجمة أجنبية خارجة ضد الإسلام والعرب ترسى
إلى هدم الدولة الإسلامية بهدم قيم الإسلام ومفاهيمه ، وقد تبين أن هناك
مفاوضات وعقود بين دولة الروم وبين هذه القوى كائنة أن بين الملاج
والقراططة معايدة مكتوبة وكشف الباحثون أن الذين وضعوا أمس الباطنية
والشيعوية كانوا من أولاد المuros وكانوا امانين إلى دين أسلفهم . وقد
أكملت السنة التي حللت لواء الأصالة الإسلامية : التفسيه والتعميل
وكشفت عن أن المشبهة ونبلة والمطلبن ملحدين ، كما حرص أهل السنة
على تعقب الملحدين والكشف عنهم ، كذلك هاجرت الأصالة الإسلامية
إختصار الإسلام للجدل العقل ودعت إلى الأخذ من المعن الأول والمنبع
الأصيل : القرآن والسنة ورفضت إلهيات أرسلاو لأن مقدماتها ونتائجها
كانت معارضة أشد التعارض مع مفهوم التوحيد الخالص .

وقد وقف الشافعى والأشعرى والغزالى وال ابن تيسير بصدق أمام أطراف
الحاوله وكشفوا أقضياها الفلسفه وعلماء الكلام والمعزلة والصوفية الفاسدبة
والباطنية وفردوا أن [منهاج السنة : الأصالة الإسلامية] ليس واحداً من
هذه بل هو غيرها وعليها اليوم أن تقف نفس المؤلف وأن تمرر مفاهيم
الإسلام من الأسرار البدئيات القديمة والجديدة ، ومن الوثنيات [المتتجدة]
التي يقومون على بعضها اليوم ، ولكن يكون منطلق الفهم واضحاً ، فإن
طلبنا أن تفهم أساساً :

أولاً : أن الإسلام في كلية هو التوحيد الذي يرتفع عن الوثنيات
والثنائية والتعدد وعن الشرك جميعاً وتحتفل كلية إسلام عن كلية دين في المعنى
العام المشارف فالإسلام دين من حيث أنه يرسم العلاقة بين الله والإنسان
وهو منهج حياة من حيث أنه يرسم أيضاً وفي تكامل العلاقة بين الفرد والمجتمع
وقد أوجد الإسلام صيحة من التكامل والتوازن والإلتقاء بين الفردية

والمجتمع على نحو يحقق ذاتية الفرد وحريته وكرامته ويتحقق في نفس الوقت
المجانية المجتمع ودور الفرد في بنائه وهو نظام منكامل فيه جذور كل الدعوات
إلى عرقها العصر من حرية وعدالة ومساواة وتساهمي اجتماعي وله في هذه
القسم مفهومه الواضح السمع الخاص به .

ويسمح الإسلام بالاجتهاد والتأويل على نحو لا يتعدي أصوله العامة وقيمه الأساسية التي أفرها، وكذلك يؤمن الإسلام بثبات أصوله بالمحرك في إطار الثبات ولا يقول الإسلام بالتطور المطلق.

ويفرق الإسلام بين العلم والفلسفة ، فالعلم هو ما أنبأته التجارب الحسية والمهملية ثبوتاً قاطعاً ، وهذا يقره الإسلام أما الفلسفة فهي أمور نظرية يراها المفكرون في بيئات وعصر من المصور فهي ليست ثابتة ولا عامة ، كذلك يفرق الإسلام بين الثقافة والمعرفة فالمعرفة حامة كالمعلم وهي ملك البشرية كلها أما الثقافة فهي خاصة وهي مرتبطة بمزاج الأمة ووجود أنها ولدست قابلة لأن تتفاوت من ثقافة إلى ثقافة .

ولقد كان الفكر الإسلامي مفتوحاً دوماً يقبل كل ما يراه صالحاً من ثقافات وفكرة الأمم في الشرق والغرب ولكنّه كان دوماً قادرًا على امتلاك ذاته الخاصة وحرصاً على أن لا يفسد لها أي فكر زائف أو وافد.

نانياً : إن الإسلام بمفهومه في التوحيد الخالص قد أنشأ فكرًا له طابعه الاستقلال الكامل ومفاهيمه الواضحة الحالمة التي لا يمكن أن تختلط بمعالم الفلسفات وخاصة فيما يتصل بالونتنيات الإغريقية ومفاهيم الفلسفات الهندية والفارسية القديمة ، ولذلك رفض الإسلام العقلانية المطلقة ومفاهيم وحدة الوجود والتحول والانحدار ..

ولقد خاض الإسلام معركة ضد خمسة في مواجهة الفلسفة اليونانية والوثنيات المترعرعية والفارسية والهندية ومواجحة ما دس عليه من إسلاميات وقاوم بذلك كل ميوله من كاول مستمد من القرآن فمهما في مجال تعميق الحديث

(البغدادي ومسلم) وبناء الفقه (مالك والشافعى وأبو حنيفة وابن حنبل) وفى تصحیح المفاهیم (ابن حزم والغزالى وابن تیمیة).

وقد خرج الفكر الإسلامى من هذه المعركة الضخمة بمفهوم أهل السنة ناصحاً صافياً مبدئاً من الوثنية ومفاهيم الفلسفات الهايئية والمجوسية.

وبعد فإن هذه المراجعة الواسعة تستطيع أن تعطى الباحث المسلم أرضاً هامة لمعرفة النصوص المختلفة وردها إلى التيارات المتعددة التي صارت العقيدة الإسلامية في حلقات النأس المتصل على الإسلام خلال المصور وتكشف عن كيف واجهتها الأصالة الإسلامية وردت ذيفها وأبان فساد منطلقاتها ثم كيف استطاعت الأصالة الإسلامية دائماً أن تلتئم جوهر العقيدة وأن تتمسك بأصولها وأن ترد كل زيف تجرى المحاولة إلى إضافته إليها.

ولقد كان من أبرز هذه المفاهيم أن كل قيم الفكر الإسلامي الأساسية قد تقررت قبل أن يختار رسوله الرفيق الأعلى ، جامحة بين العقل والوجود والدين والعلم والروح والمادة لا انفصال لأحد هما ولا استسلام ، وأن هذه الأصول هي التي تقررت يوم أزل على الرسول من رب [اليوم أكلت لكم دينكم] فلم تتغير ولم تجرأ أي إضافة إليها من بعد وكل ما جاء من بعد فهو تفسير أو تفصيل وفق قاعدة الاجتهاد التي أفرها الإسلام لواجهة تغير المصور والبيئات.

وللإسلام قانونه الذى لا يختلف أبداً هو أنه يتجدد من داخله ويتحرر من أعماقه، فعندما تهب رياح اليود أو الجبرية أو الانحراف لتج凄ب جوهر مفهومه فإنه يكون قادر على (الناس المتابع) ولقد كان لابن حزم والغزالى والأشعرى وابن تيمية وابن القيم موقف مشهودة في الكشف عن هذه الشبهات وتلك الاتهامات وتصحيح المفاهيم والناس مفهوم الإسلام الأصيل.

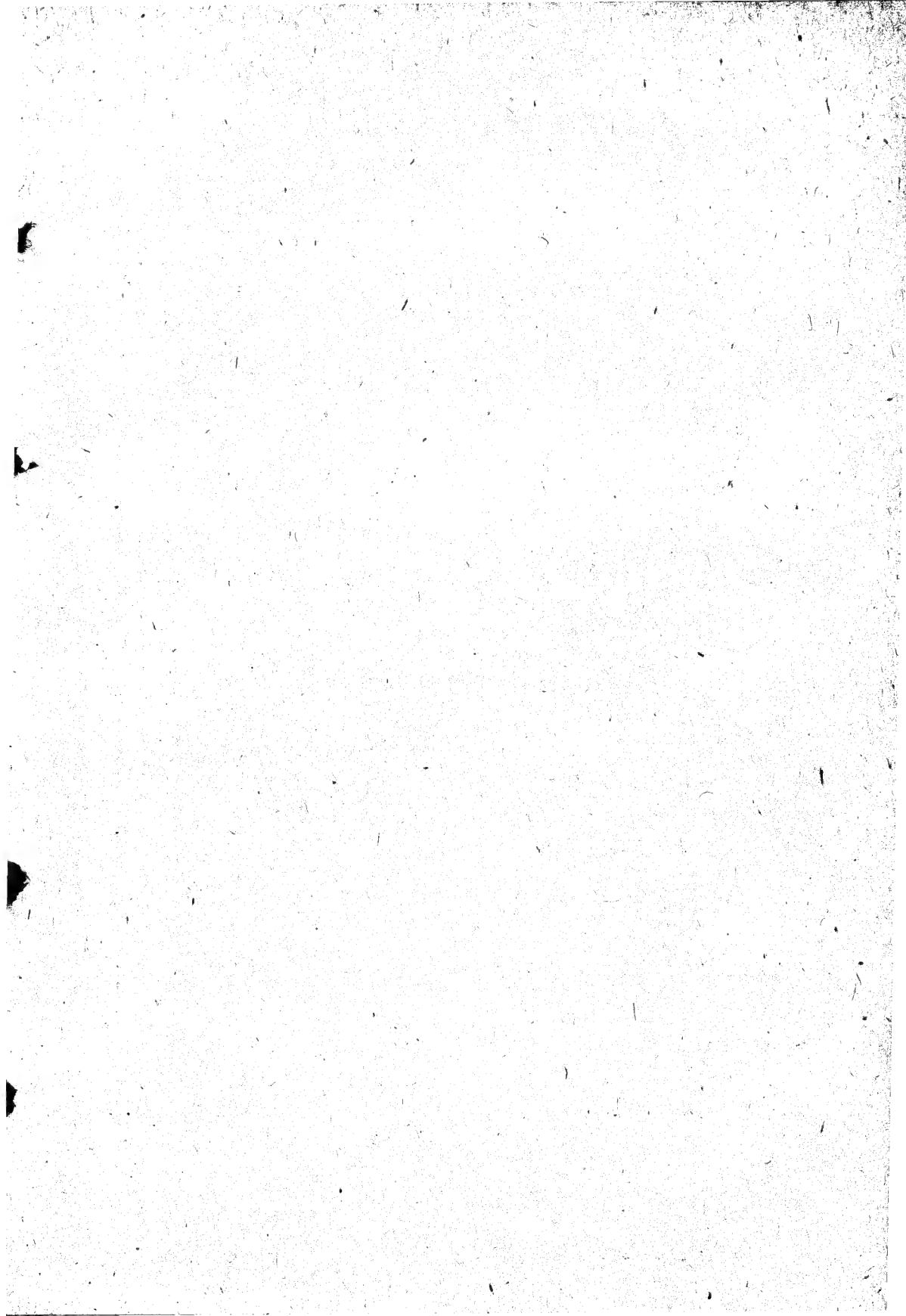
واليوم نمر بنفس المعركة مرة أخرى ولكن في شراسة المقصوم وعنفهم وقد تجددت قوى علماء الإسلام ومفكريه للرد على هذه الشبهات ومواجهتها والادلة منها ، والله من وراء القصد.

المراجعة

- | | |
|------------------------|--|
| الإمام تزالى | : فضائع الباطنية |
| د. العافى | : كتاب الأم |
| د. ابن تيمية | : الرد على المتعصبين |
| د. أبو الحسن الأشعري | : مقالات المسلمين |
| د. ابن حزم | : الفصل في الملل والنحل |
| ابن الجوزى | : تلبيس لبليس |
| الشحرستاني | : الملل والنحل |
| أبو الحسن التدوى | : رجال الدعوة والفكر |
| الحسن بن مثان المياط | : الانتصار والرد على ابن الروذى |
| مصنفى عبد الرزاق | : مقدمة في الفلسفة الإسلامية |
| مصنفى صبرى | : موقف المقل والعلم والمعلم من رب العالمين |
| الدكتور عل سامي النشار | : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام |
| الدكتور محمود قاسم | : الملاج والباطنية |
| أفور الجندى | : القيم الأساسية للفكر الإسلامي |
| د. | : المساجلات والمعارك الأدبية |
| د. | : الشبهات والأخطاء القياسية |

الباب الأول

إحياء الفكر المعتزلي



الإسلام والاعتزال (١)

ولما كان الفكر الغربي هو الصورة التي يستمد منها المستشرقون ودعاة التغريب منهم الأهل فهم يحاولون أن يجعلوا من الدعوة المقلانية مثلاً وشبها بما جرى في عصر النهضة حين جرى الفصل بين الدين والعلم واستعلاء شأن المقلانية واللادينية والعلمانية والمادية وغيرها. غير ناظرين إلى الفوارق البعيدة بين التفسيرات الغربية للمسيحية التي حالت بين الغرب وبين انتظام مجالات العلم والانبهاس في نصوص الجمود والرهبة والتقليد والجبرية والفرق واضح تماماً بين ذلك وبين الإسلام الذي حل منهج المعرفة الجامع المتكمّل الذي يستمد طرائفه ومنابعه من جامع العقل والروح ، ويرى أن ينبع ما ترابطاً عضويأً لا سبيل إلى فصله .

ولعل الاستشراف والتغريب يجدان في الاعتزاز والمعزلة منهجاً وأداً له صلته بالفكرة اليونانية فهم يعلمون من شأنه لهذا الفرض وبرون مدي آخره

في إفساد الفكر الإسلامي وببلة الآراء والهيلولة دون قيام الوحدة الجامعة
فهي بمقدورها ليكون لها في المصر الحديث نفس الأثر القديم.

ولاريب أن فكرة الاعتزال جاءت أصلًا من الفلسفات الهندية واليونانية
والتفكير الوثني القديم وأنها حين حاولت في أول الأمر أنه تواجه المتكلمين
في الدياقنات السالفة للإسلام استطاعت أن تتحقق تائغ طيبة ولكنها حين
استقلت بنفسها وخرجت عن حدودها لتقيم لنفسها منهجاً عقلاً نياً خالصاً
يستعمل على مفهوم الإسلام الجامع فإنها قد انحرفت انحرافاً شديداً
وأنطلقت خطأ بالغاً.

ولكن الفكر الإسلامي لم يلبث أن تهاوزها إلى منهجه الأصيل بما أعلنه
الأشعرى حيث لدار أسلوب العقل في دائرة الوحي.

وكان أخطر ما أحدهه المعتزلة هو الانصال بالحكم وفرض مذهبهم
الفكري على الدولة وبذلك دخلت المعتزلة تلك المرحلة الخطيرة التي عرضت
مئات العلماء والباحثين إلى الامتحان والعقوبة خلال حكم ثلاثة من الخلفاء
هم المأمون والمعتصم والواشق وخلال ستة عشر عاماً كانت من أقسى أعوام
مصالحة الرأى وكان ذلك في أمر لا يدخل في إطار الشريعة الإسلامية ولا في
الأصول العامة للإسلام ولكن في أمر حدث لم تعرفه السنة الصحيحة وعما
دخل إلى الفكر اليوناني والوثني القديم وكان موقف الإمام ابن حنبل في ذلك
الامر غاية في القوة في معارضته هذا الخطير حتى اكتشف فساده وعاد الأمر
إلى الأصالة التي هي المذهب الجامع.

وكانت هذه هي نهاية المعتزلة : وهي نهاية مظلمة .

(۲)

ما هو خطأ المعتزلة في مجال الفكر :

اعتمدت المعتزلة العقل ولو خالف ظاهر النقل وبذلك خرجوها عن
مفهوم السنة الأصيل .

وَلَقَدْ كَانَ الْفِرَّانُ هُوَ الْمَصْدَرُ الأَصْبَلُ يُرْجَعُ إِلَيْهِ الْبَاحِثُونَ وَإِلَى
السَّنَةِ لَا يَصْدِرُونَ عَنْ غَيْرِهِ وَلَا يَطْمَئِنُونَ إِلَى سُوَادِهِ، كَانُوا يَنْهَا مُؤْمِنُونَ الْمُقَاتَلُونَ
مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ وَهِيَ بَيِّنَاتٌ، وَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ حَارَلُوا فِيهِ بِأَسَالِيبِ الْلُّغَةِ
وَهُمْ بِهَا خَبِيرُونَ وَلَمْ تَعْذِرْ عَلَيْهِمْ تَوْقِفُوا وَفَوْضُوا الْأَمْرَ لَهُمْ .

غَيْرُ أَنَّ الْمَعْزَلَةَ خَالِفُوا هَذَا الْمَنْهَاجَ وَحَكَمُوا الْعُقْلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَجَعَلُوهُ
أَسَاسَ بِعْثَمٍ .

٢ - كَذَلِكَ فَانْشَغَالُ الْمُعْتَزِلَةِ بِهَنَازَةِ خَصْمِهِمْ مِنَ الزَّانِدَقَةِ وَالرَّوَافِعِ
وَالْمُتَوَبِّهِ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أَخْذُوا بِطَرْقِ حَمَارِيهِمْ فِي الْفَتَالِ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ بِأَسَالِيبِهِمْ
وَهَكَذَا قَاتِلُوهُمْ تَأْثِرُوا بِخَصْمِهِمْ وَأَخْذُوا عَنْهُمْ بَعْضَ مَنَاهِجِهِمْ قَالَ يَنْهَرِجُ :
مِنْ نَازِلٍ عَدُوًّا عَظِيمًا فِي مَعْرِكَةٍ فَهُوَ مَرْبُوطٌ بِهِ مَقِيدٌ بِشَرْوَطِ الْفَتَالِ وَتَقْلِبُ
أَحْوَالِهِ وَيَلْزِمُهُ أَنْ يَلْحُقَ عَدُوَّهُ فِي حُرْكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَقِيَامِهِ وَقَعْدَهِ وَرَبِّهِ
تَؤْثِرُ فِيهِ رُوحُ الْعَدُوِّ وَحِيلَهُ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي مَعْرِكَةِ الْأَفْكَارِ .

لَقَدْ مَضَى الْمُعْتَزِلَةُ فِي الْإِسْتَدَلَالِ الْعُقْلِ فَإِذَا بَدَأَ خَلْفَ النَّصْوصِ
بَيْنَ رَأْيِ يَقْرُونَهُ وَرَأْيِ لَا يَقْرُونَهُ أَوْلُوا النَّصْبِ مَا لَا يَفْرَجُ مِنْ مَعْتَاهُ وَلَا يَعْنَى
رَأِيَهُمْ . وَلَمَّا هَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَسَاسُهَا الثَّقَةُ بِالْعُقْلِ وَالْعُقْلُ زَوْاتٌ وَغَيْرُهُ . وَلَذَلِكَ
وَقَعُوا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْهَذَاتِ دَفْتِهِمْ إِلَيْهَا زَعْتِهِمُ الْعُقْلِيَّةُ .

٣ - وَقَدْ وُجِدَ كَثِيرُونَ مِنْ خَصْمِ الْإِسْلَامِ فِي الْمُعْتَزِلَةِ عَشَاءِ يَفْرَخُونَ
فِيهِ بِعْنَاصِمِ وَأَرَانِيمِ وَبِطَلْقَوْنِ مِنْ قَنْوَانِهِ دَهْبِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

(٣)

وَلَعِلَّ أَخْطَرَ مَقْوِلَاتِهِمْ : هِيَ قَوْلُهُمْ بِسُلْطَةِ الْعُقْلِ وَقُدرَتِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ

الحسن والقبيح ولو لم يزد بهما شرع ، يقول السيد أبو الحسن التدويني : أسرف المعتزلة في تقدير سلطان العقل وحدود العلم الإنساني وقد لاحظ الدكتور أحد أمين وكان من المنتصرين لهم — أن نقطة الضعف فيهم أنهم أسرفو في تمجيد العقل والإيمان بقوته واقتداره يقول : (رأى المعتزلة أن العقل البشري قد منح من السلطة والاسعة ما يمكنه من إقامة البرهان حتى على ما يشعل باقة (تعالى) فلا حدود للعقل إلا براهينه) .

والرأي : إن العقل أضعف من ذلك وإن استطاعته محدودة بادراك ما يتعلق بشأنه هو ، وأنه منح القدرة على أن يدرك البرهان على وجود الله والببرة العامة ونبوة محمد خاصة ولم يمنع القدرة على معرفة كنه الله تعالى وصفاته .

ولعلم نقطة الضعف فيهم أنهم أفرطوا في قياس الغائب على الشاهد ، أعني في قياس الله على الإنسان وإخضاع الله تعالى لقوانين العالم ، وقد أرموا الله مثلاً بالعدل كإيقاعه الإلحاد وكما هو نظام دنيوي وقاموا أن معنى العدل — حق في الدنيا — معنى نسبي يتغير تصوره بتغير الزمان ونحن في أعمالنا ننظر إلى عالمنا والله تعالى رب العالمين ينظر في أعماله إلى جميع العالم ، ما نعلم منها وما لا نعلم ، فكيف نخضع الله لتصور العدل الذي نتصوره نحن في عالمنا .

ويقول : هذا هو خلل الاتجاه العقلي الذي تزعمه المعتزلة والذي كان يقوم على تمجيد العقل وتآليه ، وإخضاع النظام الدني بما فيه من عقائد وحقائق له ، ولا ريب أن قياس الغائب على الشاهد اتجاه خاطئ على الإسلام وفتح باب فساد عظيم في المجتمع الإسلامي ، لقدر كان هذا تحويلًا للدين البسيط المعنى الذي جاء به الرسول ، والذى يستسيغه العقل البشري بكل مسوقة إلى فلسفة نظرية دقيقة يعجز عن فهمها وأساغتها كبير من المقلة والأذكياء ، ولقد كان هذا تنمية للعقل على حساب العاطفة والوجدان ،

وإشماعاً للإيهان وإثارة الشبهات والشكوك وعدم الثقة بما يقوله النبي ما يعجز العقل عن تعليله وإقامة الدليل على وجوده . وفي العالم ما أكثر ما يعجز العقل عن تعليله وإقامة الدليل عليه .

(٤)

ويعيب المعتزلة وقصورهم - إنهم نقلوا « الدين إلى مجموعة من القضايا المقلوبة والبراهين المنطقية ، والدين خلاف الفلسفة » . وقد وصل بهم تقدير العقل إلى ما يشبه تقدير العقل وكان استخداماً لهم المنبع الجدل من شأنه أنه يعطي براعة في التفكير ولكنه يظل مع ذلك عاجزاً عن إعطاء الروح ما يرضيها ويسد حاجتها قال براعة التفكير كان هناك منف الروح ، والمعالاة في تقدير العقل والقصور في جانب الماطفة ، كانت البراعة الفاتحة في الكلام قد أعطتهم القدرة على الكلام في الشيء وضده والمعنى وقيضه مستوى واحد من الجودة والقدرة مثل الأفناع كما يقول الدكتور عبد الحكيم بلبع .

(٥)

ولا ريب أن المعتزلة قد عجزوا عن إدراك تكامل الإسلام الجامع بين العقل والوجودان . ودفعهم تصريحهم للعقل على تماهيل الجانب الآخر لمنبع المعرفة الإسلامي ، بل إنهم ذهبوا إلى حد اضطلاعهم لكل من بري غير رأيهم ، وغفلوا عن عجز العقل وحده عن إعطاء حاجات النفس البشرية الجامدة : حاجة الوجودان وعالم الغيب من قدرات حسنه وعاطفيته مختلفة .
يصور هذا المعنى الدكتور عمار الدين خليل حين يقول :

ظاهرات المعتزلة الفكرية وتشبيهم المتشنج بالعقل واتهامه بأددم المذهبى لكل معارض وهم يقرأون ما يزيد عن سبعينات وخمسين موضعآ في القرآن دعوة لأعمال الفكر البشري في كل صغيرة وكبيرة وفي تحريمه العقل حل

الأسائل الأساسية وهم يقررون في نفس الوقت أن المقل وحده ليس ب قادر على إنتقال الإنسان من مصلحته الكونية وإنه لو كان قادرًا حفاظا لانتفت الحاجة أساساً لجني الأدبان وإنزال القرآن ويدركون من خلال عشرات المواجهات القرآنية إن وراء العالم يمكن للعقل أن يتعامل مع عالم غيبي شامل بعيد ، خفي محبط يابه عن قدرات الإنسان الحسية والمقلالية ، ولذلكه حق واقع ، كما أن علم الطبيعة المطروس حق واقع وإن الإيمان به والتسليم بوجوده يعني بمنابع حجر الزاوية لكل إيمان حقيقي كامل . لقد قدم كتاب القوامة بطرفيها فلماذا نجت ونفاد الموضع الوسط الشامل المتوازن ، .

وأخطر ما يقف منه المعتزلة موقف التحدى هو «الوحى» :

والروحى ظاهرة غيبية صرفة لا تتحقق للاختبار العقلى وإن مجرد التسليم بساتر ما ينشق عنها من وقائع حينية موافقة وردت فى سيرة الرسول .

ولاريب ان كل هذا مما تنفع به حر كه التغريب والغزو والتفافى فى توهين اكتمال الرسالة الإسلامية وتعدد جوانبها وعشق صلتها بعالم الغيب ، ودفع الناس إلى الفظاهر والمحسوسات والمعقولات وحدها . وبذلك ينفع ذلك التكامل الجامع من المادة والروح والمقل والقلب وبذلك يفقد الإسلام قيمته الربانية الأساسية ويصبح شبيها بالنحل والمذاهب البشرية . . وهم لا يقرون عند هذا الحد بل إنهم يعملون في المجال الآخر : مجال التصور العقلى ووحدة الوجود وشحذات الروح والخيال ويفزونها حتى ينشتوا لها أنصاراً وأعواناً وبذلك يفقد هؤلاء أيضاً تكامل الإسلام الجامع بين العقل والروح وبذلك يصبحوا مهومين مطلقاً بين وراء الأهواء . ولا أنزيل العالم قبل الإسلام كان منتقى الله فريقين : المقلانيين اليونانيين ومن تابعهم وفريق الفنوصيين الاشرافيين وكل منهما يرى أن أسلوبه هو وحده الأسلوب الصحيح وكلما مضل في وجهة نظره ، انشطارى في نظراته

واعقِدْتَهُ، ثُمَّ تَجَددُ هذَا الْأَسْلُوبُ مَرَةً أُخْرَى بَعْدَ تَرْجِيحةِ الْفَاسِدَاتِ وَيَتَجَددُ
الْيَوْمَ مَرَةً أُخْرَى لِيُزَقِّ جَهَةَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ إِلَى عَقْلَانِيَّينَ وَوَجْدَانِيَّينَ وَلِكَيْ
يَقِيمَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ نَلْكُ الْحَوَاجِزَ الْمَالِيَّةَ وَالْأَسْوَارَ الْضَّخْمَةَ حَتَّى
يَتَصَارِعُوا وَيَتَمْزِقُوا وَلَا يَصُلُّوا إِلَى حَقِيقَةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي تَجْمَعُ الْمُسْلِمَ عَقْلَانِيَّا
وَوَجْدَانِيَّا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، اسْتَمْدَادًا مِنْ جُرْهِ مَفْهُومِ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ وَبِعِيدًا
عَنِ الْمَالَةِ وَالْأَنْحرَافِ، وَتَحْرِرًا مِنِ الْفَسْكُرِ الْوَافِدِ الْوَقْتِيِّ وَالْمَجْوَعِيِّ
وَالْمَادِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ صُنْعِ الْعُقْلِ الْبَشَرِيِّ.

(7)

أخطر ما أعد إليه المترنلة فتح باب التأويل على مصراعيه فأولوا الدليل
النقل إذا لم يتفق مع ما انتوا إليه في بحثهم العقل واستشهدوا به إذا كان
يتافق مع القيمة الفعلية التي خلصوا إليها ، بل أنكروا الدليل العقل في مجال
الأحاديث النبوية إذا لم يجدوا وسيلة لإلاذتك فهم أمام العقل يسلكون مواقف
منها البرهان العقلاني ويتوانون ما يخالفه فالعقل هو الحكم في الآيات المتشابهات
وهو الحكم على الحديث ليقرر عدم صحته إذا لم يوافق العقل ويحمل
التأويل .

وقد تطرق المذازلة في التأويل العقلي حتى بلغوا نقى الصفات الإلهية ومنها وصلوا إلى النعيم وهذا أسوأ ماوصل إليه غلو المذازلة ، وكان أخطر فرارتهم : ترجيح المعمول على المنقول ، وما المنقول بلا السنة التي هي من عطاء الرسول إلى جوار الوحي : وقد أشار النبي صل الله عليه وسلم إلى ذلك حين قال :

أو تبَرَّأَتْ هَذَا الْكِتَابُ وَمُثْلُهُ مَعَهُ ، يَعْنِي السَّنَةَ .

وَهُكُمْ نَبِدَ الْمُتَزَلَّةُ حِينَ اخْتَذَوْا الْجَمَاعَةَ فِي السَّكَلَامِ هَذَا، يَتَكَلَّمُونَ فِي

الشيء وضد هذه بمستوى واحد من الجودة والقدرة على الإقناع قد خرجوها عن الحق الذي كانوا يدعون إليه وقد شغلهم هذا حتى نفثوا في استعمال الانفاس على نحو يؤيد دعوام مهما باع ذلك من الخروج عن الحق الأصيل وكأنهم خرجوها من مدافعة خطر الرد على الرنادفة وكيدم إلى اهتداء كيد أشد خطراً هو الانحراف إلى الجانب العقل وحده وترك مفهوم الإسلام الكامل الجامع وقد وصل ذلك إلى محاولة إخضاع المقادير الإسلامية للعقل وكان هذا اتجاهًا شديد الخطأ على الإسلام وإنحرافاً به عن مفهومه الجامع بين العقل والقلب .

(٧)

تعد فكرة خلق القرآن من أخطر ماوصل إليه المعتزلة من استعماله عقل وهي في نفس الوقت مقتنيهم ومصدر هزيمتهم الساحقة . وذلك بعد أن استعملوا بالانصاف بالحكم وأعلنوا التبعص الحاد وسمموا على أن يكون الاهتمام هو التعبير الوحيد عن عقيدة الإسلام وتبني قاضي القضاة أحد بن أبي داود هذا الاتجاه ، وجعلوا مدخلهم إلى هذا النفوذ والسلطان مسألة خلق القرآن فقد وصف المعتزلة القرآن بالخلق اختلافاً ومعارضة مع مايراه مفهوم الإسلام الأصيل من أن القرآن هو كلام الله لا نقول خلوق ولا غير خلوق . وإن إنذارة هذه المسألة بدعة لم يقل بها النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، وأنه إذا تردد في العامة أن القرآن خلوق لم يبق في نفوسهم له أي تقديس أو إجلال ولكن المعتزلة أصرروا على فرض هذه النظرية الوافية فحملوا عليها الناس وحملوا لواء الدعوة إلى ذلك المأمور ودعا إليه علماء المسلمين قبل وفاته بأربعة أشهر عام ٢١٨ وأمر بإقصاء كل من لا يدين بذلك وعقد الامتحان للعلماء فكان ذلك بمنابة حسنة كبرى ، وأوصى خلفائه بالاستمرار على هذا الاتجاه حين وفاته .

وقد بعث كثير من العلامة والمشايخ والفقهاء عن مواجهة هذا المؤلف والإعلان ببطلانه ماعدا أربعة هم أحمد بن حنبل وسجادة والقواريري ومحمد ابن نوح وقد شدوا في الحديث ، واستسلم سجادة واجاب القواريري بعد يوم ومات محمد بن نوح وهو عائد إلى بغداد وتركزت المقاومة في إمام السنة : أحمد بن حنبل وكان قول المعتزلة بخاتم القرآن : إنكار لقدسية وعظمة وجلاله ، وذلك هو مقتنيهم وغاية انحرافهم عن منهج الأصالة الإسلامية الجامع بعد أن أعلنوا أن العقل وحده وبدون مساعدة الشرع قادر على معرفة الله تبارك وتعالى وليس هذا منهج الإسلام ولا طبيعة الأمور . ولو كانت للعقل هذه القدرة لما أرسل الله تبارك وتعالى الرسل .

وقد استمرت فتنة خلق القرآن سبعة عشر عاماً : خلال أيام المؤمن والمعتزم والوائق ذاق فيها المسلمين كل ألوان التحدى والاضطهاد ، ووقف الإمام أحمد بن حنبل موقف المارضة والصمود طوال هذه الفترة ، واحتفل التعذيب والاضطهاد والسجن وكان لشبانه وشجاعته وإخلاصه أكبر الأثر في انتفاضة فتنة خلق القرآن فقد وقف صامداً كالسد المنيع في وجه تيار ذلك الحظر الفلسفي اليوناني الذي حاول احتواء عقيدة الإسلام وترهين أصالة المفهوم الإسلامي الجامع ، والذي عرض كل مقومات الدين من توحيد ووسى ونبأة للخطر وقد اعترف المؤرخون والباحثون جميعاً بأن صمود ابن حنبل ومقاومته وهو الأعزل قد سدت ثلة الحظر الذي كاد أن يحدث في الإسلام .

ويشير المؤرخون إلى أن أحمد بن أبي داود هو أول من افتح الكلام مع الخلفاء في أمر خلق القرآن وكان المؤمن بطبيعته مؤهلاً لهذا الاتجاه . وعنهمما بدأت مرحلة التهكم الشديد والمباغة في حماقة علماء المسلمين

ولرغامهم على قبول هذه الشبهة التي تتعارض مع المفهوم الأصيل للإسلام الذي يتحدد في أنَّ كلام الله تعالى قدِيمٌ وغير مخلوقٌ ، وقد نقل الأمون الخلاف إلى دائرة السلطان فتدخل بوصفه الخليفة وأكره الناس على التسليم بوجهة نظر مستحدثة في أمر من أمور الدين ، وقد ارتكب بسبب هذه الفكرة من التشكيل بالعلماء ما يحمل الأمون وزره ووزر من أئمَّةٍ بعده ومتشاركةً فيما يدعوه إليه . وقد مضى المعتصم على خطأه الأمون فوق منصب قاضي القضاة إلى أحد بن أبي داود ، وكان تأثيره على المعتصم أَكْبَرَ . ولذلك سار المعتصم في الفتنة وترك لابن أبي داود مناظرة المخالفين والتهجم عليهم واتهامهم بالمرopic من الدين ، فقتل من قتل ، وضرب الإمام أحمد بن حنبل من أجل ذلك بالسياط وذلك عام ٢٢٠ هـ .

وفي عام ٢٢٧ جاء المشوكلي وجاء معه اعتدال الميزان نحو الأصلية الإسلامية وقد انتقم الله تبارك وتعالى من ابن أبي داود انتقاماً شديداً من أُناسٍ أصيبوا بالفالج وصودرت ضياعه وأخذ من ولده ما لا يبلغ مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوهر آبار بعين ألفاً وعادت السنة إلى مكانها وعاش أحد بن حنبل بعد عزل ابن أبي داود أربعة أعوام ونَيْفَ يشاهد تفلص نفوذ وثراء وغنى هؤلاء الذين طمعوا في أمر الدنيا وخرجوها عن جوهر الدين .

ومنذ أيام الوانق تبين أنَّ المؤامرة فاسدة ، وأنَّ الدعوة باطلة ، وقد جوبه الوانق بمحجة دامنة ردت ابن أبي داود وأعادت لل الخليفة صوابه وصرفته عن متابعة الأذى بسببها ذلك أنه جيء بشيخ إلى الوانق من آذنه أوردت النجوم الزاهرة قصته وكتبتها صاحب كتاب أحد بن حنبل والمحنة (ولتر مالفيل باتون) على نحو رائع قال : قال الوانق لابن أبي داود : ناظره .

فسأل الشيخ ابن أبي داود إذا كان مذهبـه في خلق القرآن أصلاً ضروريـاً من أصول الإيمان على المؤمنين أن يقرـوا به فأجاب ابن أبي داود نعم . ثم

استفسر الشیخ فائزًا : بأن الله بعد أن بعثه محمدًا ليبلغ الوحي إلى قومه هل
کتم شيئاً من الرسالة التي أبلغها فاقر ابن ابن داود بأن محمدًا أبلغ الرسالة
کاملة ، وعند ذلك سأله مناظرة عما إذا كان النبي فعل أسم الوحي الذي
كان واسطة في إبلاغه قد دعا الناس إلى الإقرار بأن القرآن مختلف فلم يصر
ابن أبي داود جواباً فطلب الشیخ من الواائق أن يعد هذه نقطة في جانبه
تزويد دعواه فاقر الواائق على هذه النقطة . وكانت الخطوة الثانية من النقاش
مبنية على الاستشهاد بالآية السکریمة «اليوم أكملت لكم دینکم» ، وذلک حين
سأل الشیخ عن الكیفیة التي يبرز بها استعدادات فسکرة مذهبیة جديدة بعد
نزع هذه الآیة ولم يحالف ابن أبي داود أن يدافع عن موقفه لازام هذا
المجروم وطالب الشیخ أن تزد هذه نقطة ثانية في تأیید حججته وسلم الواائق بذلك.

وفي المخطوطة الثالثة من المخاطرة سأله الشيخ عما إذا كان النبي قد عرف النحلة المذهبية التي دعى الناس إليها في ذلك الوقت وما إذا كان النبي قد دعا إلى الإقرار بها فزعم ابن أبي داود أنه قد علمها ، ولكن لم يجرب عما إذا كان النبي قد ألزم المسلمين الإيمان بها أم لا . وهنا طلب الشيخ أن تعدد هذه نقطة ثالثة وأخيرة في تأييد حجته .

ييد أن الشیخ لم یقف عند هذا الحد بل احتج فائلاً بأنه إذا سلمنا بأن
محمدأ علم بهذه النجدة كما علما الخلفاء الأوائل وأنهم جميعاً قد رضوا بالامتناع
عن حمل الناس على الإقرار بأن القرآن مختلف فهل من الواجب على داعية
جديد أن يستند في القيام بما لم یقوموا به ولو فرضنا أن النبي والخلفاء قد
آمنوا بما یؤمن به هذا الداعية ألم كان الأجدر به أن یحتفظ بهذه العقيدة على
أنها مجرد رأى شخصى من أراه الخاصة كاصنعت السلف بدلاً من أن یزعموا
الناس على الإقرار بها مثلاً عمد هو نفسه إلى ذلك ، ١ . هـ .

كانت عبارة الشيخ الأذنِ : لم لم يدعو الناس كاده وهم أنت ، أما
بسعيك ماوسهم ، فدخل الوائق المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يذكر

قول الشيخ على نفسه: «أما وسمك ما وسمهم، ثم أطلق الشيخ وأعطيه
أربعمائة دينار ورده إلى بلاده ورفض الشيخ أن يقبل ما وبه إيه».

وهذا هو نفس ماقاله أحمد بن حنبل حين قال:
القرآن كلام الله لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق.

لقد كان المعتزلة أسرع الفرق إلى السقوط في أتون الفلسفة اليونانية
ومحاولة صفيها بصيغة إسلامية، وقد فشلوا في ذلك فشلا ذريعاً
إذ حلو النصر من مالا تتحمل، وبالغوا في ذلك وبالغة شديدة، وكانوا
أول من تحمل بهـا و منهم خرجت كل الفرق التي وصفت بأنها منحرفة عن
مفهوم الأصالة الإسلامية والتوحيد الحق (ابن جهم بن صفوان وضرار
ابن عمرو وبشر المربي وغيرهم من اتباع الباطنية والمؤامرة الجوسية).

(٨)

وقف أحد بن حنبل في وجه المحنـة ثمانية عشر عاماً . سجنـه المدون
واسمه الوانق وكان مكتـنه في السجنـ منذ أخذـ إلى أن ضربـ وخليـ عنه ثمانية
وعشرين شـهراً وكانت صـيغـته المدوـية في حـاكـاته : «أعطـوني شيئاً من كـتابـ
الله أو سـنة رسولـ الله أوـلـ بهـ القرآنـ كـلامـ اللهـ لاـأقولـ مـخلـوقـ»، وقدـأـقامـ صـابرـاـ
حتـسبـأـ إـمامـ المـأـمـونـ والمـعـنـصـ وـالـوـانـقـ وـوـقـفـ سـداـ مـفـيـأـ — كـماـيـقـولـ المـلاـمـةـ
أـبـوـالـحـسـنـ الـنـدوـيـ — فـإـجـاهـ هـذـهـ الـأـمـةـ إـلـىـ التـفـكـيرـ الـفـلـسـفـيـ الـمـهـورـ الـذـيـ
لـوـ سـيـطـرـ عـلـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ لـانـقـطـعـتـ صـلـتـهاـ بـالـتـدـرـيجـ عـنـ مـنـابـعـ الـدـينـ الـأـوـلـ
وـعـنـ النـبـوـةـ الـخـمـدـيـةـ وـلـخـضـعـتـ لـلـفـلـسـفـاتـ وـأـصـبـحـتـ عـرـضـةـ الـأـرـاءـ وـالـقـيـاسـاتـ
وـلـاتـصـرـتـ السـيـاسـةـ عـلـىـ الدـينـ اـنـتـصـارـاـ مـؤـبـداـ وـسـلـبـتـ حرـيـةـ الرـأـيـ وـالـعـقـيدةـ،
وـمـكـذـاـ كـانـتـ وـقـمةـ أـحـدـ اـبـنـ حـنـبـلـ أـوـلـ ضـرـبـهـ مـهـولـ فـهـذـاـ الـإـحـتـواـءـ
الـخـطـيرـ الـذـيـ اـشـتـشـرـىـ حـينـ طـمـعـ الـمـعـزـلـةـ فـالـسـلـطـانـ وـغـالـلـاـ فـنـشـرـ مـذـهـبـهـ
وـتـمـصـبـوـاـ ضـدـكـلـ مـنـ لـاـ يـوـافـقـ نـحـنـهـمـ حـتـىـ أـقـدـ بـلـغـ بـهـمـ أـنـ لـمـ حـدـثـ فـادـةـ

بين الأمرى المسلمين والأسرى الروم فى ذمن الوانق ٢٣١ أرسل أحد بن أبي رداود رسولاً من قبله يمتحن الأمرى فى ميولهم الدينية حتى لا يفتدى منهم من يقول بطلاق القرآن.

وقد أنكر المسلمون بعامة هذه البدعة ووقف مسلمو الأندلس في وجهها معارضين . وكانت وفقة ابن حنبل إزاء هذا التيار الجارف المتمكن بقوة السلطة أما نا النفس الإسلامية بما حفظ لها مفهوم الإسلام الأصيل دون تحريف يخربه عن جوهره وبساطته ومتابعه الأولى ولم يبال في سبيل ذلك التعذيب والضرب فأخذ وسحوب ثم خلع ، وشدت يديه ثم لعلنا ولم يزل يتوجه منها حتى مات وكان الجنادون يتناوبونه بالضرب ، وكانوا ينافسونه كل ليلة وهو لا يتزحزح عن موقفه . فإذا انصرف أضيق إليه قيد جديد يوضع في قدمه . قال : لقد ذهب عقل مراراً فكان إذا رفع عن الضرب رجمت إلى نفسى وكان يقول : يا رب إن كنت على حق فلا تبد عورتى .

وقال له تلميذه المروزدى : ولا تقتلوا أنفسكم ، قال يامروزى : اخرج وأنظر نفر جئت إلى رحمة دار الخليفة فرأيت خاق لا يحصيهم إلا الله تعالى والصحف في أيديهم والأفلام والماهير فقال لهم المروزى أى شيء تعلمون : قالوا : سننتظر ما يقول أحد فشكبه فدخل إلى أحد فأخبره فقال : يامروزى : أضل هؤلاء كلام ، إذا سكت العالم نقيه ، والجاهل يجهل فلن يظهر الحق .

قال ابراهيم بن مصعب الشرطى : ما رأيت أحداً أثبت من أحد بن حنبل قلباً يوم المحنـة .

فلا انكشفت المحنـة ، عفا عن كل من أساء إليه ، وأرسلت إليه عطايا المنوكل فردها وكان عبشه من تملك عقاره الذى ورثه عن أبيه وكان يقول : ما على رجل إلا يعذب الله بسيبه حد .

(٩)

أول من تكلم بخلق القرآن الجعدي بن أدهم من دمشق معلم مروان بن محمد وعندما طلب هرب ، ونزل الكوفة تعلم منه الجهم بن صفوان وقيل أن الجعدي أخذ ذلك عن ابن بن سمعان وأخذه ابن عن طالوت بن أعمى اليهودي ، وتأثر الجهم بن صفوان بالجعدي وكان ينفي الصفات عن الله تعالى واستتبع ذلك نفي الكلام والقول بخلق القرآن .

وكان لبيد بن أعمى اليهودي في زمان الرسول في المدينة يقول بخلق التوراة ويرى بعض الباحثين أن جماعة من اليهود الذين أظهروا الإسلام اندسوا بين المسلمين بالبصرة ، وقد تعرف عليهم واصل بن عطاء وجعل يتردد عليهم ومن قولهم إن الخير من الله والشر من أعمال الإنسان وإن القرآن مختلف محدث ليس بقديم وإن الله تعالى غير مرفى يوم القيمة وإن المؤمن إذا ارتكب الذنب فشرب المخدر وغيثه يكون في منزلة بين بين لا مؤمنا ولا كافرا وإن اعتذار القرآن في الصرف لا أنه في نفسه معجز أى أن الله لو لم يصرف العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضهم فلما تحدث واصل في هذا في مجلس الحسن البصري نهاد الحسن ، فاعتزل وأقام حلقة أخرى في المسجد وأرسل أصحابه الذين علمهم إلى الغرب واليمن وخراسان والجزيرة والكوفة وأرميطة وقد تجمعت طائفة من هؤلاء لدى المأمون الذي كان متأنثاً بما ترجم من فلسفة اليونان ومنطقهم من ناحية والذي كانت نزعةه الفارسية التي ورثها عن أبيه وبنته التي تربى بها ذات أثر كبير في إنجاهه ذلك ..

فقد أباح المناقشة أمامه في مسائل شانكه منها علاقة الإنسان بخالقه وطبعيته الألوهية كما أباح للمسيحيين حرية المناقشة في أي الدين أفضل .

وأدنى منه رجلان من أسوأ أهل عصره : بشر المربي وأحمد ابن أبي داود أما بشر المربي فكان أبوه يهودياً صباغاً بالكوفة في سوق المراضع كما

ذكر الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد قال : حدثني صالح العجلي حدثني أبي قال رأيت بشر المربي مررة واحدة شيخاً فصيراً دميم المنظر وسخ الشياب وافر الشعر أشبه شيء شيء باليمود .

وكان يدخل المربي على المأمون وكان الشافعى والطوسي يذكرا أنه في مجلسه بما يكشف عن فساد رأيه : ثم كان أحمد بن أبي داود عن قرجم المأمون ، وبذلك استطاعت المأزولة أن تصبح ذات نفوذ ضخم بعد أن تقبل المأمون رأيهم في خلق القرآن .

وكان بشر المربي يقول بخلق القرآن إبان حكم الرشيد الذى توعده : وقال بلغنى أن بشرأ يقول القرآن خلوق والله ان أظفرنى الله به لاقتيله : واختفى اشر حتى ظهر في أيام المأمون واستطاع أن يكون من أهل الطاول ، قال الخطيب البغدادي انه ظل يدعوا إلى ذلك نحو اربعين سنة ويتوافف فيه الكتب .

وقد أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافاً إليه آنفه على أبي بكر وعمر فاشتارت النقوص منه ، وقد تحدث المؤرخون عن البدع المأمونية الأربع :

لبس الخضراء ونقيب العلوية ، والقول بخلق القرآن ، وأخذ الجندي بالتكبير بعد الصلوات الحسنه ، وإباحة زواج المتعة الذى رجع عنه بعد . وقد حل الناس على القول بخلق القرآن فكانت من أسوأ المواقف في حياته وأسود الصفحات .

(١٠)

بعد سبعين عاماً من وفاة أحمد بن حنبل ظهر أبو الحسن الأشعري مدافعاً عن [الأصالة الإسلامية] متخدناً نهج أحمد بن حنبل بعد أن أمضى (٢٣ - المؤامرة على الإسلام)

أربعين عاماً في صنف الاعتزال ، ولم يكن أبو الحسن راضياً كل الرضا عن طريقة الاعتزال لفلوها في التأويل وترجيع المعمول على المعمول . ولذلك رأى الأشعري أن الأصلة الإسلامية تقتضي أن يسلك طريقاً أكثر ملائمة لمفهوم الإسلام الجامع ، يوفق بين الدليل العقل وبين الوحي والسنّة ، وقد هدى إلى أسلوبه الذي اعتمد على النظر العقل في إطار القرآن والسنّة ، مقدماً السمع على العقل بعد أن كان المعتزلة يقدمون العقل على السمع وقد كشف أبو الحسن عن إنحراف المعتزلة عن منهج القرآن الجامع وطريق الإسلام المتكامل ، فقال لهم وجوهوا القرآن وجهة تتفق مع تخلياتهم وأولوه على حسب مذهبهم ، وخلبوا التفاسير عقول المسلمين لما حوت من فوحة الجدل وطلاؤة العبارة وبراعة المقدرة على الباس الباطل ثوب الحق ، ولذلك فقد استطاع الأشعري أن يرد عليهم بنفس أدلةهم السكلامية التي تعلمها منهم فاستطاع أن يدحضها ويرد على الحجج بحجج أقوى ، ومن ذلك قوله :

ان أهل الزيغ تأولوا القرآن على آرائهم وفسروه على آراءهم تفسيراً لم ينزل الله به من سلطاناً ولا روىه عن رسول الله ولا عن السلف المتقدمين وإنما أخذوا تفسيرهم عن ابن المزيل وابراهيم الفاظام والقوطي والأسكافي والجباري والبلخي وغيرهم من قادة الضلال ، ويقول ان أم ما أزعجه إن الجباري (أستاذه) ألف في تفسير القرآن كتاباً أوله مثل خلاف ما نزل الله وما روى في كتابه حرفاً واحداً عن أحد من المفسرين وإنما اعتمد على ما ورسوس به صدره وشيطانه ولو لا انه استقوى بكتابه كثيراً من العوام لم يكن لتشاغلي به وجده .

وبذلك نرى أن الإسلام يصحح طريقة ويحرر منهجه كلما انحرفت به جماعة أو دعوة تحاول أن تخرجه عن أصلاته وتكامله الجامع ، وقد كشف الأشعري أخطاء المعتزلة في خلق القرآن ونفي صفات الله والقضاء والقدر ،

وكلها مسائل جاءتهم من الفلسفة اليونانية ومنطق أرساطو الذي فرق المسلمين وفتح باب التأويل فقد أخذ المعتزلة بطرفهم في التأويل العقلي حتى يلغوا مع نفي الصفات الالهية إلى التمعظيل وقالت السكرامية بالتشبيه والتجسيم وقالت الجهمية بالجبر وكلها فروع من مفاهيم الفلسفة اليونانية والكلام اليهودي والمسيحي .

يقول السيد أبو الحسن الندوى : ظل الأشعري يتزعم المعتزلة أربعين سنة ثم ثار عقله الكبير ونفسه الفلقنة على مذهب الاعتزال ، ونشأ في نفسه رد فعل ضد قاويات المعتزلة وإمعانهم في القياس وتحكيم العقل وصار يشعر بأنهم أخضعوا الدين للمنطق الصناعي والمقديمات والأصول التي ظنوا وصور لهم ذكائهم أنها قطعية وناولوا القرآن على آرائهم وانتفع بأن الحق الصراح هو الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم وسلف الأمة .

* وقد عكف في بيته خمسة عشر يوماً يفكّر ويتأمل ويدرس ويستغذى الله حتى أطمأن نفسه واستقر رأيه ورأى أنه لا يسعه إلا بإعلان البراءة من الاعتزال والرجوع إلى مذهب السلف . شرّج إلى الناس بالمسجد الجامع بالبصرة ورق كربلاً ونادي بأعلى صوته : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفي فأنا أعرفه بنفسـي أنا فلان بن فلان كنت أول بخان القرآن وإن الله لا تراه الأبصار وإن أفعالـ الشر أنا أفعلـها ، وأنا نائب مقلع ، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحـهم وما يبـهم .

كان أخطر حاذبـ الاعتزال الاتجـاه إلى تقدـيس العـقل وتحكـيمـه في المسائلـ التي لا تـقوم إلاـ على تعـليمـاتـ النـبوـةـ والإـيمـانـ بالـغـيـبـ ، وـكـانـ مصدرـ ذلكـ هوـ الفلـسـفةـ اليـونـانـيـةـ التيـ وجـدتـ منـطلـقـهاـ فيـ موجـةـ عـارـمةـ كـادـتـ

تكتسح الابنان بالغيب والاعناد على تعلم الآباء . وإزدهر الفكر الفلسفى على حساب القلب والعاطفة وعلى حساب العمل .

وقد رد عليهم أبو الحسن الأشعري ونفعهم في جمالهم ومرأة كرم بمحاول إقناعهم بما افتتح به أخيراً .

أولاً : لم ينكِر الأشعري العقل ولكنَّه وضعه مكانه الحق . ليس العقل مقدساً وليس سلطة لا تحد وليس له الحكم على ما يتعلّق بالذات والصفات وما وراء الطبيعة .

ثانياً : أعلن أن مصدر العقيدة هو الرسُّى والنبوة المحمدية والطريق إلى معرفته هو الكتاب والسنة وما يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم وإن الكتاب والسنة هو مصدر المسائل التي تتصل بالآيات وما وراء الطبيعة وليس العقل المجرد والبنائيزيفا اليونانية .

ثالثاً : أثبت القدر لله ببارك وتعال خيره وشره وأنبت صفات الجلال لله من قدرته وعلمه وإرادته وحياته وسممه وبصره وكلامه وإن القرآن كلام الله غير مخلوق وإن الله تعالى موجود بربى بالأب صدر يوم القيمة وأفر السعيّات كلها وعذاب الفبر ومنكر ونكير والصراط والميزان والمحوض . وإن أسماء الله لا يقال أنها غير الله .

رابعاً : دعا الأشعري إلى التفوّض لله فيما ليس ميسوراً تعامله من الغيبيات ونها عن الجدل والمراء في الدين والمحصومة في القدرة ويرى أن على المؤمنين الصبر على حكم الله والأخذ بما أرسى الله والإنتهاء عما نهى عنه واحلاص العمل والنصيحة للمسلمين .

وأعلن أن المترفة تأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً ولا أوضح به برهاناً ولا نقوله عن رسول الله ولا عقبة السلف

وأنهم اتبعوا أهواهم في فهم الدين ولم ينظروا في الكتاب والسنة مجرداً ولم يتغذوا همأاماً ومصدراً لعقائدهم وأهواهم بل كلها تعارض القرآن مع ما إنطلقوا من آراء وعقائد تأولوا بها القرآن .

هذا وقد تطور مفهوم الأصالة الإسلامية كارسم الأشعرى على يد الباقلاني والجويني والغزالى وبذلك سقط مفهوم المعتزلة الذى اكتشف لصرافه وزيفه .

ولم يجد فى الإمكان انبهانه مرة أخرى بصورته الأولى المعرفة ، التي اعتمدت على فلسفات الأديان وعلى مفهوم الفلسفة اليونانية والكلام اليهودى وال المسيحى والتى توحى بأن وراءها هدف من أهداف إحتواء الإسلام ، وما كان فى الإمكان فصل هذا المفهوم الذى قاومه أحد بن حنبل ثم كشف عن زيفه الأشعرى وتابعه رجال أمثال الجويني والغزالى ما كان فى الإمكان فصله عن سياسة الدعوة [إليه] مرة أخرى فى العصر [الحديث] باعتباره مفهوماً فلسفياً أو نظرية مجردة بينما لم يكن هو كذلك وفي ضوء ذلك الواقع الأليم الذى فرض فيه المعتزلة مفاهيمهم المضطربة بقوة السلطان والتى لم تستطع مواجهة ضوء الحق ولا نور العلم والتى تخلى عنهم الذين حلواها ، ما عدا أصحاب المطاعم والأهواه ، ثم كيف جاءت الأبحاث الصحيحة ناسفة لكل دعائم الباطلة .

إن مطالب بعض الكتاب والمفكرين بالعودة إلى فهم المعتزلة ، يوحى بما وراء هذا المذهب في أوله من أهواه اليهودية وخطط الباطنية والمجوسية لخدم الإسلام ، وإعادة اصطدام هذا الأسلوب مجدداً في العصر الحديث وما فلان وفلان إلا خلفاء المرسي ، وابن أبي دؤاد ، وجهم بن صفوان .

(٢)

الإسلام والعقلانية

قال الإمام الشافعى : « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا بتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطورطليس ». وقد كانت الترجمة هي مصدر استعماله لبيان العقل الذي كان واحداً من عدة تيارات أخرى ، كالإيمان والوجدان فلما استعمله لبيان العقل بالذات ، كان ذلك ولاريب راجع إلى أن الفلسفة اليونانية التي استطاعت إحتواء الفكر اليهودي والفكر المسيحي من قبل وضعت ما سمي باللاهوت المسيحي بحيث أصبح العقل أساساً للإيمان ، أما الإسلام فقد كان له مفهومه الواضح عن العقل كأدلة بجوار عدة أدوات أخرى للإيمان منها الوجдан والإحساس القلبي .

لقد حاولت المعتزلة المزروج عن فهم الإسلام الجامع بنقد دليل العقل وأعتبره السبيل الواحد في البحث ، ولقد واجهت هذه النظاراة معارضة كاملة من الإصالحة الإسلامية على مدى العصور وكلما تجدد القول في المفلافيه وخاصة في العقل الحديث وكانت حجج الباحثين أن العقل والقلب في القرآن متراوكان ، وأن العقل سراج ذيته الوحي ، ولذلك فإن سيادة العقل كمصدر وحيد للمعرفة إنما يعني في حشد ذاته انتهاص شأن الوحي . ولاريب أن تصكيم العقل وحده وطلب سيادته على أحداث الحياة واتجاهاتها من شأنه أن ينقص من تكامل العقل والوحي ، وتلافق العقل والروح . ولاريب في تقدير الباحثين أن العقل غير كاف ولا بد من الاحتياج إلى نبي ووحي ، هذا النبي يماضي العقل يؤكد حكمه ويحمله ويثوق فيما يستقبل العقل بمعرفته فيكون ننان دليلين على مدلول واحد ويكون الوحي مرشد للعقل وهادياً فيما لا يستقبل بمعرفته مثل الغيب والمعاد ويكشف عن وجوه الأشياء التي لا يدرك العقل حسنها وفيها .

كذلك فإن الإسلام لا يقيم فاصلًا بين العالمين الروحي والدنيوي ، فليس في الإسلام شيء من قبيل اعطاء ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ، فـ كل شيء في الإسلام هو لله ، وليس في الإسلام فاصل واضح بين العالمين الروحي والدنيوي .

ولازم أن هذا الجو الذي دعاه إلى الفصل بين العقل والنقل في المسبحية ليس موجوداً في الإسلام فما يزال النص القرآني مونعاً حياً نابضاً بالحياة لم يتعوده أى تغيير من شأنه أن يجعله موضع الشك كما يحدث في النقل من الفكر الغربي سواء في المسبحية أو اليهودية .

ولقد كان العقل دائماً في الإسلام جارياً في إطار الوحي ، وقد أشار الإمام الغزالى إلى هذا المعنى حين قال : وظيفة العقل أن يشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز ، فالعقل لا يرشد إلى النافع والضرار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد ، ولكن إذا عرف فهم وصدق فالعقل خادم الدين الطيع وقد أجمعت الأصول العامة كلها على أن الوحي هاد للعقل ، وأن الدين يقود العقل إلى الصواب .

ويتساءل أحد الباحثين فيقول : لماذا لا ينبع العقل الإنساني في أن يكون بديل الحكمة الإلهية في تحرير النظريات الأساسية والأصول التنظيمية في المجتمعات الإنسانية وبجيب هل ذلك بقوله : إن الإنسانية تتطلب من يقرر أساس نظرياتها وأصول أنظمتها أن يكون فوقها ، لا أن يكون بينها ليهيمن على اختيارها من أعلى أعلى فإذا كان بينها انحصر أفقه في ذيده بعينها فيما منه ذلك من استفهام الحفاظ العلية ، والإنسانية في حاجة إلى من يصل إليها من فوق فيصل بصره إلى كل شيء ويخترق فوأصل الزمان والمكان فيستوعب قدر العالم كله وال عمر كله : عمر العالم ، لا عمر جيل من أجياله والإنسانية كلها على اختلاف شعوبها وقبائلها فهل هذا يمكن للإنسان .

هل يمكن أن يكون العقل وحده في الميدان بعيداً عن رعاية الله ، أن العقل في شرعاً مناط التكليف ومناط الفهم في تقبل العقيدة .

والإنسان عقل ونفس . فرب أن عقله قد آمن بالخطأ فهل ترى نفسه قد بررت من الهوى : الحكمة الإلهية وحدها التي تستوجب كل زمان ومكان وسع رب كل شيء علما ، الحكمة الإلهية هي التي تفترض عن التخيير أو التحامل لأن صاحبها غنى عن العالمين . العقل المخلوق الذي لم يشهد كيف خلق وكيف خلق المكون . ونخن بهذا لا نهدر العقل الإنساني بل نحترمه إذ العقل مصباح ينير إذا وصل بمولده الضرر به ذلك أن العقل يوصل الطاعة إذا وصل بربه وخالقه ، ولكن غيرنا يريد المصباح أن ينير بغير أسلاك .

والمؤمن هو الذي يقوم إيمانه على العقل والوجدان معاً ، أي بين الفكر والشعور ، فالعقل يلتقي مع القلب ، العقل وظيفته النظر في الفيزيات والأسباب والمسيريات والقلب وظيفته الشعور الباطني ، ولذلك فإن حصر الدين في منطقة الوجدان أو في منطقة العقل ذم عزير إسلامي والمعرفة موجهة إلى الباطن وهي معرفة حدسية شعورية ومعرفة عملية موضوعية . والمرفقان هررتبطان يكمل بعضهما البعض ويتمم أحدهما الآخر . والعلم الصحيح يقوم الوجدان ، والوجدان السليم من أشد أهوان العلم ، والدين الكامل علم وذوق وعقل وقلب ، وبرهان وإذعان وفكرة ووجدان فإذا انتصر الدين على أحد هذين الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه وهياه أن يقوم على الآخرى ولن يتحقق اتحاد العقل والوجدان حتى يكون الإنسان الواحد إنسانين .

وهكذا يقيم الإسلام قاعدة التوازن بين مختلف القوى في الإنسان وليس بين العقل والقلب وحدهما بل بين الروح والجسد أيضا فهو لا يقر المادية المفرطة ولا الروحانية المطلقة بل يوفق بينهما في تناسق وتوازن وموازنة تجعلهما يتكاملان في الإنسان نفسه من حيث هو جسم وروح .

وهو كذلك يوازن بينه كفرد وبينه كعضو في المجتمع وبذلك يتفادى الإسلام انحرافات الشطط والتطرف وبذلك يقضي الإسلام على ما يسمى بالصراع أو التناقض ويحفظ الإنسان وجوده بعيداً عن الانهيار والتدهير الذي يفرضه الأذلال؛ أو الجحود والتج忽ر الذي يفرضه الالتباس .

كذلك فقد رفضت الأبحاث المتعددة ما أورده بعض المتأثرين بالمعتزلة
من أحاديث موضوعة كحديث إقبال العقل وإدباره وأنه أول مخلق الله .
وهو حديث قال بوضعيه ابن القيم والسيوطى وضيق روايته كثيرون من
الحافظ في طليعتهم الحافظ الذهبي .

وقال إنما تكمن خطورته في الصيغة الرواية التي تشيع فيه مصورة العقل ب بصورة مادية ثم في إيمانه بنظرية العقول العشرة التي لفظها المغاربي وشاعت في كتابات الفلاسفة المسلمين وقد واجه علماء الإسلام هذه الأحاديث الملوثة: واجهها الحارث المخاسن وقد رسم منهجاً كاملاً قال فيه أن العقل غريبة أو نور ووافقه في ذلك الإمام أسدٌ، ووافق ذلك الأشاعرة وهو ما يقرره العلم الحديث وقد فرق ابن تيمية في رسالة (الفرقان) بين المظريتين الإسلامية واليونانية في العقل فقال أنه يراد بالعقل عند المفسرين المسلمين: الغريرة التي جعلها الله تعالى في الإنسان يعقل بها.

و كذلك أجمع الأبحاث المتعددة على :

(أولاً) : يجز العقل عن إدراك الأسرار الإلهية التي جاء بها الوحي الإلهي عن طريق الأنبياء . وعلى العقل أن يستند من الوحي ما دعا ومرشدآ وإلا فإنه يعجز كل العجز عن الوصول إلى المعرفة ^{الصحيحة} لما وراء الطبيعة .

(نافياً) : خاتمة العقل إلى المعرفة الخارجية لإرشاده إلى الأمور الإلهية التي لا يمكّنه الإطلاع عليها إلا بطريق الوحي أو الإطام .

(ثالثاً) فدراة العقل على تفهم المسائل كلها بعد الاطلاع عليها من الشرع
ولذلك فإن العقل محتاج إلى الاهتمام بالشرع .

(رابعاً) ثبت عجز العقل بذاته على معرفة الله والتمييز بين الحسن والقبيح
والخير والشر .

(خامساً) أن العقل لا يستطيع أن يحكم على شيء حتى يحصره في اثنين :
الزمان والمكان فيقول متى وأين فالم لم ينحصر بينهما لم يكن للعقل عليه
سلطان .

ولذلك ثابت العقل لا يستطيع أن حكم على الأزلية ولا على القضايا
والقدر ، وكل عمله ينحصر في فهم نصوص الوحي الذي جاء من خارج
العقل .

والعقل محدود ولا يستطيع أن يتصور غير المحدود ولا يحكم على غير
المنتهى والعقل لا يتصور الخلود (واقتده زوج غير محدود فالعقل لا يستطيع
أن يحكم عليه) فإذا حاول العقل الحكم على غير المحدود اخْتَلَ ميزانه ووقع
في التناقض والعقل لا يصح حكمه إلا في الأمور المادية ، أما (وراء المادة)
أي عالم الغيب (الميتافيزيقا) فلا حكم للعقل عليه .

(سادساً) لا يحق لنا أن نشك وجود أشياء مجرد أنت لا اندر كها بمحوا سنا
وقد أعطانا الله ببارك وتعالي قوة نصل بها إلى حيث لا يصل الحواس هي
قوة الخيال وهذا الذي قاله علماء الإسلام رددوه الفيلسوف الألماني كانت في
كتابه نقد العقل بعد تمامه سنة من تاريخ ما أورده الغزالي في مؤلفاته وقال
برجسون : إن الذهن البشري وحده لا يستطيع فهم حقائق الحياة .

(ناماً) محاولة الفلسفة لاستخدام العقل وحده في فهم الكون والطبيعة
هي مهمة يقصى دونها العقل ويرجع ذلك إلى محدودية العقل وعدم إحاطته

بعلم الله ، مما جعله فاحسراً في الحكم على ماهية المصلحة الحقيقية للبشرية لما
يرأه عقل أحد همها صالحاً يراه عقل آخر غير صالح .

ولذلك نرى قيود البشرية في فلسفات متناقضة ، نتيجة اختلاف العقول
ومقاييسها في تحديد وتعيين السلوك الفردي والاجتماعي .

(ناسما) أطلق الإسلام العقل الإنساني وجعله حراً ولم يحده وإنما
أوضح له المقيدة الصحيحة وإطار الحركة معها حتى لا يخطئه .

(عاشر) كان الفكر الغربي وجداً يابانياً كلياً ، ثم تحول إلى عقلياً كلياً ، هذا
مصدر الانصراف ومصدر القلق الغربي تج الآن من التفاوت بين علوم
المادة والعلوم الإنسانية ، وهو خلاف في أصله بين القلب والعقل ، استعمل
فيه العقل الحديث استعلاماً حجب به كل شأن من فنون الروح والمعنيات
فآمن بالمحسوس وحده ، ووقف عند المادة ك مصدر للقوة والسعادة ، وغفل
عن أن العقل محدود والمادة ليست كل شيء .

(حادي عشر) استقلال العقل الإنساني بتجييه الإنسان أمر خير وأمن
أما الإسلام فيضع العقل في إطار هداية الله من الوحي والشرع التي هي صمام
الأمن للعقل من الانحراف أو المطأ أو الميل إلى الهوى الإنساني وتهويرة ،
أو الاستكانة إلى الشهوات والمحضوم لها .

هذا الفهم لا يحول دون المذاع المادي بل يحول دون انتصار الإنسان
عليه باعتبار أن هناك متاعاً آخر غير مادي يشوق النفس الإنسانية فهي
تتراوح بينهما ولا انقف عند واحد منها .

(نافع عشر) أكبر أخطاء المقلالية المجردة هي اعتبار محبط الذات
الإنسانية القيمة النهاية والغاية التي يتوقف عليها نشاط الإنسان وسمعيه
في الحياة ، وإنكار غيرها ومحاودتها من قيم أخرى تتجاوز حدود الذات

الفردية لـ**النوات الآخرى** وإلى المجتمع وإلى الله تبارك وتعالى وإلى مداع
الحياة الآخرى وهو ما يطلق عليه اسم **القِيم العلَمِيَّا**.

فالاسلام يحقق القيم الذاذية ويؤكد الفردية ثم يدفع الانسان إلى أفاق أوسع نحو الجماعة ونحو الآخرة . وهو يتحقق المتعة المادية ولذلك يدفع الانسان إلى استكمال حقيقة وجوده بتحقيق المتعة المعنوية الروحية . فالنزعات العقلانية هي في ذاتها نزعة مادية لأنها توقف السعي عند الفردية والمادية وتحول ما بين الانسان وبين تحقيق الشعلر الثاني من تكوبته وكيانه وهو الجانب الروحي والمعنوى والاسلام يدعو إلى تكاملهما والموازنة بينهما ولا يعلى واحداً منهم على الآخر .

(نائماً عشر) سيطرة النزعة المقلية تحبس النفس الإنسانية في جسد المادة، وظلامها فتحول بيته وبين روح الإيمان والتفاؤل والتطلع إلى الأمل والمسلم لا ي Yas من روح الله ولا يعيش أموره على الواقع أو على الحاضر وحده وإنما يرى أن هناك عذراً آخر وبايا يغيب عن التقدير المادي والعقل ليقدرته في تغيير الواقع .

د. فان مع العسر يسراً أن مع العسر يسراً

فإن من أم الحريات التي يصدّها العقل : حرية الأمل وعدم اليأس فالعقلانية في حقيقتها سجن كبير ودائرة موصدة ، وطابع اليأس والتشاؤم التي يتمثل في الفكر الغربي والأدب الغربي مرده في الحقيقة إلى مقاييس العقلانية الصرفة التي تجدرت من المعنويات ومن رحمة الله .

(رابع عشر) من شأن النظرة المدققة لانسانية : حصر البشرية في « خانة » الانانية والعزلة بما يحول دون انسحاح أفق الرحمة والمطاء والبذل . والانقطاع عن الإنسانية العامة وهذا قصور إزاء أفق عظيم يقدمه الإسلام والدين بعمادة وهو بعد وحدة البشرية وتماطفها وبعد الأمان والرحمة والسلام .

(خامس عشر) أن النظرة الإسلامية هي نظرة إنسانية ونظرة متكاملة وليس نظرة مخصوصة في الفردية أو المادية وحدها ولكنها تجمع بين المادية والروحية والفردية والجماعية دون أن تفقد إرادتها عطاءها الصحيح .

(سادساً عشر) يرى الإسلام إلى تحرير العقل من كل سلطان إلا سلطان الله وما كان العقل من خلق الله فهو يخضع له فلا يشترط مع خالقه في النفوذ أو للثانية . وقد أودعه الله في الإنسان لا يبعده من دون الله ، بل يعرف الكون ويكتشف ما يلزم منه ، ويهدى به في الظلمات التي ليس العقل قدرة في كشفها إلا في صور الدين والعقل واسطة لا غاية ، وهو آلة تكسير على ما يتعدى ميدانها ولا تستطيع أن تتحدى ما يقوله الله .

والعقل ليس له قدرة التفرد بالنظر ، وإنما هو نور مصباح يكشف الظلمات ويسكتها ينكشف أمام نور الله . والعلماء المسلمون يرون أنه ما دام العقل أصل من نور الله فلماذا لا يتخذ نور الله كافراً له في ميدان العلم والفلسفة ففسير نور العقل ورائه .

(سابعاً عشر) لقد استطاع المفهوم الإسلامي الأصيل أن يقلب مفهوم الاعتزاز والعلقانية وان يبين فساد نظريتها لصورها وجزئيتها وكيف أن العقل لا يتمكن من إقامة البرهان إلا من طريق السمع أى النقل من الوحي ، وان العقل له حد يقف عنده وأن في أمور الدين ما لا سبيل إلى معرفته إلا عن طريق السمع وذلك هو الإيمان بالغيب (بما فيه الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار والصراط والميزان والبعث والجزاء) وبما فيه الإيمان بالملائكة والرسل والكتب .

فالعقل لم يمنع هذا كما أنه لم يمنع القدرة على معرفة كنه الله وصفاته .

ولقد كان في إنحراف المعتزلة الفدائي والجدد إسامة إلى الإسلام السمع

البسير وإسلامة إلى منهجه القرآنى السانع ولا ريب أن المهد هو في النهاية
إنكار الخالق ، والوسى والنبوة .

ومقطع الخطأ أن يكون المقل مهيناً على الشريعة قاضياً فيها بأهواء المصر
مهدراً لأوضاع المجتمعات المنحرفة .

والإسلام لا يواجه الواقع أياً كان ليقره ، أو يدرره ، وإنما يواجه
الواقع ليزنه بميزاته فيقرر منه ما يقر ويبلغي ما يلغي وينهى واقعاً غيره في
ضوء الحقائق الأساسية .

الباب الثاني
إحياء الفكر الصوفي الفلسفي

د أسدل الرمان ستار النسيان على كتب التصوف القديمه فظللت في رمسها

حتى جاء المستشرقون ينقبون عن مادة جديدة للفتنه يؤرّججون بما نيران
الخلاف بين المسلمين من جديد فوجدوا ضالتهم في آثار الصوفية فأقبلوا عليها
وقرموا في ضوء العقليّة المسيحيّة وعلقوس الرهبة أخيراً على تصوفين
وكتاباتهم وأسّهؤتهم أفكاره بجمعوا من آثار الصوفية في فنهم كل شاردة
وواردة وعنوا بتنظيم موضوعاته وترقيتها حتى يمكن القول أن بحوث
التصوف الحديثة وكتاباته كلها ترجع إلى عمل المشتغلين الذين اهتموا
فوق ذلك بالتعليق على موضوعاته وتجبيه مسائله الوجهة التي يرضونها بما
عرف عنهم من مهارة وصبر وإدراك إلى غاية . وهذا لهم تشكيل المسلمين
في معتقداتهم ومناهضتهم تعاليم الإسلام الصحيحة ، بالطعن فيها وترويج
الزائف من المفتريات التي قامت حوله ، فعلوا بذلك محسب المسيحيّة ودولهم
الطاومة في ثراه البلاد وتذرعوا من أجل ذلك بتعليم اللغات الشرقيّة ،

الإسلام والتتصوف الفلسفى

()

استهدفت المؤامرة على الإسلام في مصر الحديث أنباء الفكر الصوفي الفلسفي مختلفاً في نظريات وحدة الوجود والحلول والاتماد والفناء والتناسخ والإشراق وهي في بعدها مفاهيم دخلت على الفكر الإسلامي الأصيل ومستمدّة من الفكر الفلسفي اليهودي والمسيحي واليوناني والجوي والهندي يستهدف أبعادها زلالة مفهوم التوحيد الأصيل وخلق جو من الشكوك والريب في قلوب المؤمنين لزحزحتهم عن أصول عقيدتهم السمعية القرآنية الربانية القائمة على المطردة بعيدة عن التعقيدات والتهويات .

(٤) - المؤامرة على الإسلام

وقد تخصص عدد من المستشرقين لهذا الفرع من الفكر الاملاى اهمهم : ماسنيون وجولدزير وجب وبرون وما كدولالدو مارجلابوت ونيكلسون وفون كريمر ، وقد نجت المحاولات خلق تيارين مختلفين أحدهما يقول بأن التصوف الفلسفى مصدره الاسلام ويقول الآخر إنه ليس إسلامياً وقد اهتم المستشرقون بدراسة الفرق المنحرفة فدرس ماسنيون التصوف الفلسفى والباطنية والفرامطة والنصيرية واهتم بأهل الباطن والتاؤيل، واهتم أكثر من غيره بدراسة الاتحاد والخلول والاشراق ووحدة الوجود.

وهم يصدرون عن مفهوم الاعجاب بهذه الانحرافات عن مفهوم الاسلام الأصيل ويرون أن الفقه الاسلامى جاف وأن هذا المفهوم من التصوف هو الذى أعطى الاسلام ووحا لطيفة ، وهم يحملون قضايا التصوف فى ضوء الرهبانية المسيحية وبقياس رياضيات المفهود وبعدهم يجعل المسيحية أصل الصوفية عند المسلمين ويحاولون فى كل هذا الفرض من قدر مفهوم الاسلام الأصيل والادعاء بأنه ليس إلا واحداً من عدة مفاهيم ، وهم فى هذا يطرحون شبكات خطيرة يهدفون منها إلى تزيف الاسلام .

وجرى الكتاب التابعون لحركة التغريب وراء خطاط الاستغراق وتوسعوا فيها واهتموا بانبعاث هذه الفحل المنحرفة والاذاعة بها وكتب فى ذلك اطنى جمعة فى البلاغ عدداً من المقالات ككتب توفيق دباب عن تناقض الارواح وروجت الجمعية الشيوخ صوفية لهذه المفاهيم .

وحاول محمد توفيق دباب أن يقول بأن النعيم والمعذاب فى الآخرة معنوى بحث ، وتصدى له أحد العلماء فدحض فكرته واستعرض الأدلة القرآنية على أن النعيم والمعذاب فى الآخرة حسى ومعنوى معأ .

وما زالت قضايا التصوف الفلسفى تتجدد فى الفكر الاملاى جيلاً بعد

جبل ونجد لها في الجامعات مجالاً دراستها ولزيارة صدور الشباب بشكوكها وزيفها تحت اسم المعلوم الفلسفية.

ولاريب أن هناك غاية عميقة وراء تشجيع الزرّب والغزو الثقافي والتغريب للتصوف الهدام والفلسفي في بلاد المسلمين بتأليف الكتب عنه ونشر المؤلفات الملية بفهایمه المسمومة وخاصة مؤلفات الحلاج وأبن الفارض وأبن حربى .

فإنه ولا ريب يفسد مفهوم الاسلام الأصيل ويصرف عن طابعه الحقيقي ويهدى مقوياته وخاصة مفهوم الجهاد والتصديق والبذل والارادة الحرة القوية المنشطة عن الحريات والحق .

ذلك أن هذه المذاهب الصوفية الفلسفية إنما تُحاول أن تهدم في النفس المسلمة أبرز مفاهيم التوحيد الحالى بالدعوة إلى الزهد المبالغ فيه المستمد من آثار المسيحية ، أو بالاتكاء على الجوانب الروحية الحالصة وهو الجامع بين المادة والروح والاسلام لا يقر مذهب القول بحلول الله في جسد إنسان أو فناء الذات الإنسانية في الذات الالهية ولم يدع الاسلام إلى الرهبة أو الاعتكاف عن الحياة بل هو صريح في إنكار الانفصال عن الحياة والمجتمع بل يوجه دعوته إلى العمل والعبادة ومرافقة الله في العمل والعبادة .

وليس في الاسلام أهل باطن وأهل ظاهر فالاسلام جامع بين الظاهر والباطن معاً ، وجامع بين الفقه والأخلاق معاً ، فليس هناك فقه جاف وتصوف لطيف ، وتلك كلها مفاهيم غربية ومسيحية استمدتها المستشرقون من دياناتهم وثقافاتهم وأقوالها كسموم زاعفة في أفق الفكر الاسلامي ليخدعوا بها البسطاء السذج والذين لم يكتسبوا فهوم الاسلام الصحيح . والقرآن لم يذكر كلمة الزهد على أنها من الدين ، كذلك فإن الاسلام ينكر الرموز والشهادات والتهويات الغامضة كلها كما ينكر التأويلات التي تدمرها

رجال التصوف الفلسفى للنصوص القرآنية لأنها خارجة عن مفهوم
الإسلام الأصيل .

وما ورد في الطوائف للعلاج ونصوص الحكم أو غيره من كتب
ابن هربى أو السهروردى أو شعر ابن الفارض ليس أصيل بالنسبة إلى
الإسلام .

ولاريب أن ضخامة هذا العدد من المستشرى بين الذين ركزوا على التصوف
واشتغال البعض منهم بشخصية واحدة ، زهاء أربعين سنة كما فعل ماسنيون
بالحلاج ليكشف عن الغرض المسموم المبيت ، ولا ريب أن ما يقرره
نيكلسون وماسيون من أن المتصوفة المسلمين أخذوا بعض نظرياتهم وتمالئهم
من النصرانية مثل نظرية الحب الالمى أو من الثقاقة اليونانية (الأفلوطينية)
كنظريات الاشراق والمعرفة والخبر أو ما يراه برون وجولدزير وغيرهما
من أن الصوفية المسلمين تأثروا بالبوذية والهندية تأثيراً كبيراً في نظرية
الفناء ، كل هذا صحيح ، ذلك أن الإسلام في مفهومه الصحيح ودعيته القائمة
على التوحيد والقطرة لا يمكن أن يقر مثل هذه الشبهات المقددة .

مصادر التصوف الفلسفى هي : الفلسفة الاغريقية ، والديانات الهندية ،
والفلسفة الفارسية والبوذية واللاهوت المسيحي :

(أولاً) تمرب إلى التصوف مفهوم الفلسفة اليونانية الذى يقول بوحدة
الوجود والتى لا تفرق بين أنه تبارك وتمالى وبين خلقه ، وإنما ترى أن
الوجود كله هو الله .

(ثانياً) تسرب إلى التصوف مفهوم الفلسفة الهندية والهندوكية في التسامح ،
السائل بمعنى النفس الواحدة إلى الحياة مرات متعددة والغاية في نظام من
الننسخ أن تناحر فرص متعددة للنفس حتى تهنتب ، كما تسرب إليها من
الفلسفة الهندية مفهوم الفناء وهي الزرفاانا الذى هي عندم حال من فقدان

الشمور تتخلص النفس في أنسانه من الاحساس بالألم الذي يسببه لها إنسانها بالأجسام . والزفاذا ليست وجوداً إيجابياً ولكنها تخاص من الوجود المؤلم يقوم بها مقام السعادة والتنعم .

(ثالثا) تسرب إلى التصور الفلسفى من المسيحية : تعذيب النفس وترك السعي في الدنيا وكذلك فإن الحلول مأخوذ من المسيحية .

(رابعا) دخل التأويل الفلسفى على التصور من الفلسفة اليونانية ، ودخل الحلول والاتحاد والتناسخ من التصور الهندى ودخلت فسحة قهر الجسد بالتفشى والانقطاع عن التناسل من المسيحية .

(٢)

لا شك في التصور الفلسفى يتمارض تمارضاً تماماً مع مفهوم الإسلام الأصيل والدين قالوا به (الحلاج وابن عربى والشهرودى وابن الفارض وابن سبعين) تأثروا بالأفلاطونية المحدثة وبالعناصر التي أدخلها إخوان الصفا من لغريقة ومسيحية وفارسية الأصل ، ومنها المذهب المانوى والزردشتى وفلسفه فيلون اليهودى وفلسفه الرواقيين .

وقد دعا الحجاج إلى الحلول والاتحاد وجاء بعده ابن عربى الذى دعا إلى وحدة الوجود .

ودوا الشهرودى إلى الإشراق . ولا ريب أن فكرة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود والإشراق كلها غريرية على الإسلام .

وأبرز ما يحمله هذه الفلسفات مصطلحات : النجف والصدر والاشراق ووحدة الوجود والاتحاد والحلول والفناء وكلها مصطلحات دخلت على الفكر الإسلامى من الفلسفات اليهودية والمسيحية والأغريقية والفارسية والهندية .

ومن هذه المصطلحات والفلسفات إلى الفكر الواقف ،

دعا ابن عربى إلى وحدة الوجود ووحدة الأديان مستمدًا أصوله من
الخلاف ودعا ابن الفارض إلى الاتّحاد . وكان ابن عربى وابن الفارض على
مفهوم وحدة الوجود الذى يرفضه الإسلام وهو أن الله والمعلم شئ واحد
ودعا السهروردى إلى الاشراق .

وقد نقد ابن تيمية ابن الفارض وابن عربى وابن سبعين والخلاف وكيف
عن ذيفهم ورأى أنهم أنوا في الدين بشيء جديد ليس من جنس كلام الله
ولا رسوله ولا الصحابة .

وقد انتصرت أفكار الباطنة في الشيعة والتصوف ، كما انتصر في الالاهوت
المسيحي والفلسفة والمنطق الاغريق والفارسية الإشراعية المبنية من العقائد
الأسوية وفلسفة الحلول المبنية من الفلسفة الفلسفية .

ولاريب أن إعادة صياغة هذه القضايا من جديد في المسرى الحديث
يستهدف إضعاف مفهوم الإسلام الأصيل وإنارة الشبهات وتمزيق وحدة
المفهوم السنى الأصيل .

أولاً : وحدة الوجود

أخطر هذه المذاهب التي أحياها الاستشراف في التصوف الفلسفي «مذهب
وحدة الوجود» وهو مذهب هندي برمني ، أصوله مازلة ومستمدة من كتب
المنزد الدينية وأفكاره الفلسفية . وهو معارض تمام المعارض له مفهوم
الإسلام القائم على الفصل بين الخالق وخلوقاته . ويعنى مفهوم وحدة الوجود
تأليه المخلوقات واعتبار الكون هو الله . وهذا هو سر اهتمام المستشرقين بابن
عربى والخلاف .

والإسلام يفرق تماماً بين الله (جل شأنه) وبين العالم، وهو ما يقول به الفطرة الصافية والعقل السليم فسكلاماً يأبى أن يحمل الله هو العالم كله بما فيه، وهو قول لا يتفق مع إقامة الأخلاق على أساس وثيق ويحول دون المسئولية والجزاء.

ونظرية وحدة الوجود ليست أصلية المصدر، ولن يست ما عرف العرب أو أصحاب الأديان السماوية المنزلة، إنما هي فكرة ترددت في الفلسفات البشرية وهي من أهم إلهامات الإنسان التي تحاول أن تحرر الإنسان من تبعية أعماله ومن مستوى إيمانه الأخلاقية ليهذف لشهوته إلى غير غاية فهي لا تفرق بين الخير والشر ولا بين التقوى والفساد ولا بين الزهد والجشع ولا بين الفضيلة والرذيلة، وهي في صميمها دعوة إلى إنسكار الله .

ومفهوم الإسلام هو مفهوم الأصالحة: إن الله جل شأنه واجب الوجود
منزه عن الإتحاد بمنخلو قاته أو المحلول فيها والكون شيء غير صاحبه، والعالم
شيء غير الله، ولقد خلق الله الخلق وكافهم ورتب على التكاليف مثوابات
وعقوبات وازل بذلك كتبها وبعث رسلا، فالقول بوحدة الوجود نفي
للألوهية وإثبات للسكنات وحدتها، يقول الاستاذ محمد الغزالى: إن (وحدة
الوجود) عنوان آخر للإلهاد في وجود الله وتعبير ملتو للقول بوجود
المادة فقط وما دام لا يوجد شيء وراء هذا العالم فالقول بأن الله داخله هو
صورة أخرى للقول بنكرانه.

ولو كانت الأرض أزلوا ورجاناً ما صع أن تكون ذات الله . إن
الصاروخ شيء غير الإنسان الذي أطلقه ، وكذلك فـالـعـالـمـ شـيـءـ غيرـ الـرـبـ
الـذـيـ أـبـدـعـهـ وـسـيـرـهـ ، الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، له مقايد
السموات والأرض .

ويقول الاستاذ عبد النعم خلاف: لقد غزا مذهب وحدة الوجود

فهول بعض الفلاسفة والصوفية الذين آفتهم أن طلبوا أن يدركوا الله وما وراء الطبيعة بالحواس التي يدركون بها الطبيعة وبالعقل البشري المخلوق لإدراك النسب بين السكائنات الطبيعية وحدتها أولاً ، فلما عجزوا عن رؤيته تعالى وإدراكه كما هو المنتظر ذهبوا إلى أنه لا بد أن يكون الله هو هذا الوجود الظاهر وأنه يحمل فيه وليس له وجود منفصل عنه وهذا تحدى الوثنيين التي حاربها الأديان والفلسفات ممنا عظيمها من هذه الفلسفه .

وقد أرشدنا النبي صل الله عليه وسلم في هذا المجال فقال : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا .

ونخطاً وحده الوجود القول بأن السكل هو الله أو أن الله هو السكل والحقيقة أن السكل الله . فإله سبحانه وتعالى هو الحقيقة الوحيدة وراء هذا العالم ، حقيقة لأنها مادية ، فإله سبحانه لا يندفع في العالم ولا يندفع العالم فيه ولا يندفع في المادة ، ولذلك فإن قول أصحاب مذهب وحدة الوجود بأن الله والمادة وحدة لا تتجزأ هو خروج عن مفهوم الإسلام الحق . الذي يقول بأن كل مسبب لا بد له من سبب وكل معلول له لا بد له من علة والمسبب لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بالسبب وكذلك المعلول فإنه لا يوجد بذاته وإنما يوجد بوجود العلة فإذا زال السبب أو العلة زال المسبب وزال المعلول .

والله تبارك وتعالى قديم وهو أول وهو آخر ، والحدث مستعين عليه باعتباره من صفات المخلوقات والمادة مخلولة وحادته ولها خالق ، فإذا قيل بقدم المادة شاركت المادة الله في قدمه .

والملتون يؤمنون بثنائية الوجود : وهو أن الكون موجود ومنه كل عن الله . وأن الله تبارك وتعالى ذاتية قائمة مستقلة بذاتها عن الكون المادي . والكون كله ملائكة وبقسطه وهو المترضف فيه وهو الذي يمسكه لحظة بعد

أخرى ولو تخلى عنه سبحانه لاتهى وبالمثل فإن الإسلام لا يقدر القول بوجدة الوجود أو أن الله (نهاى عما يقالون علواً كبيراً) هو بمجموع هذه الموجودات.

وقد قال بهذا المذهب ابن عربى وتأثر في ذلك بنظرية أفلوطين ونظرية الحلاج في اللاهوت والنسوت. ولاريب أن كل ما يزدى إلى وحدة الوجود أو الحلول لا صلة له بمفهوم الإسلام الأصيل، ولم يكن معروفاً على عهد السلف الصالح ولم يتكلم عنه كبار الصوفية وقد يزدى لصاحبها إلى التزوج عن عقيدة الإسلام ،

ولقد كان النظر في التصوف بهذا المعنى كما يقول الدكتور محمد الجي : سيد البلاء كثير من المسلمين ونكاوة لكل إباحى يلتمس السبيل إلى نيل شهوانه تحت ستار من العقاد وآدم ملحد يريد أن يهدم الإسلام بتصعيد الشبهات أو معطل يحاول التخلص من تحكيم الكتاب والسنة .

[شخصية ابن عربى == وحدة الوجود]

ابن عربى هو من أجرأ من عرف في التعبير ، وكانت مرآوته أبرز معالم أسلوبه المجازى الذى خدع به الكثيرين وسر ذلك هو خوفه من القتل ، وحرسه على إفساد العقيدة وقد فتن به كثيرون ويعد كتابه الفتوحات المكية وفضوصن الحكم من أخطر كتباته وقد استمد نظريته في وحدة الوجود من (الفنونية + الأفلاطونية المحدثة + المسيحية) .

وقد أثارت فكرة وحدة الوجود موجة من الصراع الفكري العنيف واعتبرها أصحاب الأصلة الإسلامية من المحدثين والفقهاء والمفسرين والصوفية عقيدة متناهضة مع عقيدة الإسلام تناقضها مطلقاً بحيث لا يمكن التوفيق بينهما بأى وجه من الوجوه وقد سمى أسمى بلاسيوس كتابه عن ابن عربى : مفكر الإسلام التنصري . ولاريب أن ابن عربى اهتم من أسلوب التصوير الماطفى والرموز والاشارة والاهتمام على مفردات الخيال فـ .

الأمير طريقاً مفروضاً بالشوك بعيد الخطر في نفت السموم وهو يراوح بين أرائه المسمومة وبين أراء أهل السنة فتجذع بعض الناس ، ويحاول بذلك أن يجد له ملتمساً إذا ما حوكم أو كشف زيفه وهذا أسلوب أكثر خداعاً من أسلوب الحلاج .

١ يقول الدكتور محمد يوسف موسى : حنى الدين بن عربى ليس على الاطلاق فى تصوفه الفلسفى صوفيا مسلماً وإنما يشبه فى التصوف ابن سينا فى الفلسفة ، فإن سينا لا يمثل الإسلام فى شيء وإنما هو إمتداد للفلسفة اليونانية ، كذلك حنى الدين بن عربى ليس صوفيا مسلماً وإنما هو فيلسوف لا يمثل الإسلام فى شيء . إن تصوفه ينتهى بسرعة خطيرة إلى مذهب فاسق بخلاف الإسلام وينحالف كل دين ، انه ليس رجل دين ولا رجل زهد ، ولا تتصوف بل فيلسوف غنوصى صناعى بجمع موفق مفسق ، فهو كافلوطين وفيرون وقد بعثت فلسفته النظرية والأخلاقية عن الدين (أولاً) إنه بما ذهب إليه من القول (بوحدة الوجود) وما يستلزم هذا القول من اعتبار العالم كله صوراً وبجالى ومظاهر له الذى وحده الموجود قد أدى الأخلاق من قواعده ، إذ لا معنى للمسئولية الأخلاقية التي هي مناط الثواب والعقاب لأن الآثم أخلاقياً أن يقول : ما دام الذى اتخاذى مظير له هو الذى فعل حقيقة ما يظن انه فعل في فكيف يستقيم أن أكون أنا المسئول .

(ثانياً) يظهر أن حنى الدين بن عربى لا يت Hib أن يصل مذهبه إلى هذا الحد فيما يتعلّق بالأخلاق ، انه يرى أن الذى يصل إلى درجة الحبة الحق يباح له أن يتتجاوز حدود ما أزل اقه بعد أن لازم زمناً طويلاً حفظها ولاريب أن حنى الدين بن عربى قد جاوز أصلحة الإسلام بهذه الأمرين الذين جداً بهما شريعة الله . وذلك أخطر جوانب دعوته هو أن يحمل ظاهر الشرع من نصيب العامة . وإن لأهل التصوف باطننا خاصاً لهم وحدهم وهو في هذا يصطفع أسلوب التأويل الذى اصطبغته الباطنية .

ثانياً : الحلول والاتحاد

فكرة الحلول والاتحاد استمدّها الصوفية من المسيحية التي استمدّتها من المندوكة ، ذلك أنّ جانباً كبيراً من تعاليم المسيحية – على حد قول البيروفى من شاء هندي ويقول ماكس مولر : إن بين الديانة المسيحية والديانة البوذية مشابهة في بعض الوجوه : وخاصة الحلول والتتجسد ، وقد استمدّ الشيوصوفيا الحديثة نظرية الحلول من المسيحية ، وهناك قرابة وثيقة بين التصوف الهندى واليسوعية المثلثة . وقد تطرق هذا الرأى إلى التصوف الفلسفى من الاسماعيليين القائلين بالحلول وألمية الأمة ، ولذلك أخذ الصوفية عنهم القول بالإمام وهو المعروف عندم بالقطب .

وقد قال الحلاج بالحلول المسيحى واستخدم مصطلحاته وبذلك أدخل إلى الإسلام مفاهيم المعارض والمناقضة للتوحيد الحالى .

وعنه أخذ عبي الدين بن عربى نظرية الحلول الذى أخذها عن المسيحية المتأثرة بالبوذية كـ أخذ بن عربى بفكرة التثليث وذكر عبارات الكلمة والحقيقة الحمدية وكلها مفاهيم مستقاة من الفلسفة المسيحية .

وقد أشار آسين بلاسيوس فى كتابه عن عبي الدين بن عربى إلى تأثير النصرانية فى مفاهيمه وقال إن ذلك الأصل المسيحى كانت تشوّهه أحياناً بعض أفكار أجنبية أثرت فيه بطريق المحاورة والمعدوى ، فتناولاها ابن عربى بدون تمييز ولا انتباه لأسفلها ، وهكذا اتصف صوفيته فوق اتصافها بروحانية النصارى بعض مظاهر يستند فيها إلى الآباء الطوائفية المحدثة الاسكندرية وإلى نظريات القنوص وما فيها من مزيج مذهب و إلى المزدكية الفارسية بل إلى البوذية الهندية ،

ولا شك أن هذا المفهوم يخرج ابن عربى من دائرة مفهوم الإسلام
الأصيل خروجاً تماماً.

وقد ركز المستشرقون حول فكرة الحلول والفناء والحب الإلهي لهذا الغرض ، ولأنهم يرون أن هذه المفاهيم من شأنها أن تخرج المسلمين عن حقيقة دينهم وعن التوحيد الخالص وعن الجهاد في سبيل الله . ذلك أن الاعتقاد بالحلولية يسقط التكاليف كلاماً ، ومن بينها الجهاد . ومفهوم الحب الإلهي ، وهو حب الفناء يصرف دعاته عن الاحتفاظ بما يسمى وحدة الجماعة الإسلامية التي يدھو الإسلام إلى صياتها ودفع الاعتداء إليها ولاريب أن فكرة الحب الإلهي تناقض فكرة الجهاد في سبيل الله تماماً كما تعارض مبدأ الزواج وتكون الأسرة .

وقد نبه المستشرقون إلى مدى خطورة إذاعة هذه الآراء وترديدها ، ذلك لأن فكرة الاتحاد إنما هي في جوهرها تعطيل لأحكام الشرع ، ولأنها تنتقص رسالة الإسلام في وحدة الله وتنزيهه عن المآق وصفاته وهي لكونها تستتبع فكرة التناخ تحمل من الله - علا وجل - موجوداً متقلباً وذلك يتناق مع صفاته جل شأنه وهي البقاء والقيام بالنفس ، كذلك فقد استهدف الاستشراف بالدعوة إلى الحلول والاتحاد الترويج لفكرة المسبحة نحو تأليه عيسى النبي والدعوة إلى شيء لا يقره الإسلام وهو التقاض الأولية والبشرية أو الالتفاق بين الأولية والنبوة في إنسان وهذا ما ينشده رواد المؤامرة على الإسلام وغاية من أكبر غايائهم .

إن مذهب الحلول يرى خلاف ما يرى الإسلام والدين الحق المنزل من رب العالمين أياً كان ، ذلك أن مذهب الحلول يرى أن الله والعالم امتزجا وأن الله والقوى الداخلية الفاعلة في العالم متراداً فان ، وهذا ما يسمى بمذهب الاتحاد بين الله والعالم ، أما الدين الحق المنزل فيرى أن الله والعالم والخالق

والخلق ، والروح والمادة : عنصران اثنان لا عنصر واحد . ولا يقر
الاسلام الواحدية التي تقول بأن الله والعالم والمادة والروح والخلق
والخلق شيء واحد .

وقد رد المسلمين قول ابن عربى الذى قال إن ذاته وذات الله قد أصبحت
ذاتاً واحدة أو إن مظاهر العالم المختلفة هي مظاهر الله تعالى ، أى ليس الله
وجود إلا الوجود القائم بالمخلوقات . والmuslimون يقولون بأن الله هو صاحب
كل شيء وخلق كل شيء ومالك كل شيء ، ولكن الله جل شأنه ليس حالاً
أو متحداً بهذه الأشياء كلها ولا بالإنسان ولا يقر الاسلام مذهباً بحمله الله
في جسد الانسان أو الأشياء .

وما قاله ابن عربى من أن الخالق يحمل فيهم ، هذا المفهوم أجنبي عن
الاسلام والمقيدة الاسلامية ، والعقيدة الاسلامية تفاصير كل المفاهيم .

يقول الامام ابن تيمية : إن الاتحاد بين الخالق والخلق ممتنع ، لأن
الخالق والخلق إذا اتحدَا فاما أن يكونا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبله ،
وهذا تعدد وليس باتحاد ، وإما أن يستحيلَا إلى شيء ثالث كما يتعدد الماء
والبن والنار والحمد لله فيلزم أن يكون الخالق قد استحال وبدل حقيقته
كسائر ما يتعدد مع غيره ، وهذا ممتنع على الله إذ الاستحالة تقتضي عدم
ما كان موجوداً والله تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته الملازم له والتي هي
كما ، والتي إذا عدلت كان ذلك نقصاً ينتزه الله تعالى عنه .

وقد أشار الامام الغزالى في كتابه فضائح الباطنية إلى فساد فكرة
الحلول ووصفها بأنها ضرب من الحافة ، ذلك أن الحلول لا يمكن تصوره
بين عبدين فكيف يمكن تصوره بين الرب وللعبد ، ومهما بلغت روح
الصوفى من الصفاء فكيف يمكن أن يدعى أن تكون مى هو ، ولأن سلم
أحد يامكان ذلك بالنسبة إلى نفس واحدة فكيف لا يسلم به جميع النفوس ،

وَعِنْ ذَلِكَ يَصْبِحُ الْعَالَمُ كَاهْلَةً ، فَنِحْيَالُ أَنْ يَحْلِ الْهَمَّ فِي النَّفْسِ وَأَنْ يَنْطَلِعْ فِيهَا اِنْطَبَاعُ الْخَرْقِ فِي الْبَلْنِ فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ صَفَاتِ الْأَجْسَامِ .

وَعِنْ فَكْرَةِ الْاِتْحَادِ يَقُولُ الدَّكْتُورُ مُحَمَّدُ دَقَامُ مُسْتَشِيدًا بِالْاَمَامِ الفَزَّالِيِّ :

إِنَّ الْعُقْلَ الَّذِي يَبْرُهُنَّ لَنَا عَلَى بَطْلَانِ فَكْرَةِ الْحَلْوَلِ هُوَ الَّذِي يَبْرُهُنَّ لَنَا عَلَى أَنَّ فَكْرَةَ الْحَلْوَلِ أَظْهَرَ بَطْلَانًا لَأَنَّ قَوْلَ الْفَاقِلِ أَنَّ الْعَبْدَ صَارَ هُوَ هُوَ الرَّبُّ كَلَامٌ يَتَنَاقِضُ مَعَ نَفْسِهِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْزَهَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ عَنْ أَنْ يَجْهُرَ لِلْلَّسَانِ فِي حَقِّهِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْمَحَاوِلَاتِ . . .

وَطَرِيقَةُ الْبَرْهَنَةِ عَلَى فَسَادِ ذَلِكَ عِنْدَ الْفَزَّالِيِّ هُوَ أَنْ يُورِدَ ثَلَاثَ اِحْتِمَالَاتٍ مُمْلِئَةً هَذَا الْاِتْحَادِ الْمَزْعُومِ وَهِيَ :

(١) إِمَّا أَنْ تَنْظُلَ كُلُّ ذَاتٍ مِنَ الْذَّانِينَ مُوجَودَةً .

(٢) وَإِمَّا أَنْ تَنْفَى إِحْدَاهُمَا وَتَبْقِي الْآخَرَى .

(٣) وَإِمَّا أَنْ يَفْنِيَا مَعًا .

وَفِي الْحَالَةِ الْأُولَى لَا يَكُونُ هُنْكَ اِتْحَادٌ ، وَفِي الْثَّانِيَةِ كَيْفَ يُمْكَنُ الزَّعْمُ بِأَنَّ هُنْكَ اِتْحَادٌ بَيْنَ مُوجَودٍ وَمَدْعُومٍ ، وَفِي الْثَّالِثَةِ لَا يَكُونُ هُنْكَ عَلَى لِلْحَدِيثِ عَنِ الْاِتْحَادِ بَلِ الْأُولَى أَنْ تَكَلَّمَ عَنِ الْانْدَامِ . فَالْتَّنَاهُرُ وَاضْعَافُهُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْاِحْتِمَالَاتِ .

وَالْعُقْلُ هُوَ الَّذِي يَقْرُرُ وَجُودَ هَذَا التَّنَاقِضِ وَالْعُقْلُ نَفْسُهُ هُوَ الَّذِي لَا يَسْقِيْنَ قَبْوِلَ هَذَا التَّنَاقِضِ بَعْدَ أَنْ جَاءَ الشَّرْعُ يَبْيَنُ فَسَادَ فَكْرَةِ الْاِتْحَادِ عِنْدَ النَّصَارَى ، فَأَصْلُ الْاِتْحَادِ بِاطَّالٌ وَحِيثُ يَطْلُقُ الْاِتْحَادَ وَيَقُولُ هُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِطَرِيقِ التَّوْسِعِ وَالتَّجْوِيزِ .

[شخصية الحلاج = الحلول]

وتكشف شخصية الحلاج حقيقة أمره ودھونه .

قال صاحب الفهرست أن الحلاج كان رجلاً مختالاً مشعبداً يتعاطى
مذاهب الصوفية وينتحل ألفاظهم ويادعى عن أصحابه الألوهية والقول
بالحلول : وكان يقول « أنا الحق » وقد استغوى الحلاج العامة بمخاريق
كان يعتقدها من قبل لنشاطه المستور بهذه الأعمال يقول صاحب الفهرست :
كان الحلاج جسراً على السلاطين يروم افلاب الدول وقال إمام الحرمين
الجوبي : إن الحلاج كان يريد قلب الدولة والتعرض لافساد الملك .
وقال ابن خلكان إنه كان على اتصال وثيق بالقراطمة وكما أكثر التطاويف
في بلاد الخلافة الاسلامية وهو يحمل الدعوة الشيعية والدعوة القرمانية
وقد عزته الدولة خطرأ عليها وأرادت التخلص منه .

والحلاج يقول بالحلول : أى حلول الله في الانسان ؟ أى أنه هو والله
شئ واحد كما تقول النصارى في امتزاج الطبيعة الالهية بالطبيعة الناسوية :
ولفظ الحلول يقابل عقيدة التجسد ، والتجسد يوم علی أسماء نهائية
الطبيعة الالهية أو كما يعبر عنه باللاهوت والفاوسوت الذي وصفت به شخصية
المسيح في المفهوم النصراني ومن شبهات الحلاج قوله : إن الأولياء أفضل
من الأنبياء ، وإن من بلغ الغاية القصوى في الولاية سقطت عنه الشرائع
كلها وحلت له المحرمات ولا ريب أن هذا يخرج مفهوم الحلاج عن دائرة
الاسلام تماماً ، وقد قال الغزالى عن نظرية الحلاج : إن اتحاد العبد مع
الرب هذه قصة مفضوحة عقلاً غير مقبولة نقاً .

وقد وصف الحلاج بأنه رجل مجموع الأصل اشتغل بالمخاريق والخيال
وادعى العلم بالأسرار ثم تناهى إلى ادعاء الشبوة ثم الربوبية واستغوى غلمان
قصر المقتدر بالله العبامي لينفذ بهم إلى تحقيق غايته فأدى ذلك إلى قتلهم .

وذكر إمام الحرمين في كتابه الشامل : أنه كان بين الحلاج وبين الجناب رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب الدولة وأن هذا هو السبب الحقيقي في قتل الحلاج .

وقد انتم بمعارضة القرآن .

واعترف نيكسون بأن الشك حام حول الحلاج وأنه كان يدعو للقرامطة ويبشر بذهبة المؤمنين والكفرة على حد سواء ، ومن هذا كان الحكم عليه بالموت عادلاً والمعروف أن الحلاج حوكم أمام الخليفة المقىدر وكانت قاتمة اتهاماته هي :

أولاً : رسائلة السرية مع القرامطة أعداء الخلافة والدين .

ثانياً : قوله أن الحج ليس بغرض ديني عام .

ولقد ترك المسلمين الحلاج سنوات طويلة ينادي في سوق بغداد أنا الله ، أنا الحق ، سبحان ما أعظم شأنى . ماف الجنة إلا الله ، لقد تركوه في شطحه يتكلم بهذا في حالات صحوه .

يقول الدكتور النشار : ولم يقتل الحلاج لأنه أهان الاتخاذ بالله . ولكن الوزير حامد بن عبد العزيز قتله أو طلب من الفقهاء الفتوى بقتله ، بسبب سيامي أو بمعنى أدق بسبب على ، أنه في الفترة الأخيرة من حياته نادى بييقاف ركن من أركان الإسلام العملية وهو الحج ، نادى الحلاج بالحج بالهمة والحج بالهمة نوع من المراجج الصوفى تنتقل فيه النفس من مكان إلى مكان مختزلة الحجب واصلة إلى مدرتها الأخيرة ، وحين نادى بهذا لم يقتله المسلمين ولكن حين أبقي كعبة في بيته ودعا المسلمين أن يمحجو إلبيه تقدم سيف الشرع إليه فقتلته وقد أشار إلى قتله بسبب هذا مظالم مؤرخى التصوف بل أنها نجد محى الدين بن عربى بذلك هذا وأفتي الفقهاء بقتله لأنه

أبطل الحج و كان قد طلب أن ترفع إلية الزكاة والصدقة و حاول إبطال
قواعد العبادات .

وقد أشار السيد رشيد رضا (المدار ٩٢ ص ٤٠) إلى ما الداعي للهلاج
من مواطنات كان الغرض أن يلقى في روح العامة وأشباه العامة أنه عن آخرم
له بعلم الغيب والقدرة على المعجز من الأمور وقال أن أكثر خاريق الحلاج
من باب المواطنات والمواطنات جمع مواطنة وهي الاتفاق بين اثنين أو
أكثر على أمر ، والخاريق جمع محرق . ومواطنات الحلاج أنه كان يتافق
مع أناس من رجاله على ما يلبسون به على الناس بدعوى السكرامات وقد
اكتشف ذلك في هصره كابينة التفريخ في جامع التواريخ (نشوار الحاضرة)
ومنه أن رجلاً بصفة مسترشد وإنما هو مخبر فقال له الحلاج : اشته على
ما شئت ، فقال أريد سكاك طرياً وكأنوا في بلاد الجبل البعيدة عن الانهار
والبحر فدخل بيته خالياً من داره وأغلق عليه بابه وعاد بعد ساعة طويلة
وقد خاضن وحلا إلى ركبته وبيده سككة تضطرب زعم أنه دعا الله فأمره أن
ينذهب إلى البستان قال فمضت إلى البستان ، فصبيت إلى الأهواز وهذا الطين
حتى أخذت هذه .

قال الرجل : تدعني أدخل البيع فإن لم تكشف لي حيلة فيه آمنت
بك . فقال : شأنك فدخل وبعد عناء وتفتيت اهتدى إلى دار كبيرة فيها
بستان عظيم وفيها صنوف الفاكهة والثمار والنوار وفيها ماليس في وقته ولسته
محفوظ بصلة صناعية ووجد فيها خزان ملبيحة فيها أنواع الأطعمة الناضجة
والحروائح لما يجيء بسرعة ورأى في الدار بر كمام ملوكه سكاكاً فأخذ واحدة
منها وخرج قبعة الحلاج فرمى بالسمكة في وجهه وصدره و Herb وأقسم
الهلاج ليقتلته إن حدث أحداً بذلك ولو في قطع الأرض ولم يحدث بها
الرجل إلا بعد قتلها لعلمه أنه لو أسر أحد المفتونين به إن يقتله فإنه يفعل .

ثالثاً - الإشراق

٣ - مذهب الإشراق مذهب يو نانى مستفاد من نظرية الأفلاطونية المحدثة قال به السهروردى ، وهو جماع شطائز من الفلسفه اليونانية الوثنية والفلسفه الجبوسية الفارسية ، وجماع آراء وتيارات راجت عند السريان وانتقلت إلى الفكر الإسلامي في عصر القرمة وتنسب الحكمة الإشرافية إلى أفلاطون ثم إلى دعوة الأفلاطونية الجديدة في مدرسة الإسكندرية ، ومذهب الإشراق خارج تماماً عن مفهوم الإسلام ويعبر عن الله بالنور ويصف العالم بأنها أنوار مستمدة من الله . وهو مالم يقل به القرآن أو رسول الله أو الصحابة .

ولقد اهتمت طائفة من المفسررين بالسهروردى ونظرته ، ونشواوا الكتب القديمة التي كشف المسلمين عن زيف مفاهيمها وتجاوزوها إبان عمر الترجمة وأعادوها جذدها باحياء هذه المفاهيم مرة أخرى وترجمها في الفكر الإسلامي لإثارة الشبهات والشكوك في نفوس بعض المسلمين الذين لم يتمتعوا بمفهومهم الأصيل ، وكان بروكلاند وآر. ريز ، وفادي برج من أوائل هؤلاء فترجموا (مياكل النور) للسهروردى وقام ماسنبون صديق الحجاج بالاهتمام برسائل السهروردى التي جمعها تحت اسم الحكمة المشرقية وأولى ذلك اهتماماً كبيراً باول كراوس وهنرى كوربان وقال هؤلاء أن شخصيته السهروردى وكثبه تمثلان لحظات جوهريه في تاريخ الفكر الإسلامي .

وتبعهم في ترجمة ذلك والإهتمام به عبد الرحمن بدوى وابراهيم مدكور وأحمد أمين وقد وصف رجال الأصلحة الإسلامية مفهوم السهروردى بأنه زائف ومضلل وواحد وليس من مفهوم الإسلام ونسبوه إلى التقطيع واتهموه بانتحال العقيدة خاصة في قوله بأن الله قادر على أن يرسل نبياً بعد محمد وأنه كان يعني نفسه .

ويعتبر المذهب الاشتراقي في جملته مذهبًا أفلاطونيا حل في جوانبه ما اشتغلت عليه التيارات الفلسفية الإسلامية السابقة عليه وخاصة كتابات ابن سينا ويدور المذهب حول فسحة الاشتراك ، وهو يصف الله جل شأنه بنور الأنوار ، ويستعمل نظرية العقول المشتركة : الونية اليونانية ، تحت اسم الأنوار . وقد ابتعد عالماً أو سط بين العالم الحسي والعالم العقل اسماء البرزخ ، وأخذ هذا من أفلاطون .

ومذهب خليط من الفلسفه اليونانية والفلسفه الفارسية وكلاها ونهاية لا تؤمن بالله الواحد وستعارض مع مفهوم التوحيد الإسلامي ، وهناك اتصال واضح بين ابن هرثي والخلاج والشهروردی في الاعتماد على الفكر القديم الهلنی والعنوصی معاً .

وشخصية للشهروردی تعنى المفهوم الحقيقى لمذهبة وقد وصفه أحد المدافعين عنه والتاشرين لفسكه : سامي الكبائى بما يكفى فى تصوير حقيقته قال : لم يكن مظاهره بما يلقى الحيبة أو الاحترام فى نقوص مستقبله ، أهل نفسه أو كاد ، وببلغ به الاموال حتى كان على حد قول بعض من أدرخ له : ذرى الخلقة ، دنس الثياب ، وسمع البدن ، لا يغسل له ثوبه ولا جسمه ولا يداه ولا يقص ظفراً أو شعراً ، وزادوا على ذلك فقالوا : إن القمل كان يتناول كل وجده ويسمى على ثيابه وإن كل من يراه يهرب منه .

هذه الصورة تدل على العقلية، وتدل على الفكر ، ولم يكن دعاه الإسلام يوماً إلا مثلاً للنظافة والسمك والخلق ، وكان رسول الله يُعرف قبل قدوته بريح المسك ، وقد وصفه تلميذه الشهير زورى صاحب كتاب نزهة الأرواح بأنه كان في مستوى العامة يضرب شعره ولحيته إلى الشقرة ، وإنما كان يميل إلى الساع و كان يبدى احتقاراً شديداً لكل مظاهر السلطان والأبهة الدينوية ، وقد أنارت كل المصادر التي كتبها عنه إلى « قدارته » ، ومنها أنوار البلاد

وأخبار العباد للقزويني واعلام النبلاء بتاريخ حساب الشهباء - ٤ وكانت آراءه خارجة على المفهوم الأصيل للإسلام، وقد كشفت مناظراته مع العلماء عن جهل وشك وشغوفة وتضارب حتى اتهموه بالزيف وانحلال العقيدة .

وقد خلط في عقله تلك الفلسفات الاغريقية وال الهندية والفارسية ،
وأراد أن يبدع من هذا المزيج ما أسماه الفلسفة الاشرافية .

ولم يكن هذا كله ليضع السهروردي في الموضع الذي وضع فيه لولا موقفه من خصوم الاسلام وتعاونه معهم ومراساته لمياهم .

بقول الدكتور عمر فروح : إن النهاية الظاهرية هي الاخداد ولكن يبدو أن السبب الحقيق هو انه أنار شكوك الدولة الفاتمة بكثرة تطاويفه ونشاطه السياسي ، ويروى سيف الدين الآمدي قال اجتمعت بالسهروردي في حلب مقال لـ : لا بد أن يملك الأرض فقلت : لملك تعنى بالعلم . قال لا : وكان لا يرجع عما وقع في نفسه من أن يملك الأرض فعلاً وكان مصدر محاجنته وقتله ٦٣٢ .

ولاريب أن مذهب الاشراف بعيد عن جوهر الاسلام فقد قام مفهوم الاسلام الأصيل على أصول ذاتها من القرآن والسنة الصحيحة واتخذ من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وشمائله نموذجاً تطبيقياً لا ينعدم المسلمين إلى هوى أو بدعة ، ولا يطمعون في زيادة عنه ، مؤمنين بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتم عن أمته شيئاً ما من دين الله وأنه جاء ليتمم مكارم الأخلاق وانه هو الذي حذر المسلمين من دخول جحر الضب الذي دخله من كان قبلهم : يعني هذه الوئنيات من الفكر البشري الراهن الذي قدم من الاغريق وفارس والهند .

بفناه النهان في الانهان ، وخطأها أنها تجعل الحال والخلق شيئاً واحداً .
ويقول الباحثون أن كلام الصوفية في الفناء أدى بهم إلى القول بالاتحاد
دخل إلى الفلسفة الصوفية من كتاب البوذية التي أثرت في ابن سبعين الشافعى
الذى يقول أن الحب يغنى في محبوه حتى لا يكون فرق بين حب ومحبوب .
ولا يقر الإسلام مذهباً بفناء الذات الإنسانية في الذات الالهية .

٤ - فكره الإنسان الكامل تأثر فيها المتصوفة بشعر الفرس وتبناوا
ما فيه من نزعات حلولية التفت عهدم بفكرة وحدة الوجود اليونانية
وتبلورت في شعر ابن الفارض وابن عربي ، وبلغت نهايتها في نظرية الإنسان
الكامل لابن عربي . وليست فكرة الإنسان الكامل إسلامية المصدر فهي
ما ورد في كلام أرسطو وأفلاطون ثم رددتها الفارابي وجاءة إخوان الصفا
 واستعملها الحسيني في مؤلفاته ، وهي محور تعاليم البرهانية . ومصدرها
المانوية الإيرانية القديمة . كما ترد نفس هذه الفكرة في فلسفة فيلون وفي
الفلسفة البوذية حيث يكون بوذا أكمل مخلوقات الله .

ونستهدف فكرة الإنسان الكامل لإجاد قطب أو وسيط للوصول إلى الله
سبحانه وتعالى ولذلك فإن هذه الفكرة يسقطها الإسلام ويرميها بالزيف والفساد
إذ لا يقر الإسلام وجود وسيط بين الحالق تبارك وتعالى وبين الإنسان .

ويحصل بهذه النظرية الكلام عن الحقيقة المحمدية وتصور النبي ﷺ
بصورة غريبة حقاً بعيدة عن الصفة التي يصفه بها القرآن والتي يصفه بها
الصحابة وكبار التابعين .

ابن الفارض :

فهم ابن تيمية مذهب الفارض على أنه وحدة وجودية مبنية على الخلول
والاتحاد وعنه : أن مثل القائلين بوحدة الوجود كمثل النصارى .

وأن في قول هؤلاء من المكفر والضلال ما هو أعظم مما في قول اليهود والنصارى وقال ابن تيمية أن موقف ابن الفارض لم يكن موافقاً لتعاليم الإسلام ولا مأرخ عن النبي والصحابة والتلاميذ ومن إلى أولئك جميعاً من السلف الصالحة وأن القول بوحدة الوجود والحلول هو من سوء الاعتقاد ما ينافي الإسلام الصحيح .

وهذا الذي يراه ابن تيمية في ابن الفارض هو رأيه في ابن سبعين وال Hague والكرمانى وعفيف الدين القلسانى من القائلين بوحدة الوجود الذى يصدر أصحابها عن أصلين باطلين يخالفان دين الإسلام غالباً ما للعقل والمنقول وأحد هذين الأصلين هو أن الحلول والاتحاد وما يقاربهما من قول بوحدة الوجود هو مذهب القائلين بأن الوجود واحد لا فرق في ذلك بين الوجود الواجب للخالق والوجود الممكن للمخلوق .

أما ثالث الأصلين فهو الاحتياج بالقدر على فعل المحظوظ . والقدر في رأى ابن تيمية يحب الإيمان به ولا يجوز الاحتياج به على خلافة أمر الله ونبهه ووعده ووعده .

وقد ناقش هذا الاتجاه وأدانته كثيرون منهم ابن حجر العسقلاني وبرهان الدين إبراهيم البقاعى الذى ألقى كتاباً بين تناول فيما ابن عربى وابن الفارض وأبان عن ضلال مذهبهم وفساد عقidiتهم وانحلال خلقيهما .

ـ تنبئه النبي على تسكعير ابن عربى .

ـ تحذير العباد من أهل العناد بيدعة الاتحاد .

وقال عضد الدين الأبيهى صاحب المواقف عن ابن عربى أنه كان كذلك بأحشائى كأوغاد الأوباش وأن قولهم أن وجود الكائنات هو الله تعالى يعني أنه لآبى ولارسول ولا رسول ولا مرسلاً إليه .

وقال أن ابن عربى له خداع كثیر غر به خلقة فأثنى عليه بذلك قوم من المؤرخين خفي عليهم أمره وأن العلماء اتفقوا على تكفيره بحيث أصبح بذلك أمرًا إجماعياً ، وقال أنه لم يوجد لابن الفارض في كل أعصره من ذكره بحالة نداء عليه به الله أو ولادة ولا ظهر منه علم من العلوم الدينية ولم يدح النبي بقصيدة واحدة مع كثرة سفره فدل بذلك على سوء طويته ، وأن القدر قد نقل فيه ذلكاً قطعياً عن محبيه ومبغضيه .

وأن شراح نائمه وكلهم من التابعين اطريقته ، والمتقدون عليه من
أهل السنة أن أهل زمانه وكلهم من أهل الشريعة رموه بالفسق والإباحة
وقد عدد البقاعي نحواً من أربعين عالماً كلهم من دعائم الدين من عصر ابن
الفارض إلى عمر الباعي وكلهم يرمى الرجل بما ينظامه في سلك الكفر أو
الزنادقة أو الملحدين أو الإبا Higgins ويخرج مذهبهم فيسلكه في عداد المذاهب
الضالة والمفائد الفاسدة . ومن هؤلاء عز الدين بن عبد السلام وأبن دقيق
العيدي وتف الدين السبكي وبدر الدين بن جماعة وذين الدين الحنفي ويتهم البقاعي
ابن الفارض وأبن عربي في خلقهما ويؤيد اتهامه بما أشار إليه صاحب
الموقف من أنهما كانوا يصطنعان الحشيش ومن أن ما اتهمنا إليه من تقريره
الوحدة ونفي الأئمة إنما هو ضرب من الوهم والخيال الذي يحصل في العقل
من فعل الحشيش .

وأن ابن الفارض من المعتقدين لوحدة الوجود والقائلين بالاتحاد والحلول، وهذا يحمله خارجاً على تعاليم الكتاب والسنة. وأن ابن الفارض يضم ما يسميه الحقيقة المحمدية في مقابل الحقيقة الإلهية.

وقال أن نظرية الاهارت والذاسوت التي قال بها الحلاج ، قال بها ابن عربي وابن الفارض وهي تمثل المنصر المسيحي الذي اخالط بالفلك الفلسفى الصوفى ، وأنه تردید لقول العيادة الذين كانوا يرون أن المسيح هو الله

وإليسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح ، وأن الالهوت والناسوت لم يردا في كلام العرب ولا في الشرع وهي من موضوعات النصارى :

قال تعالى : «لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم» .

ثم استعملها الحلاج ، استعمل هذا الفقه وأكثر من استعماله فكان الحلاج يحقق بذلك لهذا الأثر المسيحي في النصوص الفلسفى ، وصلة ذلك بالأفلاطونية المحدثة .

(ابن الفارض والحب الإلهي : دكتور مصطفى حلى)

وقد أولى المستشرقون ابن الفارض اهتماماً واسماً ، وترجم إميل درمنجم مأسماه «خريبة سلطان العاشقين» ، وقدم لها مقدمة عن التصوف وقال أنها سلائق مالا يقل عما لقيته رباعيات الحياة من الخطورة .

وقد ترجم شعر ابن الفارض إلى اللاتينية منذ القرن السابع عشر ، وإلى الإيطالية والألمانية والإنجليزية .

(٣)

يحاول التصوف الفلسفى تزييف مفهوم الإسلام في عدة مواضع :

(أولاً) لا يقر الإسلام مذهباً يقول بحلول الله في جسد إنسان أو فناء الذات الإنسانية في الذات الإلهية كما لا يقر القول بوحدة الوجود أو أن الله هو بمجموع هذه الموجودات والإسلام يقول بأنانية الوجود أي الله والعالم فاته خالق والعالم خلوق والله مدبر والعالم مدبر وليس الله حالاً في العالم وإنما هو خالقه ومدبره والله بيده الخير والشر يثيب الناس ويعاقبهم بما يعملون .

(ثانياً) لا يقر الإسلام القول بأسفاط التكاليف ورفع فرضية أداء العبادات عن الفرد - أي فرد - بدعوى أنه من وصل إلى الله تسقط عنه التكاليف .

وهذا قول لم يعرفه المسلمون أيام رسول الله وهم قلة المسلمين في كل عصر ، فقد عاش رسول الله وعاش المسلمون حياتهم يؤدون العبادات والفترض دون أن تسقط عنهم .

(ثالثاً) لا يقر الإسلام عقيدة الجبرية ولا فكرة الرزد ، بمعنى السلبية والانقطاع عن الجهد والعمل ، فإن الإسلام يدعو إلى بناء الإرادة والكسب وينكر الانصراف عن الدنيا .

(رابعاً) لا يقر الإسلام دعوة التصوف الفلسفى بالتحول من الخوف من الله إلى الرجاء فيه ، وإنما يقر بقاء الخوف والرجاء مما في نفس المسلم بتراوحان ويجيئان .

(خامساً) فساد القول بأن التصوف لغة عالمية أو أن التصوف أدخل بمجموعات كثيرة من الوثنين في الإسلام أو أعطى الإسلام مادة الطراوة في مجتمع بلخ غاية الجفاف .

وهذه كلاماً من سمو الاستشراف والغزو النقاقي ، أما التصوف الذي أدخل الناس في الإسلام فهو التصوف الأصيل وليس التصوف الفلسفى الزائف ، أما مسألة الطراوة والجفاف ، فالإسلام لا يعرفها لأنها يجمع بين المقل والقلب .

أما التصوف الذي يقره الإسلام فهو الذي لا ينكر أصله ولا فروعه .

فالإسلام لا يقر الدعوة للانفصال عن الدنيا أو تحريرها أو اعتزال الناس أو تعذيب البدن بتحريم الطيبات كما يحرم في نفس الوقت الترف والانصراف ، كما لا يقر رفع التكاليف أو الغاء الشريعة في أى طور من أظوار المسلم .

وقد ظلت الفطرة الإسلامية دائمًا بمنأى عن تعقيدات التصوف الفاسق وإن هذه القضايا قد هزت منذ أثيرت وتحقق فسادها ، وتخاصل الفكر الإسلامي منها ومضى في طريقه ، حتى جاء الفزع الفقافي لابتعاثها من جديد .

(٤)

لاريب أن هناك شهادات تسكن وراء تاريخ التصوف الفلسفى ، فقد ارتبط هذا التصوف بعواقب سياسية توّكّد أنه كان أسلوبًا من العمل لمدم الدولة الإسلامية وكان سبّاراً لحركات هادمة من حركات الباطنية أو القراءة أو الزنج أو غيرهم ، وإنها استهدفت صرف العامة إليهم وقد حاول الاستئثار في مصر الحديث الاستئثارة بالتصوف مثل هذه الغاية ولصرف المسلمين عن حقيقة دينهم ولغراهم في جو من العموض والتشكّبات بما يربّع عزيمتهم عن الكفاح لنصرة أو طاهفهم وعن الجهاد وعن الوضوح الإسلامي في فهم الأمور وعن القوة . وقد كان مستشرقاً التصوف الفلسفي جزءاً من الخطأ السياسي الاستعماري .

وإذا كان الحلاج والمهروري قد قتلا فهما لم يقتلوا لرأييهما وإنما قتلا لأنّهما .

(٥)

يقوم المفهوم الإسلامي الأصيل على :

أولاً : إن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء واحد لا شريك له . خالق كل شيء سواء كان ذلك الشيء طاقة من العلاقات المحسنة كالمغناطيس والأرواح والملائكة أو مادة من المواد كالجادات والنباتات والحيوانات .

ثانياً : إن الخالق الأعظم ليس هو جزءاً من مخلوقاته ولا هي جزء منه ولا تماطله في ذاته وصفاته وأفعاله ، وهي مختلفة بعلمه وإرادته وقدرته .

ثالثاً : إن دلائل وجود الخالق العظيم يبدو في مخلوقاته لأنها من آثار قدرته ومخلوقاته مهما أونيت من علم فإنها لا تحيط به علماً .

رابعاً : دعا الإسلام إلى الأخذ بالآوان من العبادات والمجاهدات لتفعيل مفهوم التقوى والورع وهذا لا يعني بأي حال الزهادة بمعنى الانصراف عن الدنيا أو الانقطاع إلى العبادة وترك العمل والكسب ولم يحرم الإسلام سوى الانغماض في الشهوات التي تشغل القلب عن ذكر الله .

خامساً : لا يقر الإسلام إسقاط الشرائع والفرائض لאי سبب من الأسباب وما دعا إليه الحال من إسقاط الشرائع يخرجه هو عن الإسلام، وليس رسوم الشريعة في الحقيقة مظاهر تختلف عن أعمال القلوب ولكن العبادات لها مظاهرها والتي هي جزء لا يتجزأ من مداخلها .

(٦)

إن فكرة التقى الأديان أو أن التصور لغة عالمية هي من أخطر الدعوات وأشدتها فساداً ، وأبعدها عن مفهوم الإسلام ، وهي ما يقول به أصحاب وحدة الوجود والتي بروج لها الاستشراق الذي دعا إلى انبساط الفكر الفلسف الصوفي في العصر الحديث ، فليس صحيحاً أن الاختلاف في الأديان اختلاف في المظاهر ، وليس صحيحاً أنها جميعاً تسلك طريراً إلى الله فإن مفهوم التوحيد الخالص الذي يبرأ الله من القعدد والشريك لا يوجد إلا في مفهوم الإسلام .

وكل أشعار جلال الروى وكتابات ابن عربى في هذا الصدد زانفةً
ومضلاة وليس صحيحاً أن الإيمان والكفر لا يختلفان أو أن أصحاب
الأديان وعبدة الأصنام متفقون في هدف واحد، أو أن التوراة والقرآن
واحدة، ونحن نعرف أن التوراة كتبها أخبار اليهود ولهم كتاب
أله المنزل على سيدنا موسى.

كذلك فان من أسوأ ما يدعوه إليه دعاة التغريب التهويل في الخلاف
بين الصوفية والفتواه، وهو خلاف زمني انتهى وصفى، لم يعد الآن
موجوداً كذلك فان القول بتقسيم المسلمين إلى طوائف وجعل أصحاب
مفهوم الأصالة الإسلامية طائفة، هذا لا ريب يمثل مغالطة شديدة فان أهل
السنة يمثلون تسعون في المائة من تعداد المسلمين وهم ليسوا طائفة بمعنى
الفرقة، ولكنهم هي الأغلبية الساحقة التي تمثل جماعة الأصالة الدين
يستمدون مفهومهم من القرآن والسنة الصحيحة.

كذلك لا يقر الإسلام المبالغة في الحديث عن كرامات الأولياء وإثباتهم
بالمحوارق، ويرى أن هذه أمور خاصة تتعلق بالأفراد وليس لها أثرها
أو تأثيرها في المجتمع، وإنما لا تحول مطلقاً دون أداء الفروض العبادية
والالتزام بالشريعة، وإن المسلم مهما بلغ من درجات الإيمان أو الولاية
لا يسقط ذلك عنه فرضاً أو التزاماً.

(٧)

يفسّر الإسلام من التصوف الفلسفى موقفه من الاهتزاز تماماً فكلامها
لا يمثل الإسلام ولا يعبر عنه، فالصوفية يتخذون القلب أداة للمعرفة
وقد أنكروا على العقل مقدرته على فهم الألوهية وأسرارها وهم يتحصنون
بالقلب في مواجهة المهزلة الذى يتحصنون بالعقل.

والواقع أن مفهوم المعرفة الإسلامية الأصيل : يجمع بين العقل والقلب ، فالقلب يدرك الغيب والوحى ، والعقل يدرك الشهادة ويصادق الوحى .

ولاريب أن الاستشراق ودعوة التغريب والمؤاسرة على الإسلام من شأنها أن تفصل بين المفهومين وتجعلهما في موقف التضاد والعراك فيقف جماعة من المستشرقين إلى جانب المعزلة يملون من شأن العقل ويقف جماعة منهم إلى جانب الصوفية يجدون الحدود والوجدان .

والإسلام في مفهومه الأصيل يجمع بين القلب والعقل والشريعة والحقيقة وترتبط الظاهر والباطن ، ويؤكد أنه ليس هناك معرفة عن طريق لفابق مستقلة أو معرفة عن طريق العقل مستقلة أبداً ، وإنما هناك مفهوم جامع هو الإسلام .

ويؤكد الإسلام فكرة الاستئواه في السر والعلن حتى يكون باطن المرء متحققاً في ظاهره وحتى لا يكون هناك فاصل بين ما يسمى بالباطن والظاهر سواء فيما بين الإنسان وبين الله أو بين الإنسان والناس ويقرر أن أعمال الباطن مبدأ لأعمال الظاهر وأعمال الظاهر أثار لها دلالتها فأن كان الرجل صالحًا كانت الآثار صالحة . يقول ابن خلدون : الشريعة حكماً على المكلفين من حيث ظاهر أعمالهم وحكماً عليها من حيث باطن أعمالهم ، لا يعود به بعض الباطنية ويزخرفونه من أقوال سفاسافة ناقصة لمعاقل الشريعة ، فالشارع لم يظهر حكماً وبيطن آخر (تعالى الله عما يقولون علوًّا عظيمًا) .

ولاريب أن طريق الحق واحد ، أما الباطل فسبله كثيرة لهذا اختلفت مذاهب ونظريات الانحراف والمنحرفين وبدا طريق الله واضحاً (وإن هذا صراطٌ مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ففرق بكم عن سبيله) .

كما يؤكد الإسلام بشرية الرسول (صل الله عليه وسلم) تلك البشرية التي توكيد للحقيقة الأطية : حقيقة التوحيد (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم الله واحد) وقد فرق الإسلام بين الالوهية وبين النبوة ، وفرق بين عصمة الأنبياء وبين قدرات غير الأنبياء مما كانوا من صالحين وأقطاب وأولياء فهي لا تقسم بالعصمة مطلقاً .

و كذلك ربط الإسلام بين الحقيقة والشريعة في مفهومه الجامع : يقول الإمام الطرطوسي : زادوا في الدين أمراً هو هدم الدين ، هو زعمهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فإذا افترف أحدهم ذنباً فأنكر عليه منكر قالوا في الجرم أنه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه وفي المنكر أنه من أهل الشريعة فلا تفاتات إليه وكأنهم يرون أن الله تعالى أنزل للناس دينين وأنه بمحاسبيه بوجوبين وبمعاملتهم معاملتين .

ولا ريب أن السنة ترشد في صراحة لا لبس فيها إلى أن الشريعة والحقيقة كليهما ينبعان مباشرة من تعاليم الرسول وأنهما متكملان .

ويصدق هنا القول : بأنه لو كانت هناك تعاليم شريرة في الإسلام تخفى وتكتوى لعرف العلماء والفقهاء هذه التعاليم ولتحدث عنها القرآن المجيد .

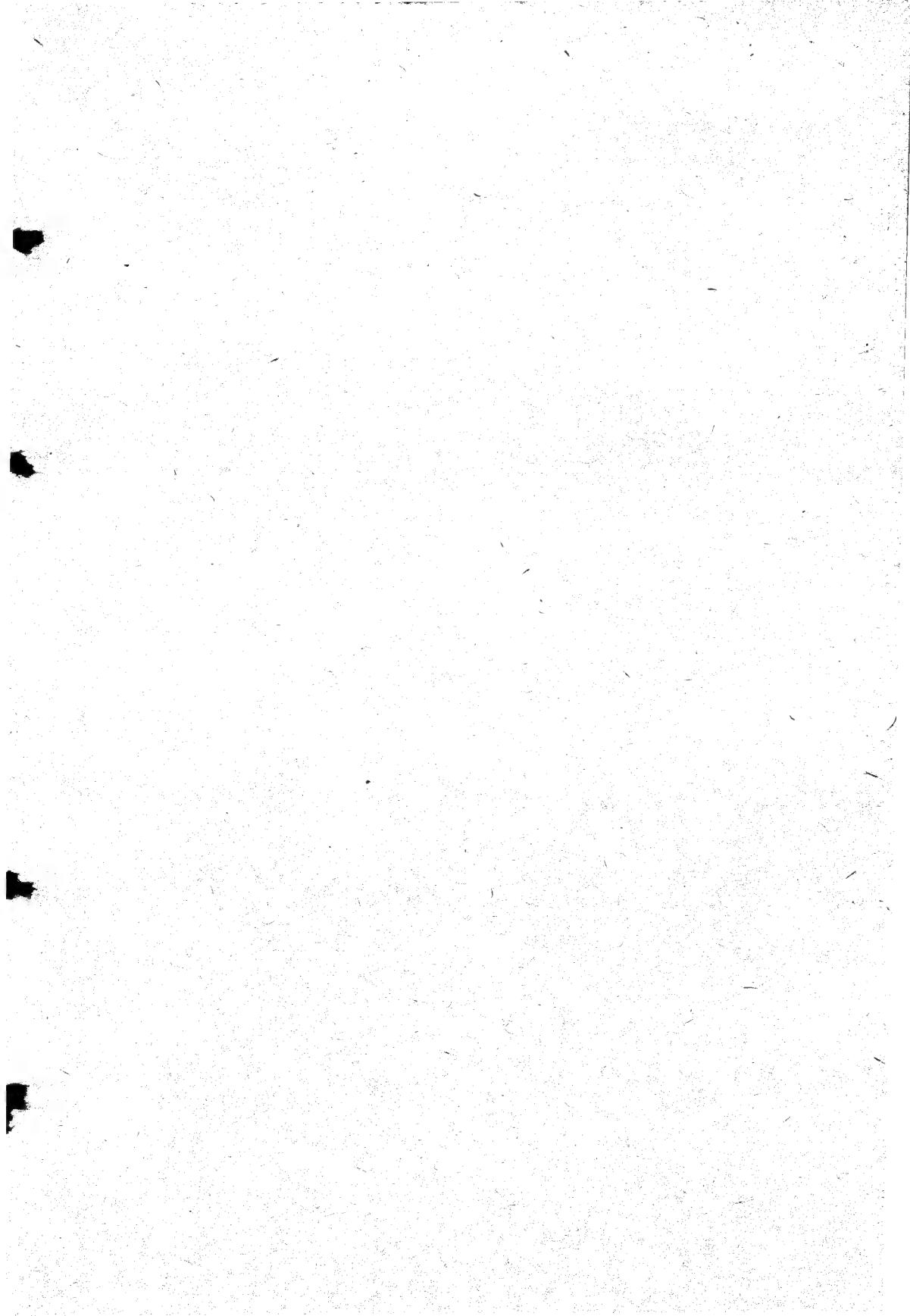
(٨)

هذه المفاهيم أدخلها إلى الإسلام أنباع المجرمية لتعريف الإسلام في ظروف الضعف والانهيار ، وذلك في جملة الحقد على قوة الإسلام وبرغبة هدمه ، وواصل المستشرقون هذه الحملة وأتباعهم من دعاة التعرية لنفس المهدى .

وقد قطع الشيخ عبد القادر الجيلاني في هذا الأمر بقوله :

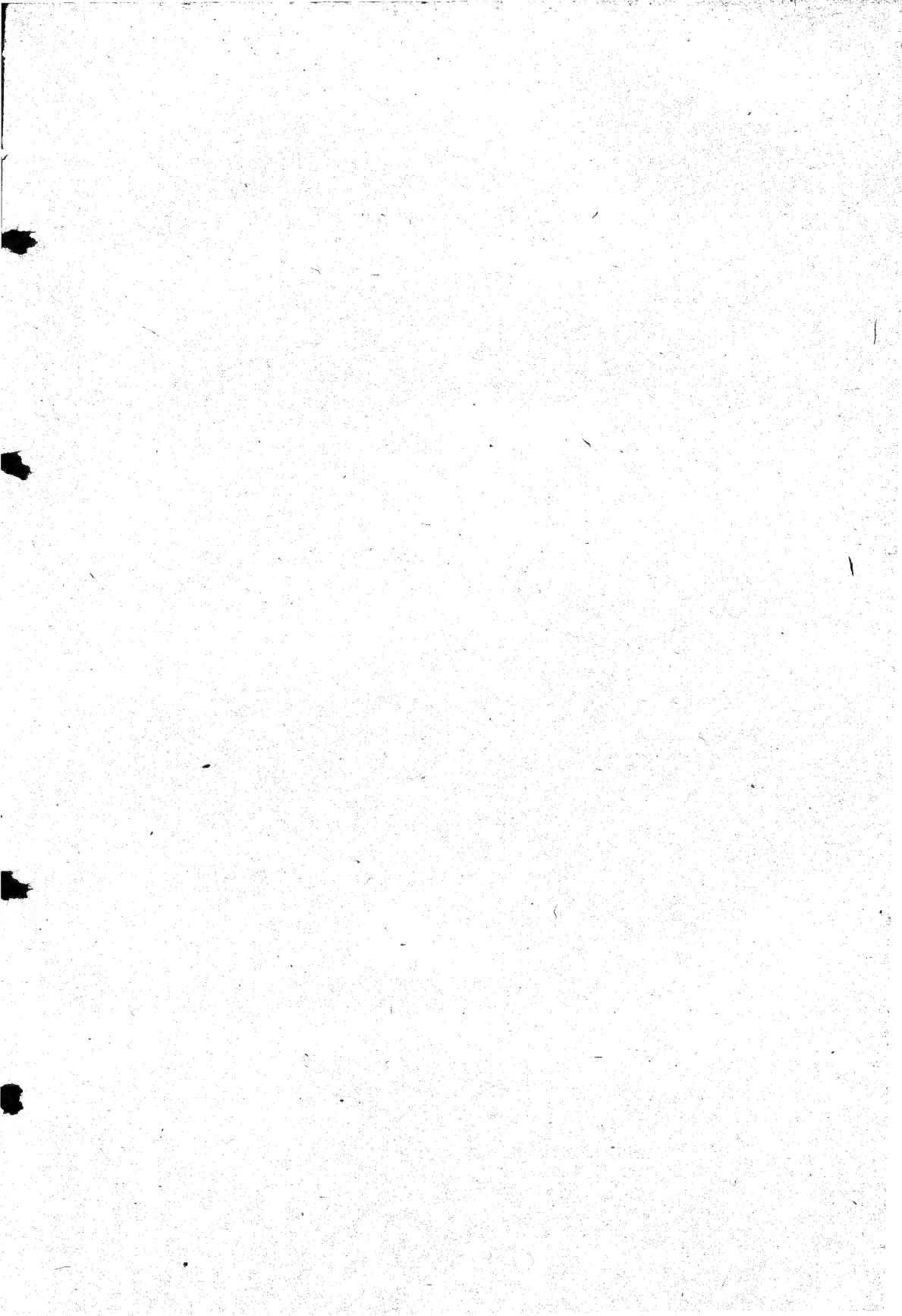
كل حقيقة خالفت الشرع فهى زندة : الشرع هو ظاهرها والشرع
هو باطنها ، وإذا رأيت الرجل يطير في الهواء فلا تعتبره حتى تزن أقواله
بميزان الشرع .

ولاريب أن حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا رِهْبَانِيَّةَ فِي
الإِسْلَامِ » ، كان شجباً للانحراف نحو الزهد المسيحي . وقال عليه الصلاة
والسلام : « جئتم بالحقيقة البيضاء ليعلمها كثوارها لا يزيغ عنها إلا هلك » ،
وقد عمل الفكر الإسلامي على تosal المصور على تحرير نفسه من هذه ،
المدخلات الوثنية المسيحية واليهودية والفارسية وال الهندية .



الباب الثالث

إحياء الفكر الفلسفى



وقف الإسلام من نزات الفلسفة المترجم من اليونانية والفارسية والهندية موقفاً واضحاً صريحاً هو أن هذه المدرسة التي اشتغلت بالفلسفة وعلى رأسها (الكتندي وابن سينا والفارابي) هي امتداد المدرسة اليونانية الإغريقية وأنها ليست ناجماً إسلامياً خالصاً وأن الإسلام منطلقه إلى الفكر الفلسفي الإسلامي عن الطريق الذي بدأه الإمام الشافعي بكتابه (علم أصول الفقه)، وقد تحدد موقف المسلمين من الفلسفة المعاصرة اليونانية وغيرها منذ اليوم الأول لترجمتها، ووقف منها أهل الإصالة الإسلامية موقف المعارضة الصريحة والشجب الكامل.

وتحكم الإسلام على هذا الركam الضخم المختلف عن «ما قبل الإسلام»، سواء من الفكر الفتوحى الشرقي أو الوثني الهمبىء هو لأنّه لا يمثل المفهوم الأصيل ولا ينبع من الفكر الإسلامي وإنما جاء الإسلام لرده والكافر عن زيفه وإبطال دعوه الفائمة على الآهواه البشرية الطامنة إلى الخروج عن حدود الله والفتراة الإنسانية وأن البحث الذي قام به علماء المسلمين و(الشافعى، الغزالى، ابن تيمية) في مقدمتهم قد أدى إلى إثبات شخصية إسلامية متميزة في مجال المعرفة والمفهوم تختلف اختلافاً واضحاً عن المفهوم اليونانى الهمبىء، كما كشفت أن المحاولة التي قام بها ابن سينا والفارابى في تقرير أو تطوير أو ربط الفلسفة اليونانية بالتوحيد الإسلامي هي حماولة فشلت وبعذت عن أن تحقق شيئاً لأنّها حاولت أن تصرّر الونية اليونانية وعلم الأصنام في إطار التوحيد، وأنّها اعتمدت على مصادر ثبتت فساد فسيفتها إلى أصحابها وقد دخلتها تحرير كثير، ولقد صفت المنهج الإسلامي الأصيل هذا الركam الذى ترجم من الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية جيداً وحكم عليه فى إبانه وتجاوزه وتحمرر من سلطانه، فلما جاء المصر

المحدث حر صفت فوق الاستشراف والتغريب والذرو الثقاف على إحياءه من جديد وإثارة قضيائاه وتصوير الفكر الإسلامي بأنه فكر قد تشكل متأثراً بالفكرة اليوناني وأن أرسطو كان له عند المسلمين مكاناً كبيراً . ومنذ جاء المستشرقون يدرسون مادة الفلسفة في الجامعات وهم يفرضون مفهوماً زائفـاً هو أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية ثم يجيء من يترجم مؤلفات أرسطو بدعوى أن هذا الفيلسوف كان له أثره في الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية في إبان النهضة وأن من شأنه أن يجدد النهضة التي يعيشها العالم الإسلامي المعاصر .

ولم يكن هذا القول صحيحاً ، لافت جلته ولا في تفصيله ، ذلك أن الفكر الإسلامي الأصيل قد رد أرسطو والفكر اليوناني كلـه وحكم بأنه فـكر مجتمع عبودي مختلف اختلافاً واضحاً عن المجتمع الإسلامي ، ولكن تيار التغريب الذي هذا الاتجاه ونهاه على نحو أغلى به السكـيرين وظن بعض المتفقين أن الفكر اليوناني مكانة وأثـارـاـ في الفكر الإسلامي من قبل جديـرةـ بأن تجعل لوـلـيـدـهـ الفـكـرـ الغـرـبـيـ أثـارـاـ فيـ الفـكـرـ الإـسـلـامـيـ الحديثـ .

وذلك هي أخطر الدعاوى التي حلـلـهاـ الدـكـتورـ طـهـ سـعـيـنـ وهي قـةـ المـؤـازـمةـ علىـ الإـسـلـامـ ، ولـقـدـ كانـ فيـ تـقـدـيرـ حـرـ كـ التـغـرـيبـ وـالـغـزـوـ الثـقـافـيـ أنـ يـجـدـ ثـ هـذـاـ العـمـلـ فـيـ الـمـصـرـ الـحـدـيـثـ ماـ أـحـدـنـتـ التـرـجـةـ فـيـ الـمـصـرـ الـإـسـلـامـيـ الـأـوـلـ :ـ وـ كـيـفـ أـغـرـقـ الفـكـرـ الـفـلـسـفـيـ الـيـونـانـيـ إـذـ ذـاكـ فـكـرـ الـإـسـلـامـ فـيـ دـوـامـ عـرـيـضـةـ عـبـيـدةـ خـلـالـ قـرـنـيـنـ مـنـ الزـمـانـ أـوـ أـكـثـرـ ،ـ وـ لـذـلـكـ عـمـدـواـ عـلـىـ تـجـدـيـدـ بـعـثـ الـفـلـسـفـةـ الـيـونـانـيـةـ الـيـ تـسـعـ عـلـىـ الـأـصـنـامـ عـنـ الـيـونـانـ وـ فـلـمـسـفـاتـ الـمـجـوسـيـةـ وـ الـمـازـدـكـيـةـ وـ الـبـاـيـكـيـةـ وـ غـيـرـهـاـ مـنـ الـفـكـرـ الشـرـقـيـ الغـشـوـيـ وـ عـنـواـ بـفـلـسـفـةـ التـصـوـفـ الـقـائـمـ عـلـىـ وـحدـةـ الـوـجـودـ وـ الـحلـولـ وـ الـاشـرـاقـ وـ جـدـدـواـ الـأـبـهـاثـ الـقـدـيـمةـ الـمـدـفـونـةـ الـيـ رـفـضـهـاـ الـمـسـلـمـونـ وـ دـحـضـهـاـ وـ كـشـفـهـاـ وـ فـسـادـهـاـ وـ أـعـادـهـاـ الـنـظـارـ فـيـهـاـ

من جديد حتى نرى اليوم هذه الكتابات المسمومة التي تحاول أن تصف الفكر الإسلامي المعاصر بالقصور لانه مختلف في مجال الفلسفة ، وترى هذه المحاولات الجاربة لانشاء ما يسمى فلسفه عربية، حتى يكون لها طريق مستقل عن الفلسفه الاسلامية، وكل هذا يستهدف «احتواء» الفكر الاسلامي بالفلسفات القديمة والفلسفات الحديثة على السواء ، ويرون أن شبل شبلي هو الذي بدأ طريق الفلسفه العربية حين دعا إلى مذهب دارون بتفسير هنري ، هذا المفهوم المادى الشديد الحلاة على الدين والأخلاق والعقائد. الذى يستهدف أن يسقط الفكر الاسلامي الحديث فيما تحمله الفلسفه الاسلامي في الماضي حين تحرر من أصار الفلسفات الوثنية والمادية وأعاد تركيب نفسه وفق مفهوم الاصالة الاسلامية تحت اسم «مذهب السنة والجماعة»، وما زالت هذه المحاولات كلها التي تتجدد والتي يقودها جميل سليمان وعبد الرحمن بدوى وجود رجحنا ولouis عوض وزكي نجيب محمود ودعاة الماركسية والتفسير المادى للتاريخ ودعاة الوجودية تستهدف هذا الغرض معتبرين أن (التفكير العربي الحديث) هو فكر مستقل لا صلة له بالاسلام وانما هو ابن الحلة الفرنسيه والارساليات التبشيرية المسيحية اللبنانيه ، ولذلك فهو حرف أن ينطلق بعيداً عن الاسلام وأن يخوض تجربة الاحتواء الغربي الماركسي الليبرالي الوجودي الخ .

ومن هنا كانت الحملة على الشافعى وابن حنبل والأشعرى والفرزى وابن نيمية لأنهم هم الفقهى فى عيون كل محاولات احتواءه وتغريب الفكر الإسلامى ، ولأنهم هم الذين فتحوا الطريق إلى إصالحة الفكر الإسلامى ، وسوف يخوضون المفكرون المسلمين التجربة مرة أخرى هل نفس مبادىء الإسلام على النحو الذى مهد له الشيخ مصطفى عبد الرزاق وسار فيه خطوات

واسعة الدكتور سامي النشار و محمد علی زیان ، وهذه المدرسة ومن نابها
علی طریق الاسلام الصحيح .

ومن هنا كانت مؤامرة الصمت لازاء كل من عارض الفلسفة اليونانية
من أعلام الفكر الاسلامي مع إبراز وإعلان كل الأسماء التي حلّت لواه
الفلسفة قد يعما ما يسمونه الشراح فكتبت عشرات الابحاث فيهم وجلهم
لا يصلح في مقياس الأصالة الاسلامية للحكم عليهم ، وأخطر من تصوب إليهم
أسهم الاتهام : الفارابي وابن سينا .

وما لم يكشف عنه بجددو الفلسفة الاسلامية القدمة : أن هؤلاء الشراح
قد أطلق عليهم اسم المشايخ المسلمين واعتبروا امتداداً للفلسفة اليونانية
والعقل اليوناني ، ولقد لفظتهم المجتمع الاسلامي لفظاً فاما ، كما لفظ شعراء
الإباحة والفلة أمثال أبو نواس وبشار واعتبرهم خارجين عن المجتمع
الإسلامي الأصيل ، ولم يدافعوا عن هؤلاء وأولئك إلا المستشرقون طوي في
نقوشهم ، هو أن يعنوا في المجتمع الاسلامي المعاصر والفكر الاسلامي
ال الحديث تلك الفتن والأحن والشيبات والسموم التي أثارتها الفلسفة اليونانية
التي ترجمها السريان وأرادوا بها إدخال مفاهيم المسيحية بالإضافة إلى مفاهيم
الوثنية لضرب قاعدة التوحيد التي هي عماد الاسلام .

(أولا) هناك إجماع على أن دخول الفلسفة إلى الفكر الاسلامي هو
الذى أسقط صرح الحضارة « فقد كانت طابع شرم ونذير سوء وإنذانا
للعرب بزوال سلطانهم »،اتهى إلى المؤمن زمام الخلافة العباسية فشجع
الفلسفه وعمل على ترويجها وتهكك من جلب أشهر كتب الفلسفة من اليونان
والصين والهند ، وعهد بترجمتها إلى مخترق الترجمة من السريانية والكلدانية
والسنسكريتية والفارسية .

وجرى العمل على ترجمة مختلف المذاهب والتحول الدخيلة وإباحة الجهر

بمختلف الآراء فتباين في زمنه الشك وراج الباطل وهبت الرياح الصفراء من وراء هذه الإباحية تحمل في طياتها جرائم المذاهب المختلفة والنحل المفمارقة . وظهرت الفرق التي كادت تؤلف بآرائها وعقائدها أدياناً جديدة فلم تلبث الدولة إلا قليلاً حتى حطت على جحافل المغرين من لنقر والمغول فقوشت دعائهما وكان الكثير من أتباع هذه الفرق أهواها المغدير على تحقيق هذه الغاية .

وخرس العرب حقيقة الإيمان الفطري وقوة الاعتقاد النقي ، وتركوا الدين إلى أيدي المتكلمين والمنتفهين والمخدوعين ليبلسوه أنوراً حلة ملونة من الآراء الافتراضية التي أيقظت العدل وآنارت الفتنة وبليات الألسنة .

(ناباً) اتهام الإمام الفزالي بأنه جد الإنطلاق الفكري والثقافي عند العرب : حين وقف من الفلسفة الإلاطبة موقفه المشرف في دحضاها والكشف عن زيفها .

والواقع أن هناك حلة منسقة تدعى العرب إلى الفلسفة الغربية وتصر عليهم وتدفعهم إلى المجرى وراء مطاعمهما وصراحتها ، وهي تصور العرب بصورة التخلف لأنهم فقراء في مجال الفلسفة منه وقف الفزالي موقفه ، وتلك ولاريب خدعة مضللة ، ذلك لأنه ليس من الضروري أن يصطدم المسلمون والعرب في أنون الفلسفات ولم يسوا في ساجة إليها حاجة الأوروبيين الذين عجزت عقائدهم أن تهدم بالمفهوم الميتافيزيق الكامل والصحيح والأصيل سواء في علاقتهم بالله تبارك وتعال أو بالكون أو بفهم الإنسان من حيث هو إنسان ، ومن شأن هذا النقص في الفكر الغربي الاهوبي ومع اضطرابه لأنه ليس في حقيقته إلا تفسيرات بشرية : انظر الفكر الغربي إلى إنشاء هذه المذاهب والأيديولوجيات لسد النقص ، هذه المذاهب والأيديولوجيات المضطربة الذهابية وراء كل الرياح التي تهرب من أهواه النفس سواء في الليبرالية

الفردية أو الفرويدية أو الوجودية أو الماركسية والتفسير المادى والتفسير الاقتصادى والتفسير الجنسى والتفسير المغراف للحياة والتاريخ والحضارة - أما المسلمين فلديهم منهج متكامل للبيتافيزيقيا السكنية والإنسانية هو رباني المصدر ، وهو في نفس الوقت قادر دائماً على إعطاء النفع البشرية منها وسلامتها وطمأنها وحاجتها المادية وأشواقها الروحية دون أن ينقصها شيئاً في تكامل وتوافق بعيداً عن سرف الترف أو فساد الرهانة .

فهذه الحبرة التي نراها في الثقافة العربية ، إنما تصدر عن تلك الصيغات التي يطلقها التابعون للفكر الغربي المسيحي ، أما في مجال الفكر الإسلامي فإن المسلمين يعترفون أنهم ليسوا في حلقة مطلقاً إلى هذا الصيغات العالية في الدعوة إلى أسلوب الفاسفة والمسلمون لا يرون الأسلوب الفلسفى أسلوباً كاملاً ولا صحيحاً ، وإنما هو أسلوب مرحل ، قد يأخذ به المسلمون في فترة ما كما أخذوا به في أول عهد الاعتزاز في مواجهة الكلام المسيحي واليهودي ، وكما أخذ به جمال الدين محمد عبده وإقبال وغيره في مطالع حصر البقظة الإسلامية وفي مواجهة خحدى التفريج والغزو الفكري .

أما الأسلوب الصحيح والأصول الذي يراه المسلمون سبباً لهم فهو الأسلوب القرآني والمنهج القرآني .

ولقد كشف الإمام الفرزالي فساد الفلسفة الإلحادية ، ولم يتعرض للفلسفة الرياضية والطبيعية والمنطق .

وكان هذا هو الذنب الذي لم يغفر له حتى الآن ، كتاب الغرب ولادعة التفريج ، كيف يقف الفرزالي في وجه فكر الوثنية وعلم الأصنام ويمارضه ويكشف زيفه ولا يدع المسلمين ليعرفوا فيه فيحتويهم كما احتوى اليهودية وال المسيحية . فهذا جرم كبير افترقه الفرزالي مازال رجال التفريج ييكثرون به يوماً بعد يوم دون توقف .

والواقع أن الغزالي لم يهاجم إلا الفلسفة الإلهية التي هي علم الأصنام عند اليونان قال : أن العقل يعجز عن الخوض في مسائل ما بعد الطبيعة ، وأنهم (أى الفلسفه) ما قدروا في الإلهيات على الوفاء بالبراهين التي اشتغلوا بها في المنطق وأنهم يحكمون بظن وتخمين غير تحقيق ويقين ويستدلون على صدق علومهم الإلهية بظهور علومهم الحسابية والمنطقية ويستدلون ضعفه المقول ولو كانت علومهم الإلهية متفقة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسابية لما اختلفوا فيها ، وإن ما شرطوه في صحة مادة القويم من قسم البرهان في المنطق لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه في علومهم الإلهية . وقال : إن أحكام العقل في الرياضيات والطبيعتيات صادقة ، أما في علم ما بعد الطبيعة فأن العقل المحسن ماجز عن الوصول إلى اليقين .

وقال أن مسألة الصفات الإلهية وأزلية العالم وأبديته واستحالة الفناء على النقوص البشرية لا توزن بميزان العقل البشري بل يحتاج العقل في إدراكها إلى عامل آخر هو الكشف الباطني والإبهان القلبي والوحى الديني .

وأهم ما اختلف فيه الغزالي مع الفلسفه إنها هو ما يتصالب بالباحث الإلهية التي تقدم أصولاً من أصول الدين .

وقد عارض الغزالي الفلسفه في ثلاثة مسائل أساسية : يختلف فيها رأى الفلسفه اليونانية عن مفهوم الاسلام الأصيل : (وإن كان قد أحضر عليهم الخطأ في عشرين مسألة) :

أولاً : قدم العالم .

ثانياً : أن الله (تعالى) ما يقولون علواً كبيراً) لا يحيط علماً بالجزئيات .

ثالثاً : إنسكار البعث .

والاسلام يقول بأن العالم محدث وأنه ليس ثمة قديم غير الله سبحانه وتعالى وأن الله تبارك وتعالى يحيط بالجزئيات (وما نسقنا من ورقة إلا عليها ولا رطبة ولا يابس إلا في كتاب مبين) وأنبعث حق لامرية فيه .

وقد هاجن الغزالى إما بصطدم بالشرع : وهاجن الفلاسفة الدهريين : الذين يجدوا الصانع وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً وقالوا بقدم الأنواع الحيوانية (وم الدهريه والزندقة ، كما هاجن الفلاسفة الطبيعيين الذين قالوا : أن النفس تموت ولا تعود وأنكرروا الآخرة والثواب والعقاب وهاجن الفلاسفة الإلهيين أمثال سقراط وأفلاطون وأرسسطو) لأنهم قالوا بقدم العالم وإنكاربعث وزعموا عدم إحاطة الله بالجزئيات .

وهكذا نرى أن الحلة التي حلها دعاء التغريب والمستشارين في المصر الحديث باطلة : وقد وصفوا رأى الغزالى هذا بأنه حلة شعواء ، والواقع أنه رأى غاية الأنصاف والاحتلال وبالرغم من هذا فإن الغزالى لم يسلم من أهل الأصالة الإسلامية فقال : أبو بكر بن العربي وكان من أخص أصحاب الغزالى : شيخنا أبو حامد ودخل في بطون الفلسفه ثم أراد أن يخرج منها فما قدر .

ولقد كان هدف الغزالى لإبطال مذهب الفلسفه في الإلهيات وتوجيههناس إلى مذاهب الإصالة الحقيقية في فهم الميتافيزيقيا وما وراء الطبيعة وهو ما أورده القرآن الكريم . ولذلك فقد أشار إلى أن الفلسفه فليلو البعضاعة في معرفة مسائل الربوبية ، وأن الدين الحق هو وحده القادر على إطاء النفس الإنسانية في هذا المجال على النحو الذي يحقق الطمأنينة والسكينة واليقين .

(ثالثاً) فلسفة أرسسطو : رد عليهما المسلمين وكشفوا اختلاف وجهة نظرها مع مفهوم الإسلام وتعارضها مع المنهج التجاربي .

وعندما حاول الاستشراف والتغريب في العصر الحديث لحياة أرسطو وتكوين حالة صنخة حوله (طه حسين - اتفاق السيد - ابراهيم يومي مذكور) دحض الفكر الإسلامي هذا المفهوم وكشف عن ما هو أبعد من ذلك ، كشف بطلان وزييف وكذب ما ادعاه للتغريبيون من أن النهضة الغربية قامت على مفهوم أرسطو ومنهجه ، فهى في الحق لم تقم إلا بعد أن هدمت مفهوم أرسطو، وتبنت مفهوم التجريب الإسلامي، وقد هدم المفكرون الغربيون في العصر الحديث فكر أرسطو بنفس ما هدم به المسلمون قبل ذلك بآلف سنة ، وكان هذا المدمر هو منطلق النهضة الأوروبية التي اعتمدت على منهج التجريب الإسلامي ، ثم جاء الغربيون مرة أخرى يخدعون المسلمين ويزيفون عليهم ويدعوهم إلى منهج أرسطو ، لا إلى منهجهم الذي بني حضارة الغرب ، لقد كان أرسطو خدعة كبيرة في عصر الفرجة وفي العصر الحديث أيضاً واستغله المستشرقون وأتباعهم من دعاة التغريب إلى أبعد مدى .

ولقد تبين من الدراسة العلمية الخالصة فساد دعوى الموجة الغربية الدافعة للقضاء على الإصالحة الإسلامية :

ذلك أن حقيقة الأمر هي أن المنطق الأرسطي الذي نقل إلى العالم الإسلامي إنما أثر (فقط) في المدرسة المشائنية الإسلامية : مدرسة الشراح (الكندي والفارابي وابن سينا) وبقيت المدارس الأخرى المنبثقه عن الإصالحة الإسلامية بعيدة كل البعد عن تجاربه ، وكانت قد وضعت منطقاً مختلفاً تماماً الاختلاف عن منطق أرسطو في روحه وفي جزئياته ، (راجع على مباحث المشار) .

إن سيادة منطق أرسطو إنما بدأت حينما قادucci الفكر الإسلامي في القرن الخامس فاختلط بعلوم يونان ، ومع ذلك لم توافق دوائر الفقهاء

المناخين ومتكلموا الاشاعرة من ناحية ومتكلموا الساف من ناحية أخرى على استخدام هذا المنطق خاربوه أشد حرب . ومن ثم ابتعد فلاسفة الإسلام المشاهدون عن نطاق الفكر الإسلامي روحًا ونفًا وعن المجتمع الإسلامي عقيدة وفكراً وحياة وماتوا الفلسفة المشانية في العالم الإسلامي منذ هد بعيد .

وما كان لها أن تبعث لولا محاولات الاستشراف والتغريب المأداة إلى قدمير الإسلام من الداخل بإثارة الفرق والمذاهب الفلسفية القديمة وبعثها وفرضها كنهج على مضللا في الجامعات والمدارس .

وفي صورة هذا الإتجاه الذي تقدم إليه المستشرقون أولًا ثم تابعهم دعاة التغريب أمثال طه حسين كان الهدف هو ما أشار إليه طه حسين صراحة :

« إنَّمَا دَامَ أَسْلَافُنَا قَدْ أَخْذُوا بِفَلْسَفَةِ اليُونَانِ - وَفَلْسَفَةُ أُورُبَا وَحَضَارَتِهَا إِنَّمَا هِيَ امْتِدَادُ هَذِهِ الْفَلْسَفَةِ ، فَعَلِيَّنَا إِذْنُ أَنْ نَأْخُذَ مِنْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْأَوْرَبِيَّةِ كُلَّ شَيْءٍ » .

وهذا زعم باطل في أساسه تنفيذه كل الأدلة والأسانيد فإن المسلمين لم يأخذوا فكر يونان قاعدة لفكرهم بل رفضوه وكشفوا زيفه ، ومن ثم فإنهم يقفون اليوم نفس موقف من الفكر الغربي وليد الفكر اليوناني .

والمعروف أن المنطق الجديد في الفكر الغربي القائم على عدم منطق أرسطو بدأ في القرن الثالث عشر الميلادي حين نقل المسلمين الروح العلمية والرياضية إلى أوروبا عن طريق روجر بيكون ، الذي دعا إلى التخلص من مذهب أرسطو لعدم كفايته وقال أننا نستطيع أن نبرهن بالرياضيات على كل ما هو ضروري لعلم الطبيعة ، وقد أعاد توماس الأكويني فلسفة أرسسطو من

ـ جديـدـ .

(رابعاً) وبين أن الفكر اليوناني الذي اعتمد عليه الفلسفه المسلمين (السكندي - ابن سينا - الفارابي) لم يكن سليم المصادر . فقد أكد الباحثون من المقارنات التي أجريت أخيراً أن النصوص الفلسفية التي ترجمت إلى اللغة العربية لم تكن هي الفلسفه اليونانية الأصلية ، وإنما كانت من بعدها الفلسفه ومن المفاهيم السريانية المسيحية ، ومن ثم فقد ترتب على ذلك اختفاء كثيرة وتلقيقات صهيونية ، وقد أشار إلى هذا عدد كبير من الباحثين : أكد ذلك اسماعيل مظير الذي يقرر أن الشقاقة التي نقلت إلى العرب لم تكن شقاقة لغزيفية صحيحة ، بل كانت صورة من النصرانية تلون بلون إغريق عن طريق اليعاقبة والنساطرة الذين بشروا بعنداناتهم النصرانية في الشرق متخذين من الفلسفه اليونانية سبيلاً إلى التبشير بعقائدهم .

وقال الدكتور عبدالرحمن سرجيا : إن الترجمة من لغة يونان إلى العبرانية ومن العبرانية إلى السريانية ومن السريانية إلى العربية قد أخلت بهواص المعانى في أبدان الحقائق إخلالاً لا يخفى على أحد ، فقد كانت الترجمات تكسباً للحال لا حسماً للعلم ، بالإضافة إلى إستغلال الترجمة في الدعوة إلى نحاجهم ونصرة مذاهبهم ، ويقول الدكتور عمر فروج أن معظم الناقلين كانوا نصارى يعاقبة ونساطرة ، وكانت جهودهم الدينية فوق أماناتهم العلمية من أجل ذلك كان هؤلاء يحررون ، .

ومن أشدّ أخطائهم اضطراها وأثراً ان كتب الربوبية قد هزى لأسطو ، فلما اطلع الفارابي على هذا الكتاب واعتقد أنه لأرسطو قام بتحرير نظريته المشورة في التوفيق بين آراء أفلاطون وأرسطو معتمداً في ذلك على هذا الكتاب ، ووقع الفارابي في الخطأ وإنها رأت نظرية في التوفيق بمجرد أن عرف أن هذا الكتاب ليس لأرسطو وإنما هو فصول أخذت أو لخصت من تصانفات أفلاطون وهو بعيد عن روح أرسطو . وقد بدا أن الفلسفه التي حاول إنشائها الفارابي وابن سينا منها من الفلسفه الارسطية

والأفلاطونية المحدثة وقد بدلت المحاولة مشوهة وناقصة . وتسمى الفلسفة الإسلامية .

ومن هنا نعرف كيف اندمت الكثير من المفردات الفارسية واليونانية والمسيحية واليهودية إلى الفكر الإسلامي ، وحاولت الإنعام بمعم الزمان .

(خامسا) وقف الفكر اليوناني من التجريب موقف الاحتقار . بينما أمضى الفكر الإسلامي مفهوم التجريب وبذلك نقل البشرية إلى عصر جديد عجز عنه اليونان .

(١) فالمسلمون بكل أدلة الناكيد والجزم والثقة هم الذين وضعوا المنهج التجريبي واقتحموا تلك العقبة التي وقف عندها الفكر اليوناني حين وقف عند المدخل للصوري . وبذلك جمع المسلمون بين أسلوبين للنظر والفكر هم الدليل العقل والمدليل التجريبي ، وقد سجل روجر بيكون فضل هذا المنهج الخاطئ في تاريخ البشرية كلها ونسبة إلى المسلمين .

وأمّا خصائص المنهج التجريبي الإسلامي انه منهج إدراكي أو تأملي ، فقد أدرك مفكرو الإسلام عام الإدراك انه لا بد من وضع منهج في البحث يخالف المنهج اليوناني حيث أن منهج اليونان إنما هو تعبير عن حضارة مخالفة وتصور حضاري مخالف .

وفارق بين منهج احتقر التجربة والتجريب وجاء منطق أرسلاطو أكبر معبر عنه ، وبين منهج دعا إلى التجريب مستمدًا بذلك من روح القرآن نفسه الذي دعا إلى نزعة عملية عملية تناهى عن البحث في ذات الله وتدعو إلى البحث في خلق الله . ولذلك فإن موقف المسلمين من منطق أرسلاطو أو من الفكر اليوناني لم يكن ناشئاً من معارضة ذاتية ، وإنما كان تأكيداً لذاتية الفكر الإسلامي وروحه وإصالته وطابعه الخاص . ولذلك فإن المسلمين لم يشغلو

بالجواهر أو الماهية أو التصورات التي شغلت بها الفلسفة اليونانية وإنما اشتغلوا بالحوادث ، وأدرجوا هذه الحوادث في نسق متكامل ، وهذا هو جوهر الخلاف الذي أرسى بمفهوم الكراهة أو المعارضنة لمعنى أو سطوة وهي مخالفة ذات يذور أصيلة للأسماء الأصلية الإسلام وهو التوحيد ولم تكن المانحة عن ضيق أنق أو تزويج مذهبى .

ومن هنا فإن الدعوة التي تثار عن طريق حرکة التغريب في البحث عن حالم الغيب عن طريق العقل دعوة معارضنة تماماً لمفهوم التوحيد الإسلامي . وإذا كان الإسلام قد حال دون الابحاث الميتافيزيقية على طربة الفكر اليوناني فإنه قد قدم لل المسلمين منها كاملاً ما وراء عالم الشهادة منذ بدأ الخلق إلى نهاية الحياة الدنيا وما بعدها من حياة الجزاء الآخرى ، كما قدم صورة لعالم ما وراء السكون الظاهر من سعادات وأفلاك . وبذلك أرضى رغبة الإنسان في فهم هذه العالم وجعلها أساساً لفهمه لرسالته ومستوياته ومقداره وأعمل عقله الانطباقية الحقة لأداء رسالته في نطاق قدرته الحقيقة . وقد كشف الإسلام في هذا عن أن العقل الإنساني بطبيعته قادر عن التوصل إلى السكنه أو الماهية بقدرته الذاتية التي تعجز عن ذلك ، ولذلك حدد القرآن مسائل ما وراء الطبيعة محمد بدأ كاملاً وطلب عدم الجري فيها خلفها وأن تبحث في محيط الاقتدار العقل وحده وهو [تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتملکوا] .

والقدرة المقلية هي القدرة على التفكير في أنوار الله الدالة على عظمته ، وبما لها الحس : أما الذات والسكنه والماهية فهذا فوق استطاعة العقل ولذلك جاء به الرسني مبيناً تاصماً :

البحث في المصانص وعدم البحث [طلقة في الماء] :

وكان هذا التوجيه الإسلامي القرآني من نطاق العمل الذي حققه المسلمون ولم تستطع تحقيقه الأجيال السابقة كالمأهولة : وهو إيجاد المخرج التجاري .

ومن هنا فإن الدعوة التي تثار عن طريق حركة الغريب في البحث عن
عالم الغريب عن طريق العقل هي دعوة معارضة تماماً لمفهوم التوحيد الذي هو
دعامة الإسلام الحقة.

و الواقع أن هذا خلاف للواقع الذي حدث فعلا . فإن الذين قبلوا الفكر اليوناني والمنطق الارسطوي هم الشرح ، المتابعون على طريق المائتين اليوم ، والذين أطلق عليهم المشاؤون المسلمين وأبرزهم السكندي والفارابي وابن سينا .

أما العلماء المسلمين في مجال الأصالة فانهم ردواها تماماً . وكشفوا عن أن المنطق الارسططاليبي ^(١) هو منهج البحث في علوم اليونان الفكرية والفلسفية فيما حل المخصوص ، ثم إن هذا المنطق هو أدق تعبير عن الروح اليونانية في نظرناها إلى السكون وفي حماولة إقامة مذاهبها في الوجود ، وقد لفظ الإسلام علوم اليونان الفكرية لفظاً قاسياً وحاربها أشد حربة ، ذلك أن الروح الإسلامية تستمد مقوماتها من بيئة مختلفة وجنس مختلف وتصور حضاري جديد وهي تناهى أشد النوى عن النظر في العالم اليونانية

(١) عن بحث الدكتور علي سامي النشار : مقدمة مناهج البحث عن مفهوم الإسلام :

الفكرية من ميتافيزيقاً وفزياءً وغيرها ، وكان من المخن أن يكون لها منهج في البحث مختلف أشد المخالف عن منهج اليونان يستمد مقواته من حضارتها العلية بحيث يكون طابع تلك الحضارة الأساسية وجواهرها الوحيدة .

وكشف علماء المسلمين أن فلاسفة الإسلام المشاؤون إنما يبنون دائرتهم منفصلة منعزلة عن تيار الفكر الإسلامي العام ، وأن مثل الإسلام الحقيقيين هم الفقهاء والأصوليون والتكلميون وغيرهم من مفكري المسلمين وهؤلاء هم الذين يرفضون المنهج اليوناني والمنطق الأرسططاليسي كلياً ، وقد نوصل الدكتور النشار إلى وثائق ثابتة لهؤلاء العلماء من خلال إنجازهم القيمة تكشف زيف ادعاء المستشرقين ومن تابعهم من المتأخرین على الإسلام الذين ادعوا أن المسلمين أقاموا فكرهم على منطق اليونان . وأن المسلمين استطاعوا أن يقدموا أعظم كشف عرفه العالم الأوروبي من بعد ، وهو المنهج التجربى الإسلامي في أكمل صورة .

وقال: إن التكلميون والأصوليون الأوائل لم ينقلوا المنطق الأرسططاليسي على الإطلاق ، وحاولوا إقامة منطق جديد بالكلية في جوهره ، ووقف فقهاء أهل السنة وأجتamaة من المنطق الأرسططاليسي بل من المنطق اليوناني على العموم موقف العداوة التامة واصطعن بعضهم حجج الشراك اليونانيين وأصناف إليها حججاً أبدعواها ، وأشار إلى أن الشراح المسلمين كانوا امتداداً للعقل الملبي في العالم الإسلامي بحيث كانت الوشائج التي تربطهم بالتفكير المنطق الإسلامي واهية تماماً ، ولهذا لفظتهم المجتمع الإسلامي لفظاً قاماً .

وقال الدكتور النشار بفساد الفكرة التي تقول إن التكلميون كانوا أرجلاً دين استخدموها منطق أرسطو في جدتهم اللاهوتي وإن المنطق الأرسطي (٢٤ - المؤامرة على الإسلام)

فوبالمنطقة الكلامية حتى القرن الخامس أسوأ مقابلة ، وهاجمه جميع الفرق الكلامية : مهزلة وأشعرية وشيعة ، وقال ابن تيمية : مازال نظار المسلمين بعد أن عرب هذا المذهب وعرفوه يعيشونه ويتدوّنون ولا يلتفتون إليه ولا إلى أهله في موازينهم العقلية والشرعية ، وهذا ما ردده ابن القيم وقال ابن خلدون إن المسلمين لم يأخذوا بالأقبية اليونانية لما ياتها المقدمة .

وألفت كتب كثيرة في نقد المنطق الأرسططاليسي ، منها :

— **الدقائق لابن بكر بن الطيب** .

— **الآراء والديانات لابن النوبختي** .

= **كتب أبا عل الجبائى وأبا هاشم والقاضى عبد الجبار في نقد المنطق الأرسطى** .

(ذكر ذلك أبو حيان في المقايسات ص ٥٥٥)

= **أبو العباس النافىء المعنزلى** :

[قال السيرافي لابن بشر منى بن يوسف : وهذا النافىء أبو العباس قد نقد عليكم وتتبع طريقةكم وبين خطأكم وأبرز ضعفك ، ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا كلمة واحدة لما قال وما زدتم على قولكم : لم يعرف أفرادنا ولا وقف على مرادنا] .

(صاعد طبقات الأمم ص ١١٨)

= **ابن حزم** :

نقد منطق أرسطو وألف كتاباً أسماه التقرير لمحدود المنطق (ذكره صاعد في طبقات الأمم) وبسط فيه فن القول على تبيين المعارف واستعمل

فيه أمثلة وجوامع شرعية وخلافه أرسطو واضح هذا العلم في بعض أصوله
خلافة صريحة .

= الغزال هاجم منطق أرسطو .

= إمام الحرمين هاجم منطق أرسطو .

وفي هذا تكذيب مريح لما أورده أطفي السيد أستاذ جيل التغريب
حين قال :

• ولقد قوبلت فلسفة أرسسطو عند السلف بصدر رحب واستغل بها
الخلفاء وأهل النظر من علماء المسلمين وأصبحوا خلفاء أرسسطو ويمثل مذهب
المشائين ، وبين فساد هذا الفهم ، فإن علماء المسلمين رفضوا منطق أرسسطو
والفلسفة اليونانية جملة لأنها تتعارض مع مفهوم التوحيد حماد الإسلام .

(سابعاً) يعد موقف الإمام بن تيمية هو قمة المواقف في مواجهة
الفلسفة المشائية .

فقد أعلن أن الفكر الإسلامي له منطق خاص مستمد من القرآن والسنة
الحمدية ، فاستخرج منها المنطق الجديد الذي سمى المنطق الإسلامي ، هذا
المنطق الذي كان فيه غنى المسلمين عن العقلية الغربية في الحكم على الأشياء
وفي الاستبصار والتأمل الفلسفى ، ورد على المنطقين الذين استنبطا كلام في
عقولهم آثار الفكر اليوناني وطوابعه وعزما من الاقتباس من فلسفة
القرآن والحديث النبوى ومنطقهما .

وقد استخلص المنطق الإسلامي من القرآن الكريم بحيث أغنى المسلمين
في قضايا الفكر والحكم الصحيح عن المنطق اليوناني وعن أقوابته وأساليبه
ومسمياته وقطبيقاته ، وقال إن ما عند أئمة النظار من أهل الكلام والفلسفة

من الدلائل العقلية الالهية ، فقد جاء القرآن بما فيها من الحق وما هو أكمل وأبلغ منها على أحسن وجه منه عن الأغليط الموجودة عند هؤلاء .

ولقد كان ابن تيمية رائداً لشكل الاتهامات الحديثة في انتقد منطق أرسسطو من أرجائون فرنسيس باكون إلى المنطقية الوضعية ، وقد عن ابن تيمية ب النقد فلاسفة الإسلام (الفارابي وابن سينا وابن رشد) وكل من وافقهم في التشريع لمنطق أرسسطو وعرض المنهج الإسلامي الاستقرائي فتبين تاريخ هذا المنطق -منذ نشأته على يد المسلمين حتى أوج نضجه ثم أضاف إلى عناصر هذا المنهج الإسلامي مناهج جديدة استحدثها هو مستندًا على روح القرآن والسنة وفترة ذلك كتابه (الرد على المنطقيين) وقال إن الفكر الإسلامي قد رفض المنطق الأرسطي الذي يقوم على القياس والاستدلال النظري ، وأقام منطقاً جديداً أكثر تعبيراً عن خصائصه هو المنهج الحسي التعبيري .

وكشف عن الخلاف بين أرسسطو وأفلاطون ومحاولة الماشائين المسلمين شراح الفلسفة اليونانية في التوفيق بينهما . وكشف عن الخلاف بين هذه المحاولة وبين العقيدة الإسلامية ، وأبان عبث هذه المحاولة (محاولة الفارابي وابن سينا) وعمق تجربة التلفيق عندهما بين الإسلام والأفلاطونية المحدثة . ورأى أن هدف هذا التلفيق هو هدم الإسلام من الداخل ، وهاجم المتكلمين واتهمهم بمخالفة الكتاب والسنة وكشف عن ضعف أدائهم التي لرأدوا بها مناظرة الخالفين وأهل البدع ، وأجرى محاولة للتوفيق بين العقل والدين . ولكن ليس على أساس أن المقل مرادها للفلسفة اليونانية . ولذلك رأيه أن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفًا لاصحیح المفهوم ، ورفض رأى الرأزى والغزالى القائل بتقدیم العقل على النقل إذا تمارضوا إلذ من يدعى خلاف ذلك فقد قدح في الرسول وقد ترك منطق ابن تيمية بصمات واضحة في كثير من الاتهامات المنطقية الجديدة المبنية لمنطق أرسسطو

وخاصة المنطق المادى لدى يمكرون وهيجيل ، والمنطق الرياضى لدى دصل
والمنطق السبيكولوجي .

وقال مصطفى عبد الرزاق : إن الدراسات المنطقية لو سارت منذ عهد
ابن تيمية على نهجه في النقد بل الشرح والعمق لسكتنا بلغنا من الأرق
مبينا عظيمها .

ويعتبر ابن تيمية في رده على مناطقة اليونان ومن تابعهم من متكلمي
الإسلام أكبر ممثل لروح الإسلام تجاه الفتنة اليونانية .

(٢) نقد ابن تيمية المنطق الأرسطي و هدمه هدمًا قويًا ، فذهب إلى
أنه من الخير للإسلام أن لا يستعمل مصطلحات الفلسفة والمنطق وينكر
ابن تيمية استطاعة الحد في المنطق الأرسطي من الوصول إلى كنه الشيء
أو ماهيته ، ويرى أن عمل الحد ووظيفته التبيير بين المدحود وغيره ، أما
تصور المحدود فلا يستطيع الحد القيام به .

ونقد ابن تيمية القضايا الأرسطية ، وذهب إلى أن التتجربة والاستقراء
وقياس التفتيل باطل . وقرر أن القرآن هو الذي يمدنا بصورة الاستدلال
 وأنه هو الذي يقدم لنا الميزان ويقدم لنا الأقبية البرهانية .

(ثامناً) أبرز وجوه التعارض بين الفكر الإسلامي والفكر اليوناني
وقال : إن أكبر الخطأ هو القول بأن هناك لقاء ولو جزئي بين الفلسفة
اليونانية والوثنية وبين الفكر الإسلامي القائم على التوحيد . وذاك يرجع
إلى أسباب جذرية بعيدة المدى وإلى خلاف في الأصول العامة .

أولاً فالإسلام يقرر قصور المقل الإنساني عن التوصل إلى الماهية والسكنى
والشيء في ذاته ، وقد حدد القرآن موقفنا من مسائل ما بعد الطبيعة وطلب

إلينا عدم الخوض فيها وراءها، ودعانا إلى أن نترك بحث (الجوهر) الذي لا يستطيع أن نصل إلى حقيقته عن طريق العقل وحده وإن بحث (المصانص) وإن لا يبحث مطلقاً في الماهية . وهذا ما رسّمه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (تفکروا في خالق الله ولا تفکروا في ذات الله فتهلكوا) .

نانيا : الميّة فيزيقياً اليونانية هي نتاج ذاتي قائم على الفردية والتصور الخاص المخالف لروح الإسلام القائم على مفهوم الجامع لكل معتقد فيه . وقد كانت الفلسفة اليونانية عملاً ذاتياً لا يتفق والمجتمع .

ثالثاً : الفارق العميق والواضح بين مفهوم القرآن لوحدة الله وفاعليته وبين مفهوم الفلسفة اليونانية فله في الإسلام خالق كل شيء ، وإنه خلق كل شيء من لاشيء ، وأوجد العالم من العدم وأعلن بدأ الزمان وأعلن نهايته ، وبذلك هدم مفهوم الفلسفة اليونانية في القول بقدم المادة وعدم فنائها .

فضلاً عن هذا فإن القرآن لم يترك مفاهيمه مطلقة بل وضع أصولها كاملة ، ولقد كان ما قرره القرآن أكثر قبولاً في العقل وأقرب إلى الفطرة .

فله هو خالق الأرض والماء والجبال وجعل ذلك كله مسراً للإنسان خليفة الله الذي خلقه من تراب ونفع فيه الروح وعلمه الآباء ودفعه إلى اكتشاف الكون ووضعه في موضع المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقى والحساب والجزاء الآخرى .

(فاسماً) قدم القرآن الدليل على وجود الله ببارك وتعالى عقلاً في عديد من أساليب البحث ومنهجيه :

. أولاً : الدليل الكوني المبني على التنظر في هذا العالم .

. ثانياً : الدليل العقلى التحليلي (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) .

ثالثاً : دليل استنبطه العلماء من الآيات التي تتكلم عن شيدنا ابراهيم وملائصه أن تغير أحوال الأشياء التي نشاهدها يدل على حدوثها وضرورة وجود محدث لها لا يشهدها .

(عاشر) عقيدة الاتحاد وعقيدة وحدة الوجود :

عقيدة الاتحاد لا توافق الإسلام أية موافقة من حلول الخالق في المخلوق أو استفرار المخلوق في الخالق ، وهو غير طبيعة كل منها لهذا انكر الإسلام على المسبعينية فكرة الحلول وأنكر نفس الفكرة على الصرفية . ولا يتفق الإسلام مع عقيدة الوحدة لأن فيها لإنفصالاً من عقیدته الأصلية (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ولا عقيدة التصوف الفلسفى (لَا مُوْجُودٌ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ) وسيأتي كل منها بذاته إلى نتائج مختلفة أشد المخالفة لنتائج الأخرى .

تأثير التصوف الفلسفي بالبحوث المبتدأ فيزيائية : الفيدا الهندية، والاشرافية الفارسية والفيضن الأفلاطيني .

أما التصوف السنى فقد سار في طريقه ينكر على التصوف الفلسفى فكرته فقد أخذ من القرآن والسنة وانتهى إليها ، وقد وصل الفكر الإسلامي بالتصوف السنى إلى يقظة الحارس الديدبان الصميري، وهي فكررة لم تصل إليها أوروبا إلا حديثاً هل يد بتل الأخلاق الانجلتراوى .

(حادي عشر) لا بد من الإشارة إلى الدور الذي قام به رجال الأصالة الإسلامية في مصر الحديث في مواجهة خطر تجدد إعصار الفلسفة اليونانية والغربية على التوحيد الإسلامي ، وقد بدأ هذا الاتهام منذ أعلان الشيخ مصطفى عبد الرزاق أن الفلسفة الإسلامية تبدأ من الفقه الإسلامي والكلام وأن كتاب (علم أصول الفقه للشافعى) هو منطلق هذا الاتهام وأن الشافعى في الفكر الإسلامي موازياً لأرساطو في الفكر اليوناني واعتقد أن الكائنى

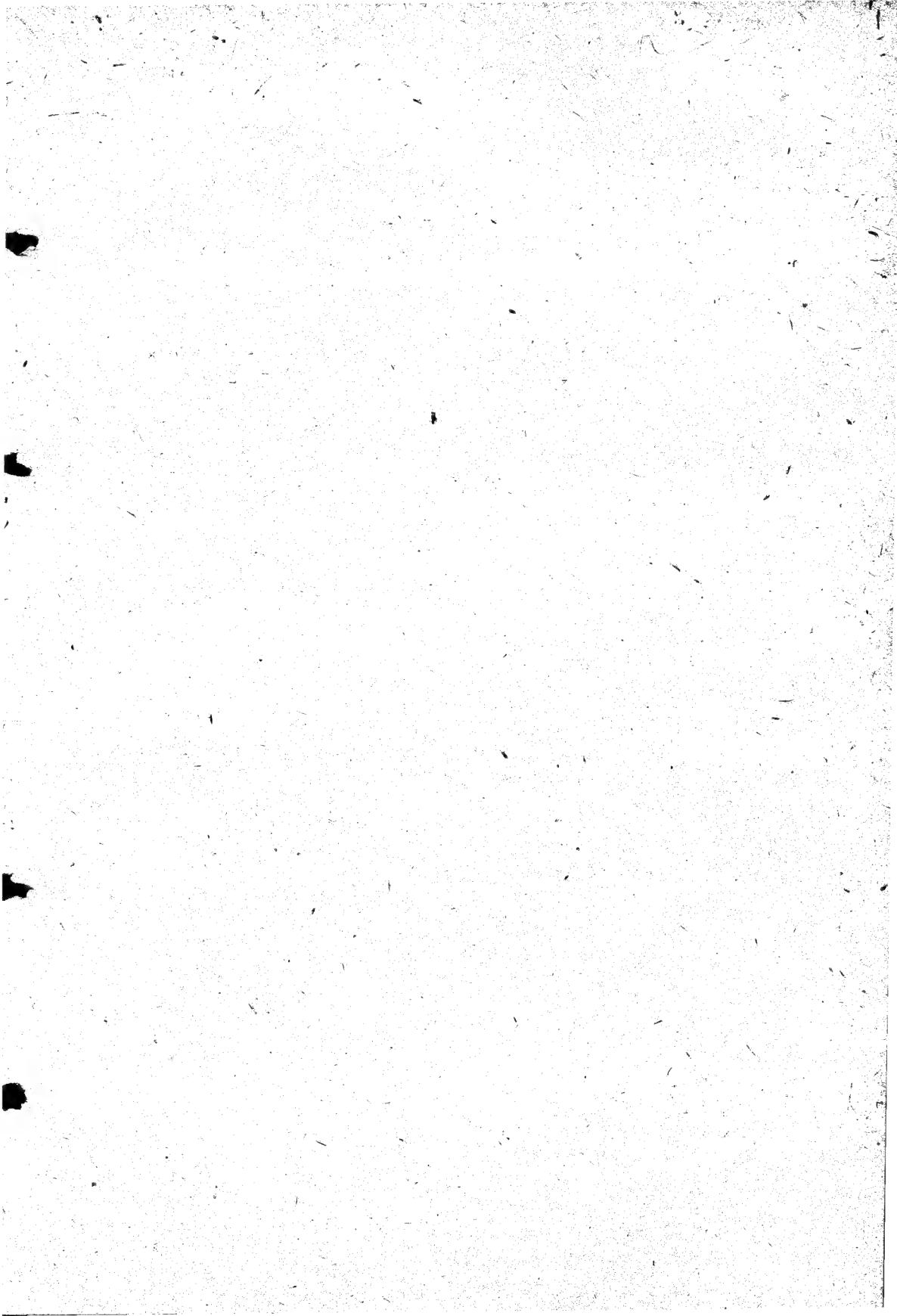
والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم لا يمثلون الأصلية الإسلامية بل يمثلون إمداداً دخلاً للشائين اليونان، فهم لا يزدرون عن أن يكونوا شرحاً للفلسفة اليونانية وأن كتابات علم أصول الفقه والمتكلمين هي فلسفة الإسلام ، وأنبت أن المنطق الأرسططاليسي : منهج الحضارة والفسر اليوناني لم يقبل في المدارس العقلية الحديثة . وأن المنهج التجريبي الذي عرفته أوروبا بعد قرون من مطلع حضارتها الحديثة هو منهج الإسلام وهو مبادئ لروح الحضارة اليونانية .

(ثالث عشر) أن الفكر الإسلامي بطبيعته مصادرة وتشكيله وذاته الخاصة القائمة على التوحيد والتبوية والربط بين المقل والقلب كان متفتحاً أمام الفكر البشري ولذلك كان قادرًا على التماسك دون الانصراف في أي بودّه ، ومن هنا كان موقفه من الفلسفة اليونانية ، فإذا كان الفكر الإسلامي قد تشكل على أساس التوحيد والأخلاق وإقامة منهجه الفكري على أساس العقل والوحي فقد كان من العسير أن ينحصر في الفلسفة اليونانية القائمة على الوثنية والمجتمع العبودي وأعلام العقل وعبادة الجسد ، هذا فضلاً عن أن الفلسفة التي نرجح أن تكون هي الفلسفة اليونانية وأنه قد أصابها عاذير كثيرة من فساد الترجمة والتحوال الكتب وتحريف النصوص ، خدمة هدف البشير بالمسيحية ، ومن هنا فقد قامت المعارضنة لها منذ اليوم الأول ، وإن كانت طائفة الفلاسفة المسلمين قد حاولت إدخال الفلسفة اليونانية في إطار الإسلام فقد فشلت المحاولة تماماً ، حدث هذا في نفس الوقت الذي نعا فيه نيار معارضنة الفلسفة اليونانية واتسع نطاقه حتى أصبح يمثل ضمير الفكر الإسلامي كله وانعزل دعاء الترجمة والتفسير .

كانت هذه المعارضنة مقدمة الشجب الكامل للمفاهيم الفلسفية اليونانية التي تتعارض مع الإسلام في التوحيد والأخلاق وفي بناء المجتمع نفسه . كل هذا يؤكد : أنه ليس محظياً ما ذهب إليه طه حسين ولطفى السيد

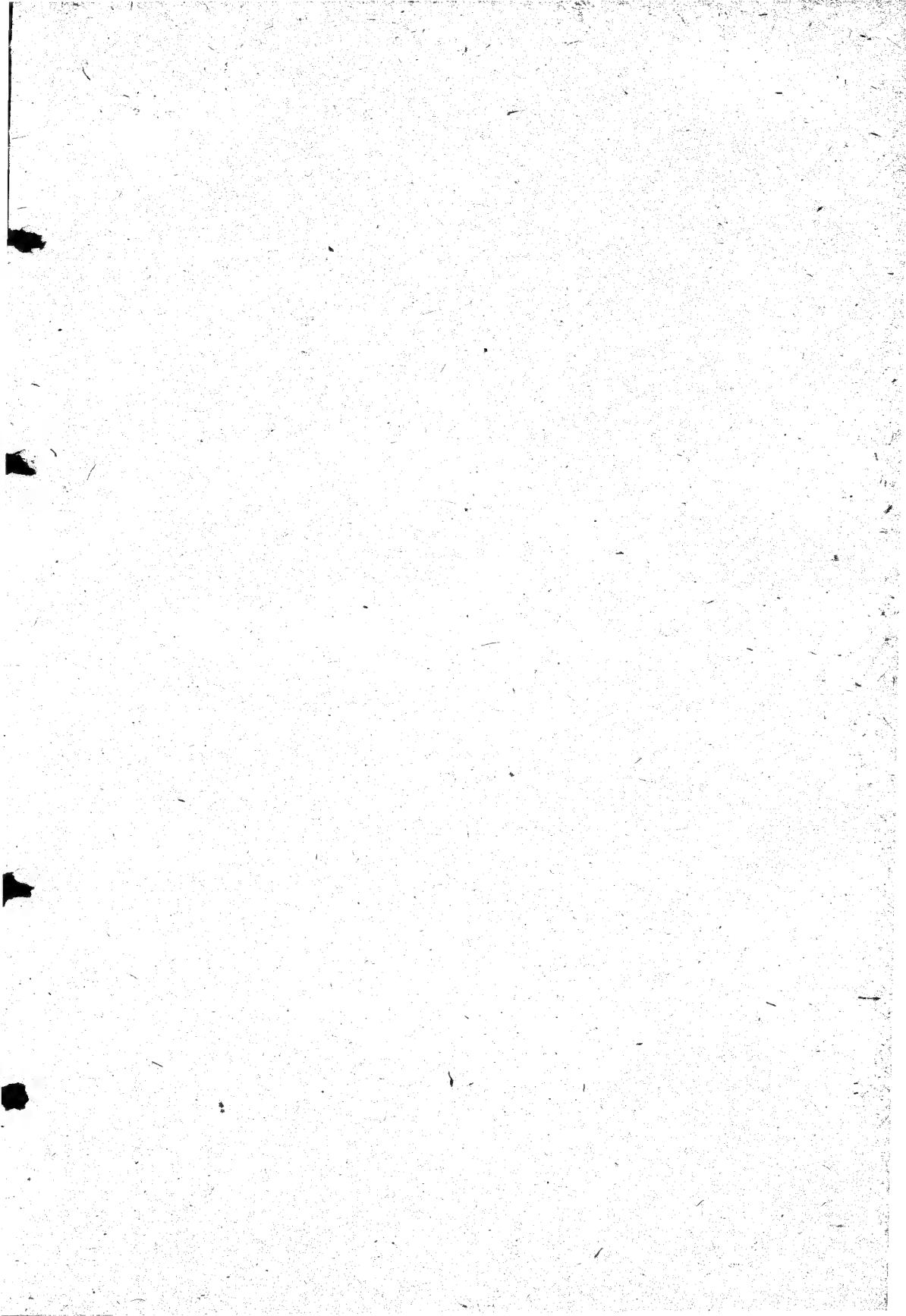
دأبراهيم يومى مدحور من أن منطق أرسسطو سيطر على بعض دوازير الفنون
الإسلامى . وفي العصر الحديث كشف الدكتور النشار هذه الحقيقة في كتابه
ماهوج البحث عند مفكري الإسلام وثبت إثباتاً قاطعاً عدم قبول مفكري
الإسلام للمنطق الارسططاليسي ومحاربتهم له ونقدم بقية عناصره ، وتبين
عدم صدق الفكرة القائلة بأن المسلمين أخذوا المنطق اليونانى واعتبروه
منهجاً لأبحاثهم .

وقد ذيف هذا القول المدعى بالدليل أحلام الاستشراف وحر كالتغريب .



الباب الرابع

إحياء الفكر الشعوري والباطني



الفصل الأول

المؤمرة الباطنية

الفكر الشعوب والباطني : هو فكر بشري تسرب إلى أفق الإسلام بعد عصر الترجمة : فقد ترجمت الفلسفات الفارسية والهندية واليونانية فاختلطت وتصادرت وحاولت احتواء الفكر الإسلامي والسيطرة على القيم الأساسية الإسلامية ، ولقد كان هذا الفكر البشري الوتني المادي قد تشكل منذ وقت طويل واستطاع التأثير على المفاهيم التي قدمها دين موسى ودين عيسى ، وعمل على توجيهها نحو الناول والتبرير والخروج من الضوابط التي جاء بها الدين الحق ، وقد اتجهت هذه المحاولة إلى الفكر الإسلامي واستطاعت أن تجد لها سندًا من الدعاة العتاة في مختلف مجالات العقائد والأدب والسياسة ، وتحولت من بعد إلى مؤامرات خطيرة ، ودعوات هدامة حددت كيان الدولة الإسلامية ، وقد ووجهت هذه الحركة بالمقاومة منذ اليوم الأول وشر مفكرو المسلمين لمعارضتها وضرها وكشف زيفها ، واستمرت هذه المواجهة قرنين كاملين حتى صفيت تماماً وعادت للأصالة الإسلامية إلى مكانها استمداداً من القرآن والسنة الصحيحة ولم تعد هذه القصة إلا صفحة من صفحات التاريخ ، غير أن مؤامرات التغريب والغزو الثقافي منذ بدأ ف المصر الحديث عملت على إحياء هذا الفكر وتجددده مع ما جددت وأثارت من شبهات في مجال الفكر المعنزي والصوفي والفلوسي ، فبدأت كتابات من المستشرقين ودعاة التغريب تدافع عن الباطنية والقراءة والزاج وتعتبر هذه الحركات الصالحة دعوات إصلاحية ، وتصورها على أنها ثورات قامت باسم الإسلام ، بل إن الاستشراق والتغريب قد ذهبوا في ذلك إلى أبعد مدى :

إلى إنما رأى السنة والجماعة والغرض من قدر أولئك المجاهدين الأبرار الذين وقفوا أمام هذه المعاشرة الخطيرة ، وظهر من السكتب ما يحدد هذا الفكر الباطني الشعوبى فى إعادة عرضه والدفاع عنه وتزيينه لاغراء الشباب المنافق به وتصوирه على أنه فكر مستقل منقطع الصلة بأوضاعه وظروفه والردود التي واجهته ، وإن فى الامكان إعادة طرحه في العصر الحديث كفكرة عصرى تقدمى ، وذلك أقسى ما يمكن أن تقوم به دعوات التغريب والتزوير الثقافى من التوييه والزيف وإشاعة سوم خصوم الإسلام التي سقطت بعد أن واجهت معارضه ضخمة مع الفطرة والعلم والدين والحق .

ولقد توزع التغريبون على مجالات الأدب والتاريخ فوجدنا أولئك الذين أعادوا الكتابة عن أبي نواس وبشار بن برد وحاج عجرد ووطيع بن إيس ، وأولئك الذين جددوا عرض حركات الفرامة والزنج والرواندية ، والمفتعن الحراسانى وبابك الحرمى ، على نحو جديد بادعاء أن هؤلاء كانوا دعاة إصلاح .

وهناك من جدد تاريخ الحلاج والمهروردى وبعث كتبهم وكتب ابن هربى الليثية بالسموم ، كذلك جدد فكر إخوان الصفا وبعث رسائلهم وقدم ابن سينا والفارابى والرازى وغيرهم على أنهم قم من أعلام الفلسفة والفكر .

ولا ريب أن إحياء هذا الفكر إنما استهدف إفساد الفكر الإسلامي بغضمه مرة أخرى في هذه الوثنيات والماديات والآباجيات ، حتى لا يستطيع الإسلام أن يعطي عطاء الحق بتحرر عقبيته الأصلية ، وفي بعث هذا الفكر دعوة للشيوعية وعدوسة الصهيونية واليهودية العالمية حاملة لواد الإمبرانيليات القديمة والجديدة .

ولا ريب أن هذه المذاهب تحمل للأهواء المضلة وللنقوص التي لم تتعمق

فهم الإيمان والدين أهواه شديدة المطر ، فإنها تحمل الغاء التكاليف وإسقاط الالتزام الأخلاقى ، وإسقاط فرائض الإسلام وإباحة ارتكاب المحرمات والإغراق في الذات وهي نظريات فى أبرز مفاهيمها لا تفرق بين الخير والشر والنوى والإباحة والفضيلة والرذيلة ، كذلك فإنها تعمم على الإسلام عقيدة أن لا يقرها الإسلام وما عقيدة الجبهة وفكرة الازد ، وهي تصل إلى ذلك عن طريق تأويل القرآن تأويلا لا يحتمل فظمه المكريم ولا يتفق مع مبادئه العليا ، ومن هنا كانت أهمية التعرض لهذا المطر وكشف هذا الزيف .

(٢)

أخذت المفاهيم الباطنية والشعوبية تتدرب إلى الإعلام بذلك الكاتب الذى أذاها عبد الله بن سعيد اليهودي ، الذى دخل الإسلام وأذاع مفاهيم الرجمة والوصية ، فقال إن لكل نبى وصي ، كأشاع نظرية الحق الإلهى وهي نظرية فارسية لا يقرها الإسلام ، وكان هذا أول ما فتح باب التأويل ، ثم كانت مؤاسرة مقتل عمر بن الخطاب خليفة المسلمين بيد بعض أعداء الإسلام من الفرس واليهود ، نفذها (أبوأوزة) وهو فارسي أسير في خوازند أصبح ملكا للمغيرة بن شعبة . وكان هرمزان وهو سيد من سادة الفرس من المنامرين ، كان مقتل عمر مقدمة لقتل عثمان الذى كان لمفاهيم عبد الله بن سعيد لها الخطير في التهديد لها . بل وكان لهذه الأفكار التي يها عبد الله بن سعيد والسببية من بعده في أفق الإسلام تلك الآثار البعيدة في ظهور حركى الشعوبية والباطنية ، فقد أخذت أفكار المانوية والتنوية تحت أسماء متعددة مختلفة تطرح من جديد في أفق الإسلام ، وبذلك تشكل ذلك الجناح المنابر من خصوم الإعلام الذى عجز عن هدم الدولة الإسلامية سياسيا ، وعمل على هدمها عن طريق ضربها فكريأا وإفساد عقidiتها . واستشرت تلك المفاهيم الفلسفات والأديان السابقة واستطاعت أن تجدد مفاهيم الجوسية والمانوية

والزراوشنية . وكان أن حملت أفكار هذه الدعوات إلى أفق الإسلام فأثارت كثيرون من الشبهات والشكوك ، وكانت في مجموعها دعوة إلى تدمير جوهر الإسلام القائم على التوحيد الخالص وعلى الشريعة الإسلامية ذات الحدود والضوابط والأخلاقيات والإيمان بالمسؤولية الفردية والجزاء الآخرة .

وقد أطلق على هذه الحركة اسم (الزنادقة ، الباطنية ، الشعوبية) استمداداً لاسمها من أبرز مفاهيمها ، ولكنها في الحقيقة كانت تمثل مؤامرة ضخمة في مواجهة الإسلام لها أطرافها المختلفة .

ولقد قدمت هذه الحركة إلى الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي فبرهن وسموها وذكرها هداماً كان بعيد المدى في إثارة الشكوك وزلازلة التقوس :

أولاً : قدمت : أحاديث مكذوبة على الرسول يحملون بها الحرام ويحرمون بها الحلال ، حتى يقول بذلك أحد رموزهم عبد السكرين ابن أبي العوجاء الذي اعترف بذلك قبل موته قال : لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحالن بها الحرام وحرمت الحلال .

ثانياً : قدمت مفهوماً للعجبية مغایرًا لمفهوم التوحيد الإسلامي ، سواء أكان مفهوم الثنائية المجرمي أو المانوي القائم على إله النور وإله الظلمة .

ثالثاً : قدمت نظرية الشبوعية المطلقة بين النساء والأموال والإباحية بين الناس .

رابعاً : قدمت مبدأ تقدیس الحاكم الذي ينبع عن نظرية الحق الإلهي والتي يرى معتقدوها أن الحاكم يستمد حكمه من الله لأنه ظل الله في الأرض .

خامسـاً : دعت إلى إسقاط الفروعية الدینية كالصلوة والزكوة

والصوم والحج ، وأباحت شرب الخمر والذئاب والشهوات ، وإباحة زواج البنات والأخوات .

سادساً : أدعوا أن لكل شيء ظاهراً وباطناً ، ولكل تنزيل قاوياً ،
وإلى جانب ^(١) التأويل كان التحايل على المخروج عن الحدود .

سابعاً : أذاعوا يابا حية الكلمة في شعر بشار وأبي نواس وحماد عبرد
ودعبد المزاعي وصالح بن عبد القدوس وأقلموا للخمر ديواناً في الشعر
يكاد يطغى على سائر فنونه ، وكذلك أمرفوا في إذاعة شعر الغدان .

ثامناً : إنكار الوحي المنزل على الرسل والقول بأن العقل الإنساني
هو حلقة الاتصال بين المرأة وربها ، وكان ابن الراوندي في مقدمة الدادين
إلى تقدس العقل والإدعاء كذلك بأن العقل هو الوحي من عند الله ، وإنما
للامان إلا بما يراه الإنسان .

واستخدمت الباطنية أساليب وألفاظ أجنبية من اللغة العربية ، مستمدة
من مصادر هلينية وأفلاطونية كما استمارات كثيرة من الطقوس الدينية التي
يمارسها الصابئة والأفلاطونية المحدثة .

وكانوا يرمزنون إلى الشيء بضنه ، ويرون أن الجسم ليس وجود حقيقي
 فهو بجاز ، وأدخلوا عن طريق إخوان الصفا نظرية الإمام ونظرية المقول
العشرة والتتساخ وقولهم بالنور العلوى والإشراق ونظرية الصدور ، والعقل
الكلى ونظرية الفيوض . وكلما ما نقلوه من ذلك الركام القديم .
وقد أطلق على هذه الأفكار كلمة الزندقة ومعناها التعطيل والإلحاد أي

(١) التأويل غير التفسير . التفسير شرح أو ترجمة المعنى لكل كلمة ، أما التأويل
فيقصد به باطن المعنى أو رموزه أو إشاراته ، وكل الفرق الباطنية تقوم على التأويل
ومدف التأويل تقلب المفاهيم الباطنية وتحاول المفاهيم الظاهرة التي تمثل أصول الأحكام .

نفي وجود إله خالق مدبر للكون : ويقول المؤرخون أن الزنادقة طائفه تظاهر الإسلام وتبطن عقائد الفرس ودياناتهم وتعمل على إحياء المعتقدات القديمة ومعارضة الديانات ، والقول بالرجوع إلى قوانين الطبيعة .

وأبرز من حل لواء هذه الأفكار بعد ابن سبا : ابن المفعع وبشار وحماد مجرد ومطيع ، واستهدفا نشر دعوى الإباحية وإسقاط التكليف والستربة بأصول الدين والخلق والنظم الاجتماعية وإنارة الجدل والشك حول الخر وغیرها من المحرمات ، وحل بشار لواء نشر الفساد الخلقي وإشاعة الفسق بالنساء ، واشتهر حماد عجرد بالتهتك واللسان البذى ، وهاجم أهل التقوى والورع ولا سيما النساء وأهل الزهد ، فسبهم بأذى الران الساب والافتراض عليهم بما ليس فيهم ، وبالغ أبو نواس في الترويج للخمر وتحت الناس على شربها متسقراً تحت اسم التفافاً بالظرف ، وبلغت هذه الموجة أوجها في «نوسن للبسطاء والضعفاء» ، ولكنها وجدت مقاومة صارمة ومعارضة صادقة ، كشفت زيفها وأعادت لنفس طماميتها إلى مفهوم الإسلام الحق .

(٣)

وأشار الباحثون إلى أن كلمة الباطنية تشمل فرقاً عديدة أهمها : الحرمية والقرامطة والإساعية كما أطلقت على المزدكية وهي فرقة مانوية أسسها (مزدك) وظهرت في عهد الملك الساساني قياد بن فيروز وهذه الفرقة شأن سياسي هام حيث أنها أخذت الطريق الديني والتاؤيل في ظاهر الدين سبيلاً للدس . وتغلب عليهم الإباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة المحفوارات واستحلالها وإنكار الشرائع .

وأنظر أصلين من أصول الفلسفة الباطنية هما : (أولاً) التفسير الباطني للكتاب والسنة الذي يهدف إلى تحرير ما اشتمل عليه دستور المسلمين من

أفكار وصرفها إلى معانٍ بعيدة عما تصدّ بها (نانيا) فـ«ذكر الإمام المعصوم» وجعل هذا الإمام محور ثابت يرتبط به الدعاء بالطاعة الخاصة والانتقاد الأعمى حتى يسهل على المتأمرين إقرار خططهم وتنفيذ مآربهم.

ويقول السيد أبو الحسن الندوى : إن فتنـة الباطنية نشأت من ثمار الفلسفة اليونانية وكان معظم دعايتها أفراداً وأئمـاً : شعروا قد فقدـت سيادتها وحكمـها في تيار الفتوحـات الإسلامية ، ولا مطـمعـ في استردادـها بالـحـرب ، أو رـجـالـاً يـدـينـونـ بالـشهـوـاتـ والـلـذـاتـ ويـؤـمـنـونـ بـالـإـبـاحـةـ وـعـبـادـةـ الـنـفـسـ وـالـإـسـلـامـ يـجـدـ منـ شـهـوـاتـهـ أوـ رـجـالـاً يـطـمـحـونـ إـلـىـ السـيـادـةـ الـمـطـلـقـةـ وـقدـ اـجـتـمـعـ هـؤـلـاءـ تـحـتـ رـابـطـةـ الـبـاطـنـيـةـ وـقـدـ شـعـرـواـ بـأـنـ إـلـاسـلـامـ لـيـزـمـ فـيـ مـيدـانـ الـحـربـ وـأـنـ الـمـسـلـيـنـ لـاـ تـصـحـ دـعـوـتـهـمـ إـلـىـ الـإـلـاحـادـ السـافـرـ فـانـ هـذـاـ يـاهـبـ غـيرـهـمـ الـدـيـنـيـةـ لـذـكـرـ اـخـتـارـوـاـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ هـدـفـهـمـ ، سـلـوبـاـ لـاـ يـزـعـجـ الـمـسـلـيـنـ وـلـاـ يـشـيرـهـمـ : وـهـوـ «ـالـفـرقـ بـيـنـ الـظـاهـرـ وـالـبـاطـنـ» ، مـرـكـزـيـنـ عـلـىـ الـصـلـةـ الـقـائـمةـ بـيـنـ الـكـلـمـاتـ وـالـمـصـطـلـحـاتـ الـدـيـنـيـةـ وـمـعـانـيـهـاـ وـعـنـ طـرـيقـ هـذـهـ الـمـصـطـلـحـاتـ تـقـومـ الـصـلـةـ بـيـنـ الـمـسـلـيـنـ وـمـاـضـيـهـمـ وـمـنـابـعـهـمـ الصـافـيـةـ فـاـذـاـ إـنـقـطـعـتـ هـذـهـ الـصـلـةـ (ـبـيـنـ الـكـلـمـاتـ وـالـمـعـانـ) وـأـصـبـحـتـ الـكـلـمـاتـ لـاـقـدـلـ عـلـىـ مـعـنـيـ خـاصـ وـمـفـهـومـ مـعـانـيـ وـتـسـرـبـ الشـكـ وـالـخـلـافـ إـلـيـهـ بـاتـ هـذـهـ الـأـمـةـ فـرـيـسـةـ لـكـلـ دـعـوـةـ وـفـلـسـفـةـ وـسـاغـ لـكـلـ أـحـدـ أـنـ يـقـولـ مـاـ شـاءـ .

ان أصول الديانة الإسلامية وعقائدها وأحكامها ومساندها إنما عرضت في إطار ألفاظ وكلمات تدل عليها وتغير عنها وكان لا بد من ذلك عن كل رسالة جديدة وقد تغيرت معان الكلمات ومفاهيمها وتواتر ذلك عملياً ولغظياً في الأمة واستفاض وعرفته الأمة الإسلامية ودانت به فكل من كلمات النبوة والرسالة والملائكة والمعاد والجنة والنار والشريعة والفرض والواجب والصوم والزكاة والحج تؤدي معنى خاصها وتفهم منها مفاهيم خاصة

لا يشك فيها مسلم ولا يختلف فيها إثنان كا أن الحقائق التي تغير عنها هذه
الكلمات ظلت محفوظة في الأمة توارثها الأجيال وتنتقل مع الزمان .

ومن هنا كانت موادرهم في التفرقة بين الكلمات ومعانيها : يقول ابن الجوزي في كتابة تلبيس لبلبيس : قلوا : إن لظواهر القرآن والأحاديث
بوعطن نهرى من الفواهر مجرى اللب من القشر وإنها صورتها توم الجمال
صورة جلية وهي عند العفلاه رمز وإشارات إلى حقائق خفية وإن من
تقاعد عقله عن الغوص في الحفایا والأسرار والبواعن والأغوار وفتح
بطوارئها كان تحت الأغلال التي هي تكليفات الشرع ومن ارتفق إلى علم
الباطن سقط عنه التكليف واستراح من أعبائه .

وقد مضت الباطنية في هذه المحاولة إلى غايتها تمييزاً بين الظاهر والباطن
وتفضيلاً للباطن واستخفافاً بالظاهر وجعله مصدر سخرية ، واعتباره بمنزلة
الفشور والباطن بمنزلة اللب ووصفوا الظاهر بأنه متناقض مع وجده وإن أنه أقرب
لبعض ولا دليل عليه ولا حياة فيه ويقولون : إن الغاية من التشريع (التأويل)
التي هي من الجسد كالروح وأن (التزيل) ليس إلا جسماً وقد تأولوا آيات
القرآن وسنن النبي و قالوا إن من ارتفق إلى علم الباطن إنحط عنه التكليف
وأن جميع ما استبعد الله به العباد في الظاهر من الكتاب والسنة أمثال مضر و به
وتحتها معان في بطونها ولاريب أن هذه الدعوى باطلة تماماً وإنما قاعدة على
مفاهيم الفلسفة اللاهوتية اليونانية فالباطنية وهي من أخطر الأساليب
وأكبرها أثراً في جماعات الناس رغبة في إرضاء الشهوات وهي في جملتها محاولة
لتدمير باب الإسلام وجوهره تستهدف إذاعة ثلاثة محاذير خطيرة
يشكرونها الإسلام .

أولاً : إيهاد الواسطة بين الله والإنسان .

ثانياً : القول بالعصمة للبشر في أمور العقيدة والشرعية .

ثالثاً : القول بسقوط التكليف .

(٤)

وقد تبين أن أغلب هذه الفرق كانت ترمي إلى غايات سياسية ولكنها اتخذت هذا النحو البراق للخداع والتضليل من ناحية وحتى تستطيع أن تهدم القيم الأساسية التي تقوم عليها الدولة الإسلامية وقد كان وراء هذه الدعوات مؤامرات القراءطة والباطنية وعند أئمه بن ميمون القداح والحسن الصباح الذي بث تعاليم ابن ميمون والقراءطة ودار الحسكة .

وإذا كانت الحركة الباطنية القدحية تهدف من وراء احتضانها لحركة الشعوبية والزندقة إلى قلب نظام الحكم الإسلامي، بمحنة مجموعة من المجموعات والشتوية والملحدة والفلسفية والحاقدية على الإسلام والعرب تسموا باسم (الرافضة) الشعوبية فإننا اليوم نجد مثل هذه الجماعات تجتمع من جديد تحت لواء الاستعمار الشيوعية والصهيونية محاولة بعث ذلك الفكر الوتني تحث أسماء جديدة وفي كتب برافة تحمل خدمة مخططات بروتوكولات صهيون التي كشفت عن ترابط عجيب بين الصهيونية والشيوعية والاستعمار ، وقد أطلق على هذه الجماعات نفس الإمام القدح الراوض والشعوبية، أعداء كل دين وملة الذين يعملون على إخناء جماعات الشباب والثقافيين المسلمين في كل قطر عربي .

وإذا كانت «الشعوبية الباطنية» قد نجحت — مرحلةً في اجتذاب الناس إلى صفوفها بفضل الخداع والمخالفات المنطقية التي استخدمنا — كما يحدث اليوم — فإنه سرعان ما ينكشف هذا الزيف ويدحض الحق باطلهم ، وقد تبين اليوم بطلان خدعة الفردوس الماركي الموعد وانكشف فساد

الأيديلو جيات الديمقر اطية والاشتراكية والقومية الغربية التي بطرت في أفق المجتمع الإسلامي .

وكا يتبين فساد الدعوة الباطنية وارتباطها بالصالح الأجنبي فقد تبين تماماً أن هذه الأيديلو جيات التي يحمل لوائها التغريب والاستشراق لاتهدف إلا إلى إحتواء هذه الأمة وصهرها في آتون الأعمية والظلمة .

لم تستطع هذه الأفكار أن تحدث الأثر الذي كان يتطلع إليه دعاها وهو تدمير الفكرة الإسلامية القائمة على التوصية كقدمة لإسقاط الدولة الإسلامية ، فقد كانت مفاهيم الإسلام أكثر أصلية وأقرب إلى الفطرة والعلم والعقل فتصدت هذه المؤامرة بقوة وتصدى العلماء المسلمون لهذه الموجة العدائية بقوة فنكشفوا زيفها وأدواها منها ، كما انكشفت هدف هذه الدعوات وتبين ما وراءها من مؤامرة سياسية ، وتصدى الكثيرون للرد على هذه الشبهات : وتمثل هذه المواجهة في عديد من الأعمال :

أولاً : المدارس التي أنشأها نظام الملك لإقرار مذهب أهل السنة والجماعة ودحض مزاعم الباطنية ، وقد قامت هذه المدارس بدور هام في هذه المقاومة ، وشارك في هذه الحملة علماء كثيرون : منهم الغزالى والباقلاني والشهرستاني وغيرهم وربط كثيرون من المؤرخين بين الباطنية والمجوس واستدلوا على ذلك من نصوصهم التي تطلق كلمة العقل الأول على الله (تعالى الله عما يقولون علواً كثيراً) .

ثانياً : ظهرت فرق المقطوعة للشكير على الفساق : وظهر خالد الدربيوس الذي دعا إلى الأسر بالمعروف والنهى عن المشكر ومهل بن سلامه الأنصارى الذي دعا إلى العمل بكتاب الله – يقول الطبرى أنه تبعهما خاقان كثيرون وأمكن منع الفساق وكشف عادتهم ثم جاءت بعد ذلك فرقة الحنابلة فكان لها دورها التاريخي المعروف .

كذلك ظهرت حركة الرهد كرد فعل على حركة الاهو والانحراف التي
قادها الزنادقة .

ثالثاً : عقد الخلفاء المناظرات لمناقشة آراء الباطنية والشيعية ،
ونوهت أفكار بشار من برد وصالح بن عبد القدوس ورد على كثير مما أثاره
أصحاب العقائد المجوسية وقد نكل المهدى بالزنادقة وأمعن في قتل الملحدين
والمداهنة عن الدين وأمر بالرد على ما نشر من كتب مان وابن ديسان
ومرقيون وما ترجم من الفارسية والفارسية إلى العربية وما صنف في ذلك
ابن أبي العوجاء وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطبع بن لياس في نايد
المذاهب المانوية والديسانية .

رابعاً : ظهر عدد كبير من حملة لواء الدفاع عن جوهر الإسلام منهم
الحسن بن عثمان الخياط الذي ألف كتاب الإنصار والرد على ابن الروانى
فيما قصد به الكذب على المسلمين والطعن عليهم وابن الجوزى الذي ألف في
الرد على الزنادقة والباطنية كتابة تلبيس إيليس حيث عرض بشبهاتهم
ودحضها ورد ابن حزم على ابن الشربة اليهودي الذي ألف كتاباً ينافض
كلام الله . والماحظ قوله مزلفاته في الرد على الشعريّة والباطنية وأهمها
الحيوان والبيان والتبيين وللمغزاى في هذا المجال القدح المعلى : فقد ألف
عددًا من الكتب : ألف المستظرى وجدة الحق وفصل الخلاف والدرج
المرقوم بالجدال والقطاط المسقيم وفضائح الباطنية وعرض لنظرية الإمام
المقصوم وكشف عن أن هناك مقصوم واحد وهو محمد رسول الله كارد عليهم
الشهرستاني وابن حزم وابن تيمية وابن القيم كما ظهر جماعة من العلماء العادلين
في مواجهة هذه التحديات ، كانوا نماذج للإيمان والورع والتقوى : من
أمثال عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري والفضل
بن عياض وقد هجر هؤلاء مناصب القضاء والسياسة وأقاموا على دعوتهم إلى
الله يعيشون من تمادهم ويرفضون العطاء .

(٥)

وفي العصر الحديث نرى مفهوم الباطنية يتجدد في طبع مؤلفات ابن عرب وابن الحلاج وابن الفارض، ودراسة أفكارهم ومناهجهم وأساليبهم وسائل إغوان الصفا، ويحمل رجال الأدب المعاصر مسوية هذا العمل الخطير الذي يجرى تحت اسم التوق الأدبي أو الفني كذلك فان كتاب العصر الذين يأخذون من هؤلاء دون أن يقدروا والخلفيات الخفيرة التي تحملها أخطارهم إنما يحملون إلى منقى مصر سيراً وشبهاً تتعارض مع أصلة الإسلام وقيمه التقدمية البناءة.

ذلك أن المذاهب الباطنية في أصلها كانت تستهدف العقيدة الإسلامية من أساسها، وأن تجديد هذه المذاهب تحت اسم الفن أو الأدب أو الفلسفة أو غيرها إنما هو «محاولة» جديدة لطرح هذا الفكر الفاسد المسموم مرة أخرى في أفق الفكر الإسلامي في واحدة من محاولات بسلة العقيدة وتلوينها ذلك أن ما كتبه الباطنية إنما هو تحضير شديد الخطأ أرادوا به هدم أصلية الإسلام بالشبهات والتآويلات والشكوك القائمة على التأويل والتسطيل والدعوه إلى رفع التكليف. والفلسفة الباطنية في صياغتها مؤسسة على الفلسفة اللاهوتية اليونانية وعلى الطبيعيات استخدمت مصطلحات الفلسفة اليونانية وعقائدها قالوا أن الشريعة قد دنست بالجهلات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة. ولاريب أن الفلسفة تناهى النبوة وتمارضها على خط مستقيم منذ النقطة الأولى فـ«ما لا يلتفت»، وإذا ظهرت الفلسفة بدأ احتقار الناس للدين ورغبتهم في التحرر منه ومن تكاليف عقائده.

ومترجم من كتب الفلسفة اليونانية الالمانية إنما هو كتب الإلهيات والمبنياتيزية وهو ما يسمى علم الأصنام عند اليونان والذى هو وتنادتهم القومية وقد بلغ خطير الباطنية أن قال عنه مؤلف (الفرق بين الفرق) : أن ضرر

الباطنية على فرق المسلمين أعظم من هنر اليهود والنصارى والجوسون عليهم
بل أعظم من مضررة الدهرية وسائر أصناف .

ولا ريب أن عبد الله بن سبأ هو مؤسس هذا المذهب الباطني الذي
استمد من المحسنة لآفاساد الإسلام وإزالة ملك دعائمه من العرب ، ومن
هذا المذهب تفرعت كل التحالف المارقة المدامة كالقاديانية والبابية والبهائية وغيرها
من هذه التحالف التي ما زالت ترهق الإسلام وهذا ما يدعوه الاستشراق والتغريب
إلى التشبيث به .

ولقد وضع عبد الله بن سبأ قوائم هذه الفرق وألف تلك المغنية للسرية
التي بنيها في مختلف أقطار البلاد الإسلامية والعربية وهو أول من طرح هذه
المفاهيم في أفق الفكر الإسلامي فأنشأ جماعة السباية الخطيرة التي تولّها
من بعد عبد الله بن المقفع ثم كانت تلك الجماعات الخطيرة التي حملت لواء
تنفيذ خطط المؤامرة : كاخوان الصفا والفرامطة والزنج .

(٦)

وفي طريق الانتهاء اليهودي يشير بعض المؤرخين إلى المفاهيم التي أخذ
(كمب الأحبار) ينفثها والتي تستهدف تشويه أهداف ركن الجهاد تمييداً
لقتله في نفس المسلم ، وذلك بإنارة الشبهة حول مقاومة أعداء الإسلام أو
مقاومة النفس ومجاهدتها ، على نحو الذي تقول به القديانية اليوم وبصيغ
بعض الباحثين ظاهرة إدعاها بعض اليهود لاعتناق الإسلام ومحاولتهم إحداث
الفتنة بين المسلمين ومن آثار ذلك كله ظهور (الاسمانييات) وبوضع
الأحاديث أو رواية الأحاديث التي نسبت إلى عبد الله بن سلام أو كمب
الأحبار ، فقد كان ينظر إلى ما يرونه من الأحاديث نظرة إرتياح لما عرف
عنهم وقد أشارت كثير من الدراسات عن أن هناك من دخلوا في الإسلام

ظاهرًا وابطنا غيره وكان دخولهم لفسدوا على المسلمين أمور دينهم ويلثوا
فيهم الأفكار المنحرفة .

وقد أظهرت اليهودية في أفق الفكر الإسلامي القول بالرجمة ودعت
بعض الفرق إلى تقديس الإمام علي . فاليهودية قد أثرت في الفكر الباطني
كما أثرت في فكر المعتزلة .

ودعوة الجبرية دعوة يهودية الأصل ، كذلك فإن ما وضعت من فحص
في كتب التفسير هو من تأثير الامرانيات ، وهو فحص أعاد بعث الخرافات
والآراء الطير التي كان متداولة في الديانات السابقة بعد أن دخلها التحرير .

ومن آثار اليهودية مسائل التأويل والتشابه من القرآن وما يتصل باتخاذ
الأفسيه المنطقية والتعليلات الفلسفية وسيلة لأنبياء العقائد وهدفها هو
إقصاء النهج القرآني في العقائد ومن ذلك التصوير المادي في وصف العرش
والملائكة وحياة القبر .

ولعل أصدق ما يمثل دور اليهود في الحركة الباطنية ما قاله الشعبي لملك
بن معاوية حين قال : احذرك الآهواه المضلة وشرها الرافضة فأنتم يهود
هذه الأمة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية لم يدخلوا في الإسلام
رغبة ولا رهبة من الله ولكن مقتنا لأهل الإسلام ونعيًا عليهم وقالت
الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدى وقالت اليهود لا يكون جهاد
حتى يخرج المهدى .

ومن إمتداد الاتهاء اليهودي تجلى البهانية والقاديانية والروحية الحديثة .
وتتجلى جماعة الدوّنة التي حلّت لواء مؤامرة إسقاط الدولة العثمانية ، ويطلق
وصف (الدوّنة) على يهود من أترال أزمير وسالونيك حين كانت تابعة
للدولة العثمانية اعتنقوا الإسلام في ظاهر وهم يهود في باطن وفدت تبعوا في

اعتناق الإسلام زعيهم أو نبيهم (شباتي) الذي ادعى عام ١٩٤٨ أنه المسيح الذي ينتظره اليهود ليعمل على إنقاذهم من تشریدهم ولبيوسس لهم ملكاً عريضاً ثم ادعى الإسلام ليقتل من الإعدام ، وكان قد قبض عليه عام ١٩٦٦ في القسطنطينية وحكم عليه بالإعدام فأعلن إسلامه إذ نطق بالشهادتين فلما علم السلطان محمد الرابع حاكم تركيا إذ ذاك حملته بساطته إلى الاعتقاد بأنه أسلم حقاً فغدا عن عقوبته وقد تبع شباتي أتباعه في إدعاء الإسلام وهؤلاء هم من يطلق عليهم وصف الدولة وقد أشارت الموسوعة اليهودية إلى أن هذه الطائفة كانت تدعى الإسلام جهراً ولكنها تقوم بأداء الشعائر اليهودية سراً ولما فشلت الحركة الصهيونية في أوآخر القرن الماضي في حل الخليفة العثماني عبد الحميد على الساحر ببرقة اليهود إلى فلسطين (التابعة لتركيا) فقد اتجه اليهود ولا سيما الدولة إلى تحطيم الخلافة العثمانية في تركيا .

ولم يسكن من المصادرات أن يتم قبليبغ السلطان عبد الحميد قرار البرلمان الترك بعزله على يد النائب اليهودي (قره صو) نائب سلانيك فقد كان هذا النائب ذاته هو الذي سبق أن أوفده اليهود الصهيونيون لمقابلة السلطان عبد الحميد وإنغرانه بقبول هجرة اليهود إلى فلسطين في مقابل دفع خمسين مليوناً من الجنيهات الذهبية لخزانة الدولة وخمسة ملايين لخزانة السلطان الخاصة وقد رفض السلطان العرض وكان اليهود ولا سيما الدولة في سلانيك وغيرهما هم مؤسسى محافل المسؤولية والداعية إلى الدعوة الطورانية في تركيا وذلك للتخلص من الإسلام واللغة العربية وفرض عرى الروابط بين الترك والعرب وقد كان لذلك أثره في حكم مصطفى كمال أناتورك^(١) .

(١) مطلعى صبرى : موقف المقل والعلم والعلم من رب العالمين .

الفصل الثاني

الدعوة الشعوبية

الدعوة الشعوبية هي واحدة من فصائل خطط المؤامرة على الإسلام ، وقد انصبت حملاتاً على :

(أولاً) مهاجمة العرب حلة لواء الإسلام وأصحاب الدولة الإسلامية في تاريخهم وأسلوب حياتهم وطمس ذاتهم وكيانهم ومهاجمة فكرة الشرف العربي والطعن في نظرتهم إلى المروءة ومهاجمة القيم العربية والفضائل الخلقية التي تتمثل في مفهوم الشرف والكرامة .

(ثانياً) مهاجمة التاريخ الإسلامي ، ولغة العربية .

(ثالثاً) الطعن في جذور أصول القيم الإسلامية وجذورها .

(رابعاً) تفسيخ القيم الخلقية العربية الإسلامية .

وقد عمدت الشعوبية إلى مهاجمة الثقافة العربية بصورة عامة لإحياء الثقافة الفارسية القديمة وتقليل شأن الثقافة العربية وإظهارها وكأنها غير وافية بحاجة المصر ، وقد ركزت الشعوبية في هجومها على اللغة العربية بحسبانها وعاء الثقافة العربية بعد أن سيطرت على شعوب حلم الإسلام واللغات القديمة ، وأصبحت لغة المقاومة ولغة الميادة مما ، ولذلك فقد اتجهت حملاتهم إلى تحريفن أصحاب اللغات بالعودة إلى الاتساع والتآليف بلغتهم .

كذلك عمدت الشعوبية إلى إذاعة المجنون والشرااب والمجاهرة بالخلاعة والانحراف الجنسي واعتبرت ذلك نوعاً من التحرر والظرف .

ونحن نحمد اليوم نفس الأسلوب ينكره بظهور الشعوبية الحديثة التي تطعن في العرب ومقوماتهم وعقيدتهم وتحمل لواء الإباحية والاحاد و تستخف بالقيم الأخلاقية في بناء الأسرة والجماعات ، فتجدد الدعوة إلى مظاهر الخلاعة والمجنون والانحراف في الشهوات الجنسية وشرب المخمر تحت اسم الانطلاق والتحرر والمعصر يقد

وقد تركزت حملة الدعوة الشعوبية في قرطبة التاريخ وظهرت ما أطلق عليه كتب المثالب وقد حللت هذه الكتب صوراً مشوهة وزانفة للعرب بهدف استئصال تاريخ العرب وقيمهم وحمل الأجيال الجديدة على التخلص من ماضيهما واحتقار أقوامهم .

وكذلك قامت على بعث الأساطير والخرافات القديمة والتراجم الوفنة لابعاد المجتمع الإسلامي عن تاريخه الأصيل .

وهذا العمل قد تكرر في مصر الحديث عن طريق كتابات المستشرقين والمبشرين وأتباعهم من دعاة التغريب وقد عاش الدكتور طه حسين عمره كلها يجمع صور الفحشاء والانتقام من تاريخ العرب والمسلمين هو يذيعها وتنابعه على هذا الطريق عدد كبير من التغريبيين : أمثال لويس هوض ولويس ويبروفسحال وحسين فوزي وزكي نجيب محمود وسلامة عموسي ومحمود عز الدين .

ولقد واجه النهضوي والباحثون في العصر الأول سلسلة حالات الشعوبية ودافعوا عن اللغة العربية وأظهروا مزاياها وكشفوا عن مظاهر حيواناتها ونشط الكتاب والمفكرون العرب لربط التراث الثقافي العربي قبل الإسلام بالآدب العربي بعد الإسلام ، كما عمد البلاذري في كتابه فتوح البلدان إلى الكشف عن دور الضخم الذي قام به العرب في سبيل نشر الإسلام وتكوين الدولة الإسلامية .

واليوم نجد عشرات من كتاب حركة البقظة يواجه حلات الشعوبية على اللغة العربية والقيم الإسلامية العربية في الجيل الأول من أمثال مصطفى صادق الرافعي والغمراوى ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وتواصل الأجيال حمل لواء المقاومة.

قال السيد المرتضى : نشأت جماعة تستر بياطوار الإسلام وتظهر شعاره وتدخل في جملة أهلها وهم زنادقة ملحدون وبلاية هزلاء على الإسلام وأهل أعظم وأغاظ لآنهم يوغلون في الدين وبهون على المستضعفين بجأش رابط ورأى جامع والزندقة تعاذه الإسلام والعروبة مما : تبدأ بالتهجم على العرب إلى مهاجمة العربية ونهاية بالهجوم على الإسلام . وله أدرك الماحظصلة الوثيقة بين الشعوبية والزندقة قال : « فانما عامة من ارتات بالإسلام إنما جاءه هذا عن طريق الشعوبية فان التجاوز عن الدين يؤدي إلى تجاوز كافة القيم » .

ويوضح ابن قتيبة أن الشعوبية تدفع أصحابها إلى الغلو في القول والإسراف في الذم وهم حين يركزون على الأمة العربية إنما يتطلعون منها إلى هدم الإسلام نفسه ولذلك فقد عدت حركة المواجهة الإسلامية إلى تأصيل دور العرب الذين حملوا راية الإسلام إلى الشعوب الأخرى وأعطوا الإسلام نطاقه الجغرافي الأول بالفتحات وصاحب انتشار الإسلام توسيع العربية إذ نزل القرآن بلسان عربي مبين وجاء الحديث بالمرية الفصحى وقام العرب بالدور الأول في وضع خطوط اللغة وفي رسم المذاهب الفقهية ، فمرروا الدوافين والإدارة في صدر الإسلام ، وهم الذين عملوا بجد وحماسة لتسكين العلوم العربية والإسلامية ورسم إطارها العام إلى أن جاء دور الشعوب الأخرى لمشاركة في هذه الثقافة فلما ساهمت تلك الشعوب فعملت ذلك باللغة العربية .

وكذلك ركزت حلات الشعوبية على الجسذور والأصول فهي تماجم

العرب قبل الإسلام واتهمهم في كل شيء : في أسلوب حياتهم وفي فصاحتهم وخطبهم وفي أنسابهم وفي علاقاتهم الاجتماعية وفي مقايسهم الخلقية .

وقد واجهت الأصالة العربية الإسلامية هذه الملل فكشفت عن زيفها وأظهرت السجايا العربية الحبيدة وكشفت عن المروءة العربية ودافعت عن أنساب العرب وكيانهم الثقافي .

وكانت من أخطر عواولات الشعوبية في القديم ، التي تجددت في العصر الحديث الدعوة إلى العودة إلى اللغات المحلية وقد ساعد على ذلك نفوذ الاستعمار والتبيشير الذي حال بين كثيرون من أجزاء العالم الإسلامي من اتخاذ اللغة العربية لغة أساسية بعد أن فرض عليهم إحدى اللغتين الفرنسية أو الانجليزية وعند إلقاءهم الإقليدية فدفعهم إلى كتابتها بالحرف اللاتينية .

وقد دافع المحافظ والثعالبي عن اللغة العربية لأنها لغة القرآن ولغة الثقافة العامة وفي العصر الحديث دافع كثير من رجال حر كة البقة عن اللغة العربية وكشفوا زيف خصومها (أقرأ كتابنا المساجلات والمعارك الأدبية) .

الفصل الثالث

إخوان الصفا

كانت (إخوان الصفا) هي أول ثمار الحركة الباطنية في الجماعة المcriية التي مزجت الفلسفة اليونانية والمقيدة الباطنية لتخرج للناس مذهبًا جديداً. يخرج (المهاتيون) ونظريات أفلاطون وأرسطو وأفلاطون وفياغورس وغيرهم بالمقيدة الإسلامية في خليط متضاد قائم.

وقد انتج هؤلاء العشرة رسائل إخوان الصفا ، التي أذاعوها بعد أن كثروا أسماءهم واستقروا وراء تلك الموز الحقيقة التي وضعوها هناك وهناك من فصول كتاباتهم واستهدفوها منها وضع برنامج للعمل السرى الذى يستهدف القضاء على الإسلام ودولته وتأسيس دولة أخرى على أنقاض الدولة الإسلامية تضم المقادير الرونية والمجوسية والإباحية التي أنسوها من جام ركام الفكر البشري الزائف المتند من فارس إلى الهند إلى اليونان والذى اختلطت فيه الطبيعة الإغريقية بالفنون الشرفية .

وصفهم أبو حيان التوحيدي في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) بأنهم عصابة ، تألفت بالعشرة وتصفات بالصدقة فوضعوا مذهبًا دعوا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله وذلك أنهم قالوا : إن الشريعة قد دنست بالجهالات واحتللت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجهادية ورددوا أن مئي انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الاتصال وصنعوا خمسين رسالة (٥١ رسالة) في جميع أجزاء الفلسفة علمياً وعملياً وأفردوا

طافه فرساً وسموها (رسائل إخوان الصفا) وكانت فيها أسماءهم وبنوها في الواردين ووهبوا الناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والأمثال الشرعية والمحروف المختلعة والطرق الموجهة .

و هذه الرسائل تشتمل على الطبيعيات والرياضيات والإطبيات والعقليات يعوزها التعمق والنظام ويظهر فيها الإغراف في الخيال والاعتماد على الأفكار اليونانية من غير خص ولا انتقاد وبحث في كل علم عن غير إشباع وإقناع، فهي مبنوّة من كل قيد بلا إشباع ولا كفاية، ينسكرون فيها البُعد بالآجساد ويفسرون الآخرة والجنة والنار خلاف لما توازى عند المسلمين وفهم من النصوص الدينية القطعية ويشكرون الشياطين على الصورة التي يفهمها معظم المسلمين ويقولون : هي النقوس الشريرة الهامة فيها فلك القمر مع آخرها من النفوس التي جعلت ذواتها في الحياة الدنيا ويفسرون الكفر والعقاب تفسيراً باطنياً فلسفياً ويشتمل على كثير من الآراء الخيالية بعضها مختلف من اليونان وبعضها وليد الأذهان وبعضها زرات الكهان ك Amarar الإعدام والتخييم والفال والرجز ، والسحر والعزم والإيمان بطلع العجوم وتأنيرها ، وموسيقى الأفلال ونحوها ويشتمل كذلك على عقيدة الوحي والإمام المستور والتقدمة وفيها إعداد النفوس والعقول للدولة الجديدة يقوم على إقامة أهل البيت وإخطار بانتهاء الدولة العباسية وزواها وبالاختصار فهي مجموعة غريبة من الحكم والديانة والشريعة والكلبانة والسياسة ، تقوم على أساس الفلسفة اليونانية الطبيعية والإطبية ونظرياتها وأوهامها واتهار بانهيارها وأليست لها أهمية كبيرة ولو لا الامتناع الفكري الذي كان يسود العالم في القرن الرابع والخامس وإنجلال كل ما يظهر من الصنعة الفلسفية كما نالت هذا الاهتمام .

وهكذا زُيَّ بوضوح أن الرسائل كانت مقدمة لتحويل الدعوة الباطنية
(٩ - المؤامرة على الإسلام)

إلى مؤامرة خطيرة لتدمير الدولة الإسلامية والفكرة الإسلامية عموماً، أو كما قال أحد الباحثين : مبادلة لوضع نظام جديد خلق له على يحمل عمل الشريعة الإسلامية التي يعتقد إخوان الصفا أنها بشكلها الحاضر قد أصبحت عتيقة لا تؤدي رسالتها وقد أخفقت هذه المبادلة إخفاقاً تاماً فلم تنتج نظاماً عليها ولم تنشئ بعثتهماً جديداً يقوم على أساسها وأصبحت في مدة قريبة من الآثار التاريخية العتيقة التي لا تأثير لها في الحياة ولا محل لها إلا في المتاحف والمكتبات .

ويرى الدكتور عبد اللطيف محمد العيد: أن إخوان الصفا وخلان الصفا الوف كانوا يضعون السبب في الفساد خدمة لأهدافهم وأن هذه الرسائل كانت سجلات لحافلتهم السرية وأنها تمثل المذهب الباطني الإسماعيلي في دور الستر، لما تقوم عليه من ناويات باطنية عديدة ولقد كان المذهب الأفلاطوني الحديث تأثير بالغ في هذه الرسائل فلم يختلف إخوان الصفا عن أفلوطين في القول بأن العالم وحدة حية متكاملة فابضة بروح سارية في كل أجزائه (وهو ما يسمى مذهب وحده الوجود الذي ينكره الإسلام لإنكاره شديداً وبمعارضه معارضة تامة) .

كذلك فهم في أبحاثهم عن الإنسان (صديقاً وفيلسوفاً ونبياً ورسولاً) يطبقون تعاليمهم الباطنية وينفثون سمومهم المدama .

وهم في مفهومهم للإمام يعارضون مفهوم الإسلام الصحيح حين يرون أن الإمام إلهي الذات وأنه معصوم بينما لا يقر الإسلام عصمة لا لرجل واحد هو محمد بن عبد الله رسول الله وبذلك فقد كانت هذه الرسائل هدم لفهائم الإسلام الأساسية وهدم للنبوة و الحرب للإسلام وطعن في الصحابة .

وقد استغل الباطنية التشيع في نشر دعوتهم كما استغلوا التصوف الفلسفى وتسروا وراء أهل البيت والصوفية .

وكان دعوتهم إلى وحدة الأديان وإلغاء التمصب للدين ما علامة على انحرافهم وخروجهم على مفهوم الإسلام الأصيل كذلك فقد كان أشد آرائهم فساداً هي قولهم أن الخاصة لاحاجة لهم إلى الشرائع، ودعوتهم إلى التخلل من القرآن وقولهم أن الشرائع للعامة وحدهم ولاريب أن ماسمهو علم الباطن إنما يعني أن الرسول كتم شيئاً من الوحي عن عامة الناس وحاشا له أن يكتم صلي الله عليه وسلم شيئاً.

(٢)

أشكل منذ وقت بعيد معرفة مؤلف رسائل إخوان الصدف فذهب طائفة من الناس إلى أن الذى ألفها أحد متكلمى المعتزلة أو الإمام جعفر الصادق (جاء ذلك في مهاج السنة الغبوبية لابن تيمية) وذكر بن حجر في فتاواه أن الذى ألفها هو المجريط وأيده في ذلك صاحب كشف الغطون وذهب البعض إلى أن جماعة لا شخصاً واحداً هم الذين ألفوا هذه الرسائل في البصرة حوالي منتصف القرن الرابع الهجرى وأشار أبو حيان التوحيدى إلى أن وزير حفص الدولة بن عضد الدولة أخبره عام ٣٧٣هـ أن من جماعة إخوان الصفا أبا سليمان محمد بن معاشر البسى المعروف بالقدسى وأبا الحسن علي بن هارون الزنجانى وأبا أحمد المهرجانى والعمقى وزير بن رقاعة.

وهناك من نسب الرسائل إلى أحد آئمة العلويين، ليكون الرسائل معلومة بالتعاليم الإسماعيلية ويقول الباحث الذى نقلنا عنه هذا (مجلة الكلية ١٨ سنة ١٩٢١) أن الرسالة الجامحة هي خلاصة الرسائل وال تعاليم الباطنية اخذها بقرأتها أقطاب الدعوة الإسماعيلية دون غيرهم وقد كان ليول كازنوفا الفضل الأول في إظهار هذه الرسالة للعالم الغربى ١٨٩٩

ولاريب أن اهتمام الاستشراق والتغريب بهذه الرسائل كان بالغأ ولذلك فإن جماعة منهم (نيكلسون - جولدزير - أولبرى) بالإضافة إلى كازنوفا فهو

ومنها عدداً من الأبحاث حولها وإن كانت كتابات هؤلاء المستشرقين لم تستطع أن تذكر نسبتها إلى الحركة الباطنية فقال كازنوفا :

«أني على أتم الثقة من أن آراء إخوان الصفا هي برمتها آراء الإسماعيلية ومحور هذه الآراء هو الاعتقاد بعودة الإمام وقد انهم القرامطة والحساشون من قبل أعدائهم بالكفر ولكن ليس بهذه النهاية ظال من الحقيقة». ويقول أوليري: هناك ما يغرس بالظن بأن حر كإخوان الصفا كانت حركة إصلاح من جانب بعض الإسماعيليين الذين أرادوا الرجوع إلى تعاليم الإسماعيلية القديمة ويقول جورلوزيير اعتقد أن رسائل إخوان الصفا كانت الأساس الذي بنيت عليه معتقدات الإسماعيلية». ولا عجب أن يدافع المستشرقين عن إخوان الصفا.

ويقول أديب عبامي (الرسالة م ١٩٣٤) معلقاً : أن أول ما يلاحظ في أوجه الشبه بين الإسماعيلية وإخوان الصفا : الأسلوب الذي جروا عليه في نشر دعوتهم والدعابة المذهبية وهو أسلوب الإسماعيلية الممدود (أسلوب التدرج في بدء الفكرة والتلطف في عرضها على الناس) ومن أبواب النشابة بين الجماعتين اتفاقهما كلباً في مذهب الحلول فهو في رسائل إخوان الصفا كما في تعاليم الإسماعيلية المحور الذي تدور حوله هذه الرسائل والتعاليم».

ووجه آخر : هو تفسير القرآن تفسيراً مغايراً لما يدل عليه ظاهر الفظ وهذا هو الأسلوب الباطن ووجه ثالث هو التشبيح لآل البيت والدعوة إلى الإمام المنتظر أو المهدى ويرى أن المعنى في كلام إخوان الصفا لفاطميين وقرآن الأجوال تدل على أنه لهم صلة .

ويقول مالكدونالد : أنه مما يثبت علاقة إخوان الصفا بالإسماعيلية ومن تفرغ منهم وجود قسم من رسائلهم في كتب الحشاشين المقدسة .

وقد ألقى بعض الباحثين أصواتاً أخرى على موقف إخوان الصفا تشير إلى أن المثل الأعلى في رسائلهم ليس مثلاً أعلى إسلامياً (وإنما هي عبراني في سياقها مسيحي في منهجه يوناني في علمه) (مجلة الرسالة الإسلامية ١٩٧٢) وأخطر ما يدفعهم هو أنهم لم يتفقوا عند عقيدة واحدة ، وإنما أخذوا من كل دين وعلم وفلاسفة ومذهب دون إطار ثابت هو في حد ذاته دليل على مؤامرتهم ضد الإسلام .

وكون أنهم لم يعلنوا أسمائهم بدل على أنهم دعاة لاعلاماء .

كل هذا يكشف أن لهم غاية سياسية يخفونها كالوصول إلى الحكم أو القضاء على الدولة القائمة ، ولذلك فهم يكترون من ذكر رموز وإشارات معينة لها تفسيرها الخاص وهذه الظاهرة واضحة في كتابات ابن سينا الذي يستعمل الرموز والإشارات :

ولاريب أن تفهمهم للدين خلوق طال بالفلسفة هو في حد ذاته خروج عن مفهوم الإسلام الصحيح .

وقد ذكر السيد حب الدين الخطيب (مجلة الفتح ١٨ م - ١٢٦٧ هـ) عن أغاخان في كتابه [نور مبين جبل متين] أن مؤلف إخوان الصفا من أمّة الإسماعيلية وهو أحد بن عبد الله بن محمد بن إيماعيل بن جعفر الصادق .

ويقول الدكتور حسين الممتازي أحد دعاة الإسماعيلية البارزة : أن الإسماعيلية يرون القرآن كتاب العامة ورسائل إخوان الصفا ، كتاب الأنمة .

(٣)

كان من أبرز أعمال التغريب والغزو الثقافي مثلاً في الاستشراق والتبيير إعادة طبع وإحياء رسائل إخوان الصفا من جديد بعد أن دفت وماتت

وَكَيْفَ زِيفُهَا أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ سَيِّنةٍ فَقَامَتِ الْمَطَبَعَةُ الْكَاثُولِيْكِيَّةُ فِي بَيْرُوْثَ
بِإِعَادَةِ طَبَعِ هَذِهِ الرَّسَائِلِ . ثُمَّ جَاءَ الدَّكْتُورُ طَهُ حَسِينُ مِنْ أُورُبَا
لِيُعِيدَ طَبَعَ رَسَائِلِ إِخْوَانَ الصَّفَا وَيَقُدِّمُهَا وَلَيْسَ هَذَا عِيَّاً فِي ذَاتِهِ إِذَا
مَارُوْعِي فِيهِ أَصْوَلُ الْبَحْثِ الْعُلَى وَوَضَعَتْ هَذِهِ الرَّسَائِلُ فِي مَوْضِعَهَا الْحَقِيقِيِّ
مِنْ حِيثِ أَنَّ هَذِهِ جَمَاعَةُ إِخْوَانَ الصَّفَا ظَهَرَتْ فِي الْقَرْنِ الْأَرْبَعُ الْمُهَجَّرِيِّ
فِي الْبَصَرَةِ عَلَى هِيَةِ جَمَاعَةٍ مَرْبِيَّةٍ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْمَجْوِسَيَّةِ وَالْزَّنَادِقَ الْحَافِدِيَّةِ عَلَى
الْإِسْلَامِ وَالْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

وَقَدْ كَانَ هَدْفُهُمْ مِنْ هَذِهِ الرَّسَائِلِ وَضُعَ مُخْطَطَ لِتَقْوِيَّةِ اِلْمُجَمَّعِ الْإِسْلَامِيِّ
لَوْ أَنَّ الدَّكْتُورَ طَهُ كَشَفَ عَنْ هَذَا الْمَدْفَعَةِ لِكَانَ صَادِقًا فِي النَّصْحِ لِقَوْمِهِ
وَلِكُنَّ الدَّكْتُورَ طَهُ كَذَبَ عَلَى النَّاسِ وَادَّعَى أَنَّ إِخْوَانَ الصَّفَا قَوْمٌ مُجَدِّدُونَ
مُصْلِحُونَ قَدَّمُوا إِلِيَّا اِلْمُجَمَّعَ الْإِسْلَامِيِّ الْفَلَسْفَاتِ الْهَنْدِيَّةِ وَالْفَارَسِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ
لِإِنشَاءِ نَفَاقَاتٍ جَدِيدَةٍ وَهِيَ الثِّقَافَةُ الَّتِي يَجْبُ عَلَى الرَّجُلِ الْمُسْتَنِيرِ أَنْ
يَظْفَرَ بِهَا .

وَهَذَا خَدْعٌ طَهُ حَسِينٌ قَوْمِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْمَلُ عَلَى
هَدْمِ الْقِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِإِعَادَةِ إِذَاعَةِ هَذِهِ الرَّسَائِلِ كَجُزِّهِ مِنْ مُخْطَطِ التَّغْرِيبِ
وَالْفَزُورِ الْفَقَافِيِّ .

وَيَنْضُمُ إِلَيْهِ زَمِيلُهُ زَكِيُّ مِبارَكٌ لِيَقُولُ : مِنَ الَّذِي يَصْدِقُ أَنَّ رَسَائِلِ إِخْوَانَ
الصَّفَا هِيَ أَعْظَمُ ذَخِيرَةٍ أَدْبَرِيَّةٍ وَفَلْسَفِيَّةٍ ، هَذَا عِلْمُ الْمُسْتَشْرِقِوْنَ ، أَمَّا الْمَطَبَعَةُ
الْكَاثُولِيْكِيَّةُ فَفِي تَقُولُ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ عَظَمَةِ هَذِهِ الرَّسَائِلِ أَنَّ كُتُبَ عَنْهَا طَهُ
حَسِينٌ وَفَرُوخٌ وَجَبُورٌ وَالْمَسْوِقِيُّ وَصَلَيْبٌ وَالْمَهْزَانِيُّ وَالْعَوَادُ وَمَا يَسْبِيْنُونَ
وَلِكُنَّ هُؤُلَاءِ جَمِيعُهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي درْجَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الإِعْجَابِ بِرَسَائِلِ إِخْوَانَ
الصَّفَا وَفِيهِمْ مَنْ كَشَفَ عَنْ عَلَاقَةِ إِخْوَانَ الصَّفَا بِالْمَؤَامِرَةِ الْبَاطِنِيَّةِ .

وَلَقَدْ كَانَ حَقًا عَلَى هُؤُلَاءِ جَمِيعَهُمْ أَنْ يَكْشُفُوا حَقِيقَةَ رَسَائِلِ إِخْوَانَ الصَّفَا

بالنسبة لمفهوم الإسلام الأصيل: وأن هذه الرسائل تعارض هذا المفهوم في عدة أصول أساسية:

أولاً: إنكار البعث بالأجساد.

نماز: تفسير الحسنة والذار والآخرة تفسيراً مخالفأً لما توأّر عند المسلمين.

ثالثاً: تفسير الكفر والمذاهب تفسيراً باطلاً معنوياً.

رابعاً : فساد فنارتهم القائلة بأن النبوة يمكن أن تكتسب عن طريق
الرياحنة وصفاء القلب .

خامساً: فساد قولهم بأن من ارتقى إلى علم الباطن سقط عنه التكليف واستراح من أعباته.

ومن أشد فساد عملهم محاولتهم صهر الأديان والعقائد كلها في صورة زانفة ومن ذلك قوله : الرجل السكامل يكون فارسي النسب عربي الدين عراقي الأداب عبراني المخبر مسيحي النهج شاعي الفسلك يوثاني العلم هندي البصيرة صوفي السيرة ملكي الأخلاق .

وهذا يعني وحدة الأديان وهي دعوى اليهودية التلمودية التي حاولت على مدى المتصور أن تكيد للإسلام ، وهي دعوى متجدد في المتصر الحديث حيث نرى دعوة التغريب يقولون بالتقادم الأديان والثقافات في وحدة الثقافة العالمية التي تشهد أصولها من الفكر التلمودي الذي احتوى الفكر الغربي والحضارة العالمية .

وأصالته المفردة التي تجعله قادراً بذلك على استناداً من طوابعه وفيه ، وحدتها
ولا يقبل الانصراف في الفكر البشري أو الاعية والعلمية القائمة على الوئمة
والمادية .

وقد وصف أبو حيyan التوحيدى رسائlem : بأنها مبسوطة في كل فن بلا إشارة ولا كفاية وهي خرافات وكفایات وتلميقات وتلزيمات ، حلتها إلى شيخنا أبو سليمان المنطقى السجستانى محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها أيامًا وتبصرها طويلاً ثم ردّها على وقال .

تعبوا وما أعنوا ، ونصبوا وما أجزروا ، وحاموا وما وردوا ، وغنووا
وما أطربوا ونسجوا فهملوا ومشطوا فففلوا ، ظنوا مالا يكون ولا يمكن
ولايستطيع ، ظنوا أنهم يمكّنهم أن يدرسوا الفلسفة التي هي علم النجوم
والأفلاك والمحسلي والقادير وأنار الطبيعة والموسيقى التي هي معرفة النعم
والأيقاعات والفقرات والأوزان والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال
بالامتدادات والكميات والكيفيات في الشريعة وأن يضموا الشريعة للفلسفة
وهذا سرّام دونه حدود ، وقد توفر على هذا — قبل هؤلاء — قوم كانوا
أحد أنبياء وأعظم أقداراً وارفع اخطاراً وأوسع قوى وأونق عرى فلم
يتم له ما أرادوه ، ولا بلغوا منه ما أملوه ، إذ حصلوا على لوثات قبيحة ولطخات
ناضجة ، وألقاب موحشة وعواقب مخزية ، وأوزار مثقلة .

ويقول أبو سليمان المتعلق بعد ذلك : وكما لم نجد في هذه الأمة من يفرغ إلى أصحاب الفلسفة في شيء من دينها فكذلك أمة عبود عليه السلام وهي النصارى وكذلك المجروس وما يزيدك وضوحاً ويريك عجباً ، أن الأمة اختلفت في آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافاً فيها ومتراً كالمرجنة والمهزلة والجوارح فاذعرت طائفه من هذه الطوائف إلى الفلسفة لا حفظت مقالتها بشواهدتهم وشهاداتهم ولا اشتغلت بطريقهم ولا وجدت عندم ما لم يكن عندها بكتاب ربها وأثر نبيها ، وهكذا الفقام الذين اختلفوا في الأحكام

من الملال والحرام . مذ أيام الصدر الأول إلى يومنا هذا لم نجد لهم ظاهروا
بالفلسفه فاستنصر لهم ولا قال لهم أعينوا بما عندكم أو اشهدوا لنا أو علينا
باقبلكم .

وهكذا نجد أن هذا العمل قد وجد من علماء المسلمين معرفة طلاقه
وكشف لزيفه بما أسلفه في نظر المثقفين ، حتى جاء دعاه التغريب بخدوه
في العصر الحديث وادعوا أنه علم وفهم وثقافة وما هو إلا سهوم عرفها أهل
الأصالة الإسلامية وضلال كشفوا عنه وأبانوا فساده وكان خليقا بأهل
عصرنا أن يعرفوا هذا فلابيتردوا في خطر النظر أو المتابعة لهذه الأعمال
الضالة المضلة .

الفصل الرابع

دعاة الباطنية

حفل دعاة الباطنية الذي حلوا سووم هذه الفحولة المضلة بتقدير كبير من رجال التغريب والغزو والهاف وكان لهم القدر المعلى لدى حركة الاستشراق والتبشير فكتبت الأبحاث الطوال حول عبد الله بن سبا وعبد الله بن المفعع وابن سينا والفارابي وابن الروذنی والرازی والمأمون ووضمروا جميعاً موضع التجديد والتقدیر ، واحتفل بهم في ميادين مختلفة منها ميادين الأدب والتاريخ والفلسفة وألف الدكتور طه حسين كتاباً بـ صحف تحت اسم الفتنة الكبرى ليعربى اليهودي ابن سبا من المؤامرة التي قام بها والطائفية التي تشكلت باسم السبيبة والتي كانت تقول بالوهية على بن أبي طالب بينما تجمع المصادر التاريخية الإسلامية كلها على أنه يهودي من اليهود يلقب بابن السوداء أظهر الإسلام ورحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ودخل دمشق في أيام عثمان فأخرج ربه أهلها فانصرف إلى مصر وهو في كل مكان يؤذب على عثمان ويذيع إلى خلمه ويؤلب عليه .

وقد كان عبد الله بن سبا هو أول من أدخل في أفق الفكر الإسلامي مفاهيم الرصبة والرجمة والتناسخ وقد قال بترجمة النبي ودعا بالوهية على ، عن ابن عساكر أنه لما بُويع على قام إليه ابن سبا فقال له :

أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق فنفاه إلى سبات المدائن حيث القرامطة وغلاة الشيعة وقبل إنه قال أن محمدآ خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء . قال ابن حجر العسقلاني أن ابن سبا من غلاة الزنادقة .

وقد بث عبد الله بن سبأ في البلاد الإسلامية دعائه وأشار عليهم أن يظروا الأمر بالمعروف والنهي عن المفسر والطعن في الأمراء فأخذوا يشرون الناس على ولائهم تنفيذاً لخطبة زعيمهم ويضعون كتاباً في حيوب الأمراء ويرسلونها إلى غير مصرهم من الأمصار وتنج عن ذلك قيام جماعات من المسلمين بتحرىض السبايين وقد وهم إلى المدينة وحصار أمير المؤمنين عثمان في داره وقتلها.

وتكشف كتب التاريخ الإسلامي عن دور عبد الله بن سبأ الواضح في إثارة الفتنة وتنظيم الاتصال بين التوار في مختلف مدن الأمصار.

وقد نقل الطبرى (٥٦-٥٧) وأكثر المصادر الإسلامية أن اليهودى ابن السوداء عبد الله بن سبأ ورد الشام فلقي أبا ذر فقال له: يا أبا ذر ألا تذهب إلى معاوية يقول المال مال الله أن كل شيء له، كأنه يريد أن يحتاجه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين فأقى أبو ذر معاوية فقال : ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين : مال الله فقال معاوية يرحمك الله يا أبا ذر ، أنسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره، وأنى ابن السوداء الصحابي الجليل نقبه أهل الشام أبا الدرداء، فقال له ما قال لأبي ذر فأجا به أبو الدرداء : من أنت أظنك والله يهودياً ، وأنى ابن سبأ الصحابي المجاهد عبادة بن الصامت فتعلق به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر .

وكان للسبئيين موقف آخر خطير ، فإنهم ماروا المسلمين قد يموّلوا علياً وخرج طلحة والزبير إلى البصرة لحرب الجمل ، ووجد السبئيون أن رؤساء الجيش أخذوا يتفاهمون ولائهم لأنتم ذلك سبأخذدون بدم عثمان فاجتمعوا البلا وقرروا أن يندسوا بين الجيشين ويشروا الحرم بكره دون علم غيرهم فاستطاعوا أن ينقذوا هذا القرار قبل أن يبدأ الجيشان المقايلان فناروش

المندسون من السبّاين في جيش على من كان ياز ائمهم من جيش البصرة ففزع
الجيشان وفزع رؤساؤهما وظن كل بخصمه شرًّا .

قال رشيد وضا : من راجع أخبار واقعة الجمل في تاريخ ابن الأثير
فلا بد برأى مبلغ تأثير إفساد السبّاين لذات البين دون ما كان يقع
من الصلح .

وقد وصف ابن سبا بأنه كان مبشرًا متجرلاً يغوى المسلمين ويورثهم
مورد الخطأ وألق عصا الترحال في مصر حيث استقر هناك يدعو الناس إلى
الاعتقاد بالرجمة .

ويشير الأستاذ محمد سعيد الأفغاني إلى أن الجماعة التي أنشأها عبد الله بن
سبا كانت تعمل لحساب دولة أجنبية هي دولة الروم التي انتزع منها المسلمون
لسنوات قريبة قطرن كبارين وأسجين غربيين : مصر والشام ، يقول : اقطع
بأنه أحد أبطال جمعية صرية مخفية غيرتها تقويض الدولة الإسلامية والقضاء
على الإسلام . وأن هذه المؤامرة كانت منظمة حكمة مهر عليها أباالسنة
خبرون وتمهدوها في جميع الأقطار حتى أنت ثمرتها وإن هذه المؤامرة لم
تلق من طامة المؤرخين ما يستحق من التوضيح والاهتمام . وعنده أن عبد الله
ابن سبا أراد نسف العقيدة الإسلامية من أساسها حين اختراق للمسلمين
عقيدين غريبيتين مما الرجعة والوصاية في قوله « العجب من يزعم أن عيسى
يرجم ويُكذب بأن محمدًا يرجم وقد قال الله تعالى (إن الذي فرض عليك
القرآن لرادك إلى مِعَاد) وَمُحَمَّدٌ أَحْقَى بِالرَّجُوعِ مِنْ عِيسَىٰ فَقَبْلَ ذَلِكَ مَنْهُو وَضَعَ
لهم الرجمة فذاعت في المجتمع . ثم قال لهم بعد ذلك : إذا كان ألف بي ولكل
نبي وصي وكان على وصي محمد ومحمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأولياء
(تاريخ الطبرى ٣٧٨) وجمع بين إنساد الميدان الدين والسياسي في إذاعة
قوله (فن أظلم من لم يجد وصبة رسول الله ونبي على وصي رسول الله)

وتناول أمر الأمة) ثم قال أن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله فأنهضوا في هذا الأمر فرركوه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر . ثم طاف الأفطار العربية فثار أقطار أو بدأ بالحجارة بانزا ضلاله ثم انعطف إلى الشام يومئذ بصير بأمره معاويه الذي فطن إلى خطره فأبده إلا أنه على ضرره أصابه رشاش من إفساد والطبرى ذمم أن ابن السوداء لم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فآخر جوهر حتى أتى مصر ، وال الصحيح أنه قدر وزرع وحرك على معاويته صحابياً جليلًا أذعن عامدة الشام لآقواله حتى اضطر معاوية الداهية الحليم أن يطلب إلى الخليفة عثمان إخراجه من الشام : ذلك هو أبوذر الغفارى وحادنه معروف .

واستقر في مصر، ببورة الناقين - إذ ذاك -، وأحكمت هذه الجماعة أمرها وأرسلت إلى الأمصار كتبها مزورة بما شاءوا من شكوى واستنجد بأهل الأمصار وتحريض لهم على الثورة والخلع وجعلوا هذه الكتب على إسان على وطلحة والزبير وعائشة . وملا ابن السوداء البلاد نقيمة وفساداً وسالت جوع النازرين على مدينة الرسول فقتل الخليفة عثمان وبعد أن سقط الخليفة عثمان وضج الناس من هول الفاجعة بدأ حلقة أخرى: وأخذ يتحفز لاحكام مؤمرة أكبر وسوق هذه الجماهير نحو فاجمة أكبر وكارثة لا تذكر إلى جانبها كارثة عثمان فقد انضم هو ومن تابعه إلى علي ابن أبي طالب حين خرجت السيدة عائشة للمطالبة بدم عثمان .

قال لهم : إذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغون للنظر فإذا من أنت معه لا يجد بدا من أن يمتنع ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيه عمما تذكر هون فلا بصروروا الرأى وتفرقوا عليه .

(الطبرى ج ٣ ص ٥٠٧ - ٥٠٨ - حديث هذه المؤامرة)

خرج مضرهم إلى مضرهم وربهم إلى ربائهم وإنهم إلى ربائهم
فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة ونار كل قوم في وجوه أصحابهم
الذين يقتلون وحيثهم الصدمة ، وخرج طلحة والزبير فسألا : ما هذا ،
فقالوا : طرقنا أهل الكوفة ليلا ، فقالا : قد علمنا أن علياً غير منه حتى
يسفك الدماء ويستحل الحرماء وأنه لن يطاوعنا واستطاع أهل البصرة أن
يصدوا أولئك المعذبين حتى ردموا إلى عسكراً وقال على قد علمت أن طلحة
والزبير غير منهين حتى يسفكوا الدماء ويستحلوا الحرماء ، والتهم الناس
بعضهم البعض وبذلت المعركة ثم انكسرت عن خمسة عشر ألف من القتلى
وما لا يحصى من الجرحى وكان من قتل ردموا من المهاجرين والأنصار وزعماء
الناس وعدد جم من القراء والعلماء والمجاهدين .

ووجهة ما قام به ابن السوداء وأخلاقه في مختلف الأعصار والأمصار :

(١) الدنس في الدين (٢) تفسير الكلمة (٣) الاستهانة بالتاريخ
(٤) الاستخفاف بالتقاليد والمقومات (٥) الوضع في شأن اللغة
(٦) إفساد الأخلاق (٧) التهول من سلامنة النظام (٨) الإشادة بكل
مذهب أجنبي .

ويملئ محمد سعيد الأفغاني على ذلك فيقول : إن هذه المؤامرة ترجع
إلى توسيع أمورنا الصغيرة والكبيرة إلى الذين كانوا مطايلاً للاستهانة
وجواسيس للأجانب وأجراء لكل دعوة هداة .

والواقع أنه يمكن الآن الرجوع في كل نظريات التغريب والهزء والنفاق
إلى أفكار عبد الله بن سبا .

ومع هذه الإدانة الشديدة لعبد الله بن سبا يتابع طه حسين رأى اليهودية
التيهودية في إنكار وجوده ، والإدعاء بأنه شخصية خالية حيث يقول إنه

ليس لهذا اليهودي (عبد الله بن سبا) يد فيها وأن ليس لليهود عمل في تأريخ نارها .

(راجع هذه القصة في كتابنا (المساجلات والمعارك الأدبية) .

يقول : هناك قصة أكثر الرواية (المتأخرة) من شأنها وأسرفوا فيها حتى جعلوها كثيرة من القدماء والمحدثين مصدرًا لما كان من الاختلاف على هنان ولما أورث هذا الاختلاف من فرقه بين المسلمين لم يبح آثارها بعد وهي قصة عبد الله بن سبا ويقول : لست أدرى أكان لإبن سبا خطر أيام هنان أم لم يكن . ولكنني أقطع بأن خطره ، إن كان له خطر ، ليس ذا شأن . وما كان المسلمون في عصر هنان ليبعث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارىء من أهل الكتاب أسلم أيام هنان .

وقد دحض دعوى الدكتور طه الاستاذ محمود شاكر حين قال :
إن قول الدكتور (الرواية المتأخرة) فيه ليهاب شديد وتعمد ، فإن الطبرى ليس من الرواية المتأخرة ، وإن سيف بن عمر الذى روى عنه الطبرى هذا الخبر هو من كبار المؤرخين القدماء . فهو شيخ الطبرى والبلاذرى وهو من مرتبة شيخوخ ابن سعد فلا يقال عنه ولا عن الطبرى أنها من الرواية المتأخرة كما أراد الدكتور طه أن يوم قارته . وأن ذكر الدكتور (المصادر المهمة) فيه ليهاب شديد وإيجاف جارف ، فإذا لم يكن كتاب الطبرى من المصادر المهمة التي بين أيدينا ، وإن كان من حجة الدكتور في نفي خبر عبد الله بن سبا اليهودي اللعين ان البلاذرى لم يذكره وهو فيما يرى ألم المصاد رهذه القصة وأكثرها تفصيلا) ، ثم عاد فتفى أيضًا خبر الكتاب الذى فيه الأمر بقتل وقد مصر ، مع أن البلاذرى ذكره وأطال ، وأنى فيه بما ميليات فى كتاب غيره ولا تدركى كيف يستقيم أن يجعل عدم ذكره خبراً ما حججه فى كفيه ثم ينفى أيضًا خبراً آخر قد ذكره وليج فيه .

ثم يشير محمد محمود شاكر إلى اعتقاده حسین في إنكار عبد الله بن سبا على الجزء الذي طبع من كتاب البلاذری (أنساب الأشراف) في إسرائيل وقام بطبعه رجل من طفاة الصهيونية ويقول : ليأذن لنا الدكتور أن نشك أكبر الشك في ذمة هذا اليهودي الصهيوني الذي طبع الكتاب في مطابع الصهيونية في أورشليم . نشك ونتوقف . هذا إلى أن طريقة التأليف القديمة وبخاصة ما كان على غرار تأليف البلاذری قد يترك المؤلف منها شيئاً في مكان ثم يذكره في مكان آخر وكان أولى أن يذكر في المكان الأول أفالاً يكون البلاذری قد ذكره مثلاً في ترجمة عمار بن ياسر أو محمد بن أبي بكر أو محمد بن حذيفة أو رجل من اشتراك في هذه الفتنة . وهو يعلم أن الذي وجد في كتاب البلاذری قسم ضئيل جداً طبع منه جزء في ألمانيا ، ١٨٨٣ ، ثم تولى اليهودي الصهيوني طبع جزء آخر هو الذي فيه ترجمة عثمان ، ١٩٣٦ ، ثم طبع جزء آخر ١٩٣٨ ، وقال الناشر في مقدمة المكتوبة بالعربية أن هذالحوادث جرت في عهد يزيد بن معاوية هي واقعة كربلاء وموت الحسين ، أفالاً يجوز إذن أن يكون البلاذری قد أدرج أمر عبد الله بن سبا في مكان آخر كافياً فيما لاحظه هذا اليهودي ، كل هذا جائز ، ولكن الدكتور حين يريد أن ينفي شيئاً لا يبالى أن يهتاز كل هذا ويفنى عنه ليقول فيه بالرأي الذي يشتهيه ويؤثره غير متراجعاً ولا متوقف . ثم كيف نهى الدكتور أن من يرو خبراً ما ليس حججاً على من روی هذا الخبر وبخاصة إذا كان الرجلان من طبقة واحدة كالبلاذری والطبری ، بل لعل الطبری أقوى الرجلين وأعلمما وأكثرهما دراية بالتاريخ وتحقيقاً له ، ان الدكتور قد اشتط وركب مركباً لا يليق به مثله حين نفى خبر عبد الله بن سبا وخبر الكتاب الذي فيه الأمر بقتل المصريين بعد الذي رأيت من تهافت أسلوبه في البحث العلمي .

لقد خالف الدكتور سنة العلم والعلماء في نفي الأطباء وتسكديهم بلا حجة

من طريق أهل التبعيض ، بل تحكم تحيك بلا دليل يسوغه عن فضيلة البلاذري وتقديمه على الطبرى وبلا مراجعة للصورة التي طبعت عليها السكتب وبلا دراسة لنفس السكتب التي ينقل عنها . كما هو القول في ابن سعد والبلاذري معاً .

إن الهدف هو أن ينفي عن اليهود الشر كفى دفع عهان والتوريض على قتل الإمام ، فركبوا وعراً خالفاً فيه أسلوب العلماء في جرح الأخبار وكذب الرواية في شيء بغير برهان وصدقهم في شيء آخر بغير برهان .

وهكذا نجد أن الدعوات الشعوبية والباطنية الحديثة قد وجدت طريقها من إحياء مادة الدعوات الباطنية القديمة لزلزلة العقائد وإفساد المفاهيم تحت اسم إحياء النزاث أو النقد الأدبي .

(٢)

ويمثل عبدالله بن المقفع الحلقة الثانية في ذلك المخاطط الذى رسه عبدالله ابن سبا ، وهو اسلم لمع فى المصر الحديث واهتم به دارسو الأدب العربى ، أعلوا من قدره وحاولوا أن يجعلوه على رأس البلاغة العربية مجاهلين الدور الحقيقى الذى قام به بلقاء الصحابة الذين سبقوه على الطريق ، وقد جرت إحاطة اسمه بهالة من التقدير والإعجاب ليس بوصفه صاحب الأسلوب البليغ بل وبأنه الرجل الذى ترجم عديداً من ثمرات الأدب الفارسى إلى الأدب العربى ، ولا ريب أن ابن المقفع كان ما كرماً شديد المكر ، فقد سار فى طريقه بخطوات دقيقة متبعاً خطوة المؤامرة الشعوبية الكبرى ، وإن كان أمره قد انفضح من بعد ونال جزاءه ، ولكن دعوة التغريب فى المصر الحديث استطاعوا عن طريق فصل قطاع الأدب عن جسم الفكر الإسلامى وقيمه ، أن يذيعوا به كثيراً من أعمال الشعوبية الخاطئة ، ولقد كشف

الباحثون عن خطره وتأمره وعرفوا موضعه في مطالع هذه المؤامرة الشعوبية الصنخمة حتى وصف بأنه أكبر أعداء الإسلام على الإطلاق ، وقد قصى أكبر شئ صيانته في عهد الدولة الأموية ، وكان زرادشتيا في قول لاشتاره بالقيام بقطعوس المجروس عامته ، وكان في قول آخر مانويأ أو مزدكياً وقد قال بترجمة كتاب مزدك المعروف باسم دبستاو إلى العربية لنشر العقائد المزدكية فمفرغ ما تكشونت في أول العصر العباسي فرق مزدكية كثيرة ، كما أنه كتب (الدرة اليقينية) في معارضة القرآن ، وترجم كتاب كليلة ودمنة ، ولمنه باب بربوبيه أخطر الأبواب يعارض فيه الأديان ويثير الشبهة بدم إمكان النوصل إلى اليقين ، ويعتبر العقل وحده أعظم وسيلة وأفضلها للمعرفة ، وما يزال كتاب كليلة ودمنة في أيدي شبابنا في مطالع دراستهم يثير هذه هذه الشبهات منذ قرره الدكتور طه حسين على طلاب المدارس الثانوية ، وهو موجود في أيدي الشباب تحت اسم البلاغة العربية مع ما فيه من سووم وكان ابن المففع يرجى إلى نشر الإلحاد والتحلل من الإسلام بالذات قاصداً تشكيك ضعيف العقائد في الدين ودعوتهم إلى مذهب المانوية ، وقد أشار العلامة البيروفى في كتابه (تحقيق ما للهند من مقوله) إلى مانوية ابن المففع وقد سجل ما قاله الخليفة المجرى عن ابن المففع حين قال : ما وجدت كتاب زندقة قط إلا وأصله ابن المففع .

(ابن خلkan : وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٨٧)

يقول البيروفى « وبودى لو كنت أتمكن من ترجمة كتاب (رينج قنتر) وهو المعروف عرفاً بكتاب كليلة ودمنة فإنه ترد بين الفارسية والهندية ، ثم بين الفارسية والعربية على السنة قوم لا يزمن تعبيتهم لياه كعبد الله ابن المففع في زيادته باب بربوبيه فيه قاصداً تشكيك ضعيف المقيدة في الدين وكسرم للدعوة إلى مذهب ماني ، وإذا كان متهمًا فيما زاد لم يدخل عنه فيما نقل .

والمعروف أن حركة الترجمة التي قامت في صدر الإسلام كانت تستهدف ترجمة الإيجابيات من العلوم اليونانية القديمة ، ولكن المجموع الذين تولوا هذا العمل وفي مقدمتهم ابن المقفع ، حولوا الاتجاه نحو الفلسفة الإلاطية التي هي علم الأصنام عند اليونان ، وبعد ابن المقفع في نظر المؤرخين هو أول من ترجم من إلهيات اليونان وفلسفاتهم ، ثم توالت الترجمة بعد ذلك النصارى من النساطرة واليعاقبة (حنين اسحق والله) ، كما ترجم ابن المقفع من الفارسية أيضاً كتب أديانها القديمة ثم لم تلبث الترجمة أن انحرفت نحو الوثنيات والإباحيات من الفلسفات القديمة ، ومن أبرز من عملوا في هذا المجال عبد الله بن المقفع ، وأل نوخنث وموسى بن خالد والحسن بن مهيل والبلاذري وزادويه بن هاشويه وكلهم من المجموع ، وقد قاموا بترجمة كتب المجموعة والأساطير .

يقول الدكتور علي سامي النشار في كتابه مقدمة مناهج البحث عند مفكري الإسلام : إن (روزبه) القديم (عبد الله بن المقفع) وكان أكبر صاغن على الإسلام في القديم قدم أول ما قدم للقضاء على نظام الإسلام الاجتماعي كتاب (مزدك) ثم كتاب (برزديه) ليثبت تناقض الأديان وبخاصة الإسلام ، ونعد يقينيتها وما يظهر له فيها من تناقض بينما يؤكده يقينية الفلسفة ووصولها إلى الحق المطلق ، ثم قدم أو دفع ابنه محمد بن عبد الله المقفع ليقدم أول ترجمة لعلم ظان أنه الصورة السكرى للبيتين قانون زيدىمى فى نظره فى فوق الخطأ فإذا أعلن المسلمين إن كتابهم المقدس لا يائيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأشار طبعه إلى (باب برزديه) الذى يقرر خطأ الكتاب وتناقضه وإن طريق الفلسفة هو طريق اليقين ثم يدعم كل هذا بصورة المنطق الأرسططاليسي المتماكمليقينى فى نظره . لقد غرس روزبه بمحوسية الفرس وأقى ثمرة منشآت عباجمع الفتوحية الخطيرة

على أثر روزبه كأتناول المفهوم متفاصلسة ظهرت في الإسلام ومجده ورثمه
فوق كل يقين ، وحاولوا مزجه بكل علم إسلامي ولم تتمكن الجماعة الإسلامية
خالفة عن كل هذا فسرعان ما تناولت المفهوم الأرسطي بالدراسة والتبرير
فرقة إيمان كل عرق وأنساق من مجدها ، بل كان النتائج قد يكون منذ البدء
مستندًا على القرآن والسنة والعودة إلى قانونهما .

ويقول الدكتور هل سامي الاشار : إن خلفاء زور به كثيرون في عمرنا وقد تعددت أشكالهم وتنوعت صورهم ولكنهم هم جميعاً نسخ مشوهة متنعة لابن المفعع الكريه ، لقد فشل ابن المفعع من قبل وله أيضاً فاشلون .

وقد تصدى كثيرون لابن المقفع وكشفوا زيفه وفضحوا سوءه
بالإضافة إلى ما أورده البيهقي وابن خلkan فقد قام القاسم بن إبراهيم الزيدي
المتوفى عام ٢٤٦ بوضع كتاب (الرد على الزنديق اللهم ابن المقفع) وقد
أشار القاسم إلى ما نور به ابن المقفع .

وقد وصف دعوة التغريب ابن المقفع بأنه علم من أعلام الفكر الحر ،
 وأنه مصلح اجتماعي ، وهذا كله من الزييف الذي يراد به إضفاء صورة
البطولة على هذا الشعوبى الحطر ، الذى نوى كداراج كاها على أنه بقى أميناً
لعقيدته المهووسية إلى زمن الدولة العباسية حيث أسلم على يد عيسى بن علي
عم المنصور ، قال عيسى بن علي : قد دخل الإسلام في قلبي وأريد أن أسلم
على يديك قال له عيسى : ليكن ذلك بمصر من القواد ووجوه الناس فإذا
كان الغد فاحضر ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجاء يأكل ويزمزم
على حادة المحسوس فقال له عيسى : أزمزم وأنت على عزم الإسلام : قال
أكره أن أبكيت على غير دين وبروى البعض أنه من بيت النار بعد لسلامه
فتشمل بقول الأحوص :

يَا دَارِ هَاتِكَ الَّتِي أَنْفَلَ
جَنَّرَ الْمَدَا وَبِكَ الْفَوَادِ مُوْكَلٌ
إِنِّي لَا مُنْهَكَ الصَّدُودُ وَلَنِي
قَسَّمَ إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمِيلٍ

وهكذا نجد أنه كان مخادعاً في إسلامه ، ويقول المباحث إنَّه كان يجتمع على الشراب مع مطیع بن لياس ووالبه بن الحباب وبشارد بن برد وأبان اللاتي فيهم بعضهم بعضاً وكل منهم متهم في دينه وقيل إنه عارض القرآن .

وقد اتهم بالزندقة في آخر أيامه فقتله سفيان بن معاوية والبصرة ، وقد كشف الأستاذ جويد الإيطالي في كتاب إبراهيم أبو القاسم الذي نشره وهو كتاب الرد على اللعين عبد الله بن المقفع ، في هذا الكتاب عن فقرات من كتاب معارضة ابن المقفع للقرآن وقد كان يكتب باسم النور الرحمن الرحيم ، يمدح النور ويقول إنه منبع الخير من حيث إنه منزل على محمد وأشار إلى ما نقله ابن المقفع من الفارسية من كتب عائني وابن لايسان ومرفيون .

ولقد حاول الدفاع عن ابن المقفع في مصر الحديث كثيرون من دعاة التغريب من أمثال حله حسين وأحمد أمين وبطرس البستاني ورأيهم مردود لزاء هذه الونائق التي لا شبهة فيها .

ولاريب أن مؤلفاته التي ترجمها تكشف وجوبه: ترجم خدائي نامة أو سير ملوك الفرس، وآسین نامه أو كتاب المراسيم والتقاليد وكتاب (النتائج) في سيرة أبو شروان ، كما ترجم كتاب مزدك في الأدب والمثل الأخلاقية الم gioسية ما لا يألف والمفاهيم الإسلامية وكتاب كليلة ودمنة الذي أضاف إليه باب (برزویه) فاصداً تشكيلاً ضعفاء العقائد في الدين فضلاً عما يقال من أنه

ترجم كتب أرسطو المنطقية الثلاثة وكتاب إيساغوجي لفروبر ورسائله من الصورى وكلها كتب تشكيك في العقيدة الإسلامية .

وقد أشار هلال إلى ناجي أن عبد الله بن المتفع الذي سبق أن ترجم كلية ودمته هو الذي نقل هزار أنسانه (ألف خرافة) إلى العربية والتي كانت فواز كتاب ألف ليلة ولا ريب أن ما قدمه عبد الله ابن المتفع في كتاب ألف ليلة ما زال قائماً حتى اليوم يشير الشبهات في النقوس حول ونفيات المحوسيّة وفساد الصور التي قدمها والقصص المليئة بالسموم والإباحيات .

وقد حاول البعض أن يصفه بالبطولة في نقد نظام الحكم والملك وإنه كتب نص الأمان الذي سيمنه الخليفة لعمه الثائر عبد الله بن علي فوضع ابن المتفع في الأمان الشرط الشديد التالي (فإن لم يف أمير المؤمنين عاجل له فهو بريء من الله ورسوله والأمة في حل وسعة من خلمه) .

والباحث في كتاباته عن نظام الحكم والملك في الدرة البوهية والأدب الكبير والصغير يجد المدح الواضح من الناصر على نظام الحكم الإسلامي بغية هدمة وإضعافه لحساب المؤامرة الباطنية والقرطية التي كانت ترسم وتدير .

قال المقربى إنه كتب أمازاً تعدد فيه ما يكتبه الخلفاء من الأمانات وقد جمعت هذه الواقع كله لتكون في صفحة اتهامه :

١ - ما قاله الخليفة المهدى فيما روى ابن خلkan أن كل كتاب زندقة يعود في أصله إلى ابن المتفع .

٢ - باب بروزيه التي أضافه إلى كتاب كلية ودمته فاصداً به تشكيك ضعفاء العقيدة في الدين .

٣ - ما قاله حين مر بعد إسلامه بيته من بيوت النار مبدياً حنينه إلى ديانة القديمة .

٤ - ما أورده القاسم بن ابراهيم في كتابه المرسوم (الرد على الزنديق الذهبيين) عن معارضته للقرآن وقلة احترامه له .

٥ - ما أورده المسعودي في مروج الذهب من أن ابن المقفع وآخرين من الملاحدة ترجوا مؤلفات مانى وابن ديسان ومرفيون كما أن ابن المقفع ترجم كتاب مزدك ويعلق الصفدي بأن كتب الزندقة الممنوعة تحوى أكيرا من آراء ابن المقفع

٦ - ما أشارت إليه روايات عديدة وأكيدة عن اتصال ابن المقفع بخلافاء الشعوبيين والمجان المتهمين بالزندة من إقبال البقل (الذى أنكر البعث والقيمة) وعمار بن حزة وإبان اللاحق وسهل بن هارون وحاد عجرد .

٧ - ارتبط امام ابن المقفع بتهمة الزندقة عند المسعودي وابن خلkan والبيروني والصفدي ، وقول جويدى إنه كان قليل الاحترام للقرآن الذى حاول أن يعارضه .

وفي كتاب ابن المقفع للمستشرق جبريللى هذه العبارة التي تدين ابن المقفع حتى في نظر المستشرقين زعماً عنهم فقد أشار جبريللى إلى أن الفرقات التي تنتقد الدين في باب برزويه هي من وضع ابن المقفع التي حشرها دون أن يسفر بوضوح عن عقيدة الإلحادية وقال : إن القطة كما بما فيها من جرأة في التفكير ومزى تهكمي لاذع لا يمكن أن تكون قد كتبت وانتشرت باسم مؤلفها في دور بلاد فارس الساسانية ودينها الرسمى هو المذكورة أو في المجتمع الإسلامي في القرن الثامن الميلادى . ولكن من

المحتمل جداً أن عقلاً يسوده الشك كما كان عقل ابن المفعع قد أظهر في هذه القطعة أراءه ناسياً إياها إلى شخص أجنبي . إن علينا أن نزدّن أن يكون ابن المفعع وهو في سن الرجولة والنجس قد تعلق بالمجوسيّة وآمن بها ميّاناً عقلياً ، ولو لم أنه من الممكن أن يكون ابن المفعع مع ذلك يميل إلى دين الفرس القديم من ناحية الماطفة والمحضـارة ، ويؤكـد جبريلـي عقيدة ابن المفعع المانوية وصحـة نسبـه (باب بـرزوـيـه) في كـليلـة وـدـمـتـة إـلـيـه وكـذـلـكـ السـكـنـابـ الذـى رـدـ عـلـيـه القـاسـمـ بنـ اـبـراهـيمـ ويـقـولـ : بـأـنـ اـبـنـ المـفـعـعـ رـدـ عـلـيـ مـادـةـ الـقـرـآنـ بـطـرـيقـةـ فـلـسـفـيـةـ جـدـلـيـةـ وـبـعـاهـنـ عـقـلـيـةـ أـنـارـتـ الـإـمـامـ الـفـاسـيـ أـمـاـ إـنـاثـرـةـ خـمـلـتـهـ عـلـىـ الرـدـ بـنـفـسـ الـأـسـلـحـةـ الـتـيـ صـنـعـتـهـ الـمعـزـلـةـ فـتـلـكـ الـفـتـرـةـ وـتـعـنىـ مـقـاـلـةـ اـبـنـ المـفـعـعـ : خـلـوـ الـمـعـارـفـ الـدـيـنـيـةـ مـنـ الـيـقـيـنـ وـتـنـاـضـلـ الـأـدـيـانـ فـيـماـ بـيـنـ بـعـضـهـاـ الـبعـضـ .

ويقول المستشرق كرووس : إن النسخة الأصلية الفولوية لنفس النص تتضمن أقوالاً شكوكية عن الأديان جعلها ابن المفعع أساساً لما دونه من إضافات بالإضافة إلى هذا كله فإننا نجد الإجماع على اتصال ابن المفعع بالمانوية ودفاعه عن أعداء الدولة وانتقاده سياسة الخلافة في رسالة الصحابة ودعوته لتعليق واقتباس الخط الفارسي للحضارة .

(٣)

ولا ريب أن ابن سينا من ألمع الأسماء التي حاولت حركة التغريب والشعوبية في العصر الحديث دفعها إلى أفق الشهوة والتعريز في حماولة إحياء الفلسفة القديمة وتحديثها ، ونحن نشهد بأن ابن سينا الطبيب لا غبار عليه وإنه واند في مجاله وأن الأمر لو اقتصر على هذا الجانب العلمي في حياته لما وجد عليه من ملام ولكن المستشرقين والمبشرين ينفحون في آراء ابن سينا

الفلسفية ويملون من شأنها ويضمنون شخصيتها فوق كل الشخصيات ويعجبون به الأعلام ذوى الأصالة من أمثال البيروفى وغيره .

يبلينا ثبات الوثائق أن ابن سينا كان على طريق إخوان الصفا والباطنية وأنه قد أودع كتاباته تلك الأسرار والرموز التي يعرفها أصحاب الخطط السرية لقلب الإسلام ، وقد أعلى ابن سينا من شأن العقل علواً شابه به المعتزلة وزاد عليهم فقد دعا إلى ما أسماه سلطان العقل وتقديس العقل مما هو باطنى في النظرية الإسلامية الصحيحة، وليس هذا الذي يقوله ابن سينا إلا متابعة لمناهج الھلينية اليونانية وليس له أساساً إسلاميًّا ، وهذا هو موضع اتهام ابن سينا وهو في نفس الوقت موضع تقدير الاستشراق والشوعية له . ولم يكن ابن سينا متورطاً في اتجاهه هذا وإنما كان فاصله إليه قصدآ يقيناً لأنَّه كان من دعاة الباطنية وزعمائهم المستورين .

ولقد كانت حاوله ابن سينا في التوفيق بين الفلسفة اليونانية وبين الإسلام - من الأعمال التلبيسية المفرضة التي لا تصدر عن مؤمن بالإسلام - إذ كانت تستهدف إخضاع العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد للفلسفة اليونانية الونمية الإباحية ولقد كانت ذلك كبرى مقاولاته ، لأنَّ هذا الاتجاه الذي سار فيه هو والفارابي إنما كان الطريق الذي رسّمه الباطنية ودعت إليه وأشار إليه إخوان الصفا . وقد اعتبره الإمام الفرزالي في كتابه (تمام الفلسفه) كافراً خارجاً عن الإسلام بسبب قوله بقدم العالم وعلم الله بالكلبات دون الجزئيات ونفي البعث والماد .

و بالرغم من أن ابن سينا حاول الدفاع عن نفسه ونفي تهمة اتصاله بالمؤامرة الباطنية فإن وقائع حياته تكشف هذا الاتهام كما تؤكد المصادر الإسماعيلية على بساطتها . فقد تأثر بفلسفة المعتزلة التي انكمشت على نفسها شرق فارس بصورة خاصة أثر الضربة التي تلقنها على يد المتوكل .

ويتحدث الأستاذ إبراهيم الحال عن باطنية ابن سينا (مجلة الرسالة العرقية : أيلول ١٩٧٢) فيشير إلى أنه أضاف إلى الفلسفة نظرية الفيض الأفلوطنية التي ورثها من الفارابي وإخوان الصفا ويقول : إن فلسفة ابن سينا كانت ثمرة شجرة غرمهما مؤسسوا الدعوة الإسماعيلية في أرض يوانية .

ويفصل القول في هذا الصدد فيقول : إن الذي يظهر من سيرة ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨) أنه رجل دنيا وسياسة كما كان فيلسوف في حصر كانت فيه السياسة والدين وجهاًين متلازمين للدولة والحكم تولى منصب الوزارة لبعض الأمراء البوهيميين .

وكان هؤلاء زيدية و تعرض للسجن والقتل غير مرة لأسباب سياسية وأصبح طيباً ونديماً لملأ الدولة الذي انهم بالزندقة ملائمة للياه .

وكان ولاء ابن سينا للفاطميين الاسماعيليين مرسراً وكان ابن سينا قد وجه مثل مطالع صباحه إسماعيلية باطنية صرفة عند ما دفعه أبوه إلى دراسة الرياضيات والفلسفة وكان ذلك هداف عقائدي من أبيه وهي القاعدة الأساسية للعقيدة الاسماعيلية وهي الوجه الثاني الذي يقابل الوجه الروحاني لها.

فالباطنيون يعتقدون عن إيمان بأن تراث الفكر اليوناني إنما هو تراثهم الخاص ، وإن الفلسفه (سocrates - أفلاطون - فيثاغورث - أرسطو - أفلوطين) هم فلاسفة إسماعيليون فهم لا فالباطنية من إحدى نواحيها فعتقداتهم فلسفية ومدرسة فلسفية إنما فيها وازدهر الفكر اليوناني (عارف نامر = أربع رسائل إسماعيلية - دار الكشاف) إنهم يفسرون الطبيعة وما يتعلق بها من حرارة ورطوبة وبرودة ومن جهات أربع وفصول السنة ومكونات جسم الإنسان ثم ما فيها من كواكب وبحار ومعادن على أساس من خواص الأعداد كالعدد ٤/٧/١٢ طبقاً لما جاء في نظريات إخوان الصفا المستوحاة في الفلسفة لفيثاغورثية في الرياضة والحساب (مصطفى غالب = تاريخ الدعوة الإسلامية) .

وتفوكد هذه المراجعة الباطنية أن رسائل إخوان الصفا قد وضعها من قبل علماء إسماعيليين بأمر من الإمام الاسماعيلي (أحد الوف) الذي كان مستتراً أيام المأمون وإنهم لا يذكرون أسماء مؤلفيها .

أما بخصوص ما وراء الطبيعة (الألهيات) فإنهم يعتمدون نظرية الفيوض التي وردتها ابن سينا عن المفاربي وعن إخوان الصفا ونظرية الفيوض تعود بالأصل إلى أفلوطين ومدرسة الإسكندرية وخلاصةً عن ابن سينا أن الله عقل مخصوص وإن يعقل ذاته و دائم التأمل فيها وحيث أن التعقل هو علة الوجود فقد فاض عن الله بالضرورة موجود واحد هو المقل الأول وعنه فاض

لأن له خواص خاصة حتى العقل العاشر وهو العقل الفعال الذي فاض عنده
عالمنا الأرضي الذي نعيش فيه .

و هذه العقول المفارقة للمادة كانت عند الفلسفة اليونانية أكثر من خمسين
عقلًا ولكن الفارابي ثُمَّ ابن سينا أوقف الفيصل عن العقل العاشر ليتفق ذلك
مع مراتب الدعوة والدين لدى الفاطميين .

وهم يرون أن العقل الأول هو رتبة التأويل (النهاق) .

والثاني : رتبة التأويل (الأسمى) .

والثالث : رتبة الأمر (الامام) .

والرابع : رتبة فضل المطاب (الباب) .

والخامس : رتبة الحكمة (الحججة) .

(راجع مؤلف تاريخ الدعوة الإسلامية) فقد ذكر المؤلف أسماء الدعاء :
ابن حوشب ، الكرماني ، ناصر خسرو ، ابن سينا ، الفارابي ، إخوان الصفا ،
الرازي ، السجستاني ، والذي يظهر من ذلك أن ابن سينا لم يكن باطنياً عادياً
وحسب وإنما كان داعياً من أنطاب دعوة الباطنية .

فابن سينا عندما تفلسف إذن كان يخضع الفلسفة لما هي عليه العقيدة الباطنية
الاسماعيلية حيث أنه كان يقابل تتابع بحوثه الفلسفية مع مراتب الدعوة التي
كانت موجودة ومقررة قبل الفارابي ومنذ أيام إخوان الصفا في مصر
المؤمن على أقل تقدير .

ونظرية الفيصل الأفلاطينية هذه هي أخطر النظريات الميتافيزيقية التي
تحتويها العقيدة الباطنية لكونها تعمق بالأمام الباطني المدحوم الذي كان
يصل به منزلته لدى القائمين على العقيدة أحياناً إلى درجه بنوع المبدعات
أو مبدع الذات أي العقل المحسن ودرجة الربوبية .

وفي كتاب إسماعيل خطاط بعنوان كتاب المحسوب : إن الامام الـهـىـ ذات ، صـرمـدـىـ الحـيـاـةـ ، غـاـيـةـ الـغاـيـاـتـ ، وـمـبـدـعـ الـذـاتـ وـمـخـتـرـعـ الصـفـاتـ وـهـوـ مـبـدـعـ الـابـدـاعـ .

وقولهم : إذا ظهر الامام بصورة الجسم مكان امم من أسماء الله وصفة من صفاتـهـ .

وإذا تحدث العلـمـياـ كانـ هوـ اللهـ فيـ الحـقـيقـةـ :

أـمـاـ (ـنـظـرـيـةـ الـفـيـضـ)ـ فـهـىـ عـمـادـ نـظـرـيـةـ الـعـقـيـدـةـ الـبـاطـنـيـةـ .

وـمـنـ هـنـاـ كـانـ اـبـنـ سـيـنـاـ بـاـطـنـيـاـ بـلـ دـاعـيـةـ بـاـطـنـيـاـ كـبـيرـاـ عـلـىـ وـجـهـ النـاـكـيدـ .

ويـرىـ اـبـنـ سـيـنـاـ أـنـ اللهـ يـعـلـمـ الـسـكـلـيـاتـ دـوـنـ الـجـزـئـيـاتـ إـنـاـ لـمـ عـلـمـ الـجـزـئـيـاتـ فـاـنـهـ يـعـلـمـ بـعـاـنـيـاهـ وـلـيـسـ بـأـعـيـانـهـ وـشـخـصـهـ وـهـذـاـ يـعـنـاـلـفـ مـفـهـومـ السـنـةـ وـيـمـارـضـهـ نـمـاماـ .

وـالـرـجـلـ بـاـطـنـيـ النـشـآـةـ وـالـتـرـبـيـةـ تـوـجـهـ فـيـ درـاسـتـهـ الـأـوـلـىـ وـجـهـ بـاـطـنـيـةـ وـلـمـ يـكـنـ مـخـلـصـاـ لـلـبـوـهـيـينـ وـمـنـ أـعـدـاءـ الغـزـنـيـيـنـ وـالـدـوـلـةـ الـعـبـاسـيـةـ الـتـىـ نـاصـبـهـ الـفـاطـمـيـوـنـ الـبـاطـنـيـوـنـ الـعـدـاءـ .ـ إـنـهـ يـتـفـقـ فـيـ فـلـسـفـةـ كـلـ الـاـتـفـاقـ مـعـ الـعـقـيـدـةـ الـبـاطـنـيـةـ فـيـ وـجـهـيـهاـ الـمـيـاـنـيـقـ وـالـرـوحـانـيـ ،ـ وـهـوـ إـنـصـافـةـ إـلـىـ الـمـصـادـرـ الـبـاطـنـيـةـ .ـ الـمـوـنـوـفـةـ الـتـىـ تـوـكـدـ كـوـنـهـ مـنـ كـبـارـ دـعـاـتـ الـبـاطـنـيـةـ .

وـلـاـ رـيـبـ أـنـ هـذـهـ الـمـادـةـ الـتـىـ اـسـتـخـلـصـهـ اـلـسـتـاذـ إـبرـاهـيمـ الـخـالـلـ مـنـ كـتـبـ الـبـاطـنـيـةـ وـلـتـىـ اـعـتـمـدـ فـيـهـ عـلـىـ كـتـابـ قـارـيـخـ الـدـعـوـةـ الـإـسـمـاعـيـلـيـةـ لـدـكـنـتـورـ مـحـمـدـ كـاملـ حـسـينـ ،ـ هـذـهـ الـمـادـةـ كـافـيـةـ لـتـوـضـيـحـ مـوـقـعـ اـبـنـ سـيـنـاـ وـعـدـاـهـ لـلـفـكـرـ الـإـسـلـامـيـ الـقـرـآنـيـ وـلـيـعـانـهـ بـغـيـرـ مـاـ يـؤـمـنـ بـهـ الـمـسـلـمـونـ ،ـ وـلـاـ رـيـبـ أـنـ هـذـهـ الـفـلـسـفـاتـ الـتـىـ تـعـلـقـ بـالـعـقـولـ الـعـشـرـةـ وـهـيـ مـنـ الـفـكـرـ الـأـفـلـوـ طـبـنـيـ الـفـاسـدـ مـاـ تـرـازـ الـتـدـرـسـ فـيـ

جامعاً فناً ومدارسنا على أنها نظريات فلسفية بينما هي سوم دارضة لذوق التوحيد ومنافضة للإسلام الصحيح .

ويجب أن تهاط في دراستها بالخلفية التي تكشف تطورها التاريخي
ومحاولة مؤامرة الباطنية الكبرى لوضعها واستغلالها لآفاساد الدقائق لا إسلامية
والتأثير عليها وقد تحدد هذا الفكر الوفني المضل في العصر الحديث بواسطة
الاستشراق والتبيشير وعادة التغريب دون أن يتتبّع أحد إلى أخطئاته
ومحاذيره .

* * *

تراث فلسفة ابن سينا الخاصة حول مسائل ثلاث :

مسألة الفيض ، والنفس الإنسانية ، ونظرية المعرفة الاشتراطية وما تضمنه
من نظريات خاصة إلى الشبهة والمعجزات والتصوف .

أولاً : نظرية الفيض . لم يكن هو الذي ابتكرها وإنما سبّقه إليها
أبو نصر الفارابي ولتكن ابن سينا وضحاها ودعها ب بحيث ينظر إليه أحباً ناعلي
أنه هو الذي ابتدعها وهي محاولة لتفسير صدور العالم وتعتمد على أساس من
التفريق من عناصر أفلاطونية وإرسطوطالية وإسلامية وبها مسحة من
التصوف فمن أرسطو أخذ كل من الفارابي وابن سينا أن الله (جل وعلا
عما يقولون علواً كبيراً) عقل محض يدرك نفسه وعن أفلوطين فكرة
مرانب الوجود وعن المتكلمين التفرقة بين الواجب والممكن وعن الصوفية
فكرة الإتصال بالعقل الدائم وبالذات الإلهية ويرى الفرز إلى أن ابن سينا
استخدم نظرية الفيض لتقرير قدم العالم ويرى ابن رشد أن نظرية الفيض
عند الفارابي ثم عند ابن سينا دخيلة على الفلسفة الحقة وينهم كلامها بالكذب
ويصف الفارابي وابن سينا بأنهما أول من قال هذه الخرافات فقلدهما الناصف
وهذه كلها خرافات وأقاويل أضعف من أقاويل المتكلمين .

ثانياً : في موضوع النفس الإنسانية استرشد ابن سينا بآراء الفارابي في النفس مع إدخال كثير من التمديل والتفصيل عليها وتنكشيف نصيحة النفس لابن سينا عن تأثره الكبير بآراء أفلاطون .

ثالثاً : أما في الفلسفة الإلحادية الخاصة بآراءه في النبوة والوحى والمعجزات والنصول فما ذكره يربط نظرية الفيض بنظرية مادية هي وحدة الوجود التي تقول بأن الله يتجلى وأنه يتعدد بكل مخلوق من مخلوقاته (تعالى الله عن ذلك علوأ كبيراً) ويرى أن كرامات العارفين كمعجزات الرسل . وأن العارف متى وصل ذهلاً ، ومن هنا لا يكلف والتوكيل لمن يعقل التكليف .

وهذا القول باطل ومحارض لمفهوم الإسلام الأصيل الذي لا يقر سقوط التكليف عن أى واحد من المسلمين ولا عن النبي .

ويقترب ابن سينا في هذا من أسلوب الباطنية وإن ألبسه ثوباً صوفياً برأساً ومن أخطر آرائه الفسوسيّة بين المعجزات والكرامات والسحر التي يستشهد إليها بتجارب السكان من الوثنين وهو مادى في نظرته حيث يرجع المعجزات والسحر والكرامات إلى تأثير القوى النفسية للأجزاء المساوية .

ويكشف ابن سينا في ختام كتابه (الإشارات والتنبيهات) عن هويته التي أخفاها كثيراً عن الناس في أبحاثه وبدا وكأنه العالم متخصص ، فهو يسجل في الوسية التي يوصي بها أتباعه روحًا باطنية واضحة ، ويقدم منهاجاً باطنياً صريحاً شبيهاً بمنهج أخوان الصفا والفلسفة الاسماعيلية ، ويوصي أتباعه بأن لا يذيعوا أمراء الحكمة الشرقية إلا من يثقون بهم مقام سريرتهم واستقامة سيرتهم وطلب من خلصانه أن يقرأوا في حلقة مختلفة ، وأن يدرسوا الحالة النفسية لمن يريدون منهم إلى مذهبهم معأخذ العهد على

المربيدين أن يسلكوا مسلكهم مع الدين سبوكاً إليهم فيما بعد مممة جذبهم إلى هذا المذهب السرى الباطن وهذه الوصايا تشبه وصايايا الباطنية .

* * *

وقد تحدث الدكتور محمود قاسم عن ابن سينا و كشف النقاب عن حقيقته فقال أنه حرص على تأويل النصوص الدينية تأويلاً باطناً حتى يجعلها على وفاق مع فلسفته الخاصة وهي فلسفة إشرافية في المقام الأول وهي تلك الفلسفة التي انتقلت إلى أوروبا وأشار إلى حياته الخاصة فقال أنه خصص أمسياته للسرير والشراب والسماع وطالب المتعة ، وكان مسرفاً على نفسه فلم يعن بعلاج المرض الذي أصابه ولم يتحفظ في شرابه وطعامه ولم يقتصر في متعته فأشتغل عليه المرض ومات في السابعة والخمسين ، وقال إن نظريته في الفيصل مأخوذة مما أورده بطليموس عن العقول العشرة كما تأثر في قضية النفس آراء أفلاطون .

(٤)

ولايخلو الأمر من توجيه نفس الاتهام إلى الفارابي فقد كان يأخذنا عميقاً بالباطنية وآية ذلك أنه فسر النبوة على أساس تعاليم الشيعة الإمامية ، وبعد الفارابي أول من أقام نظرية صوفية فلسفية في الفكر الإسلامي ، وصوفية الفارابي لا تقوم على مجاهدة النفس أو البعد عن اللذان لترفيه النفس بل هو تصور نظري يعتمد على الدراسة والتأمل ، وطهارة النفس في رأيه لا تصدر عن طريق الجسم والأعمال البدنية بل عن طريق العقل والسعادة عنده أن تسير نفس الإنسان من الكمال في الوجود بحيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة وهذه المفاهيم جديداً من مفاهيم الفلسفة الهمبانية وليس من مفاهيم الإسلام .

(٥)

وأقد ألمّرت دعوة الباطنية نماذج خطيرة من الدعاة، من أمثال ابن الروانى الذى هو ثمرة أكيدة للفاسقة اليونانية وقد أدهى ابن الروانى انه لا يقبل من الأفكار إلا ما يخضع لمنطق العقل البشري ، وعنده ان رسائل الأنبياء لا تحتاج إلى وحي من السماء لأن كل ما قال به الأنبياء لا يشق على العقل ويسكن أن تستغنى البشرية عن دعوتهم لأن ما يطالبون به الناس من عبادات وشعائر لا يستسيغها العقل ولا يوجد ميرر منطق يلزم بادانها وأن معجزات الرسل لا يصدقها العقل ويحتمل أن روواها قو اطنوا على السكبة وأن آيات القرآن ليست خارقة للعادة وبصع أن يتغوف فرد بمهارة أدبية على ناطق اللغة العربية .

هذه السموم والأضليل التي أوردها ابن الروانى هي التي حفزت دعاة التفريب على بعثته في هذا المصر الحديث وتحديثه وإعادة الحديث عنه حتى توضّع هذه الشبهات تحت أنظار الشباب المسلم فتجرى على ألسنتهم وتسكون موضع حديثهم ظالنين أنهم بذلك سيفسدو احر كة البقظة التي يمر بها الإسلام اليوم ومن هنا عنى بابن الروانى كثير من الباحثين وفي مقدمتهم عبد الرحمن بدوى الذي أذاع هذه الآراء، وحسنتها الواقع أن هذه الآراء في جملتها ليست إلا شبهات باطلة يستطيع كل مفترض أن يجهّزها وأن يذيبها ولكنها لا تخدع أحداً وخاصة من يدرس حياة ابن الروانى ويعرف أنه وجّل فارسي الأصل من أصل يهودي. كان آباء يهودياً ثمّ أسلم وما زال هو متصلاً بالجموسيّة الفارسية ، وله إرتباط بالمؤامرة الباطنية وقد عُرف بالتفاق وباع قلبه لكل الفرق والمذاهب والأديان فقد ألف لليهود وللرافضة وأجرأ كتابه (الزمرة) الذي يحاول به أن يقول ببطلان رسالة الأنبياء ، وقد وضع أبو الحسن المخاطط كتاباً في الرد عليه وكشف زيفه وانتَت إلحاده ولقيه

اتصل ابن الروانى ثمة بالمعزلة وتعلم منهم الجدل المنطقي المضلل وعرف
كيف يستغل فى اثارة الشكوك حول الإسلام .

قال الحافظ بن الجوزى : زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الروانى
وأبو حيان وأبو العلاء ، روى أن بعض اليهود كان يقول لبعض المسلمين
بيان ابن الروانى ، ليسون عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة
 علينا ، فقد انفق أبوه لأمر ما عن أهل طائفته فأخذ يثير عليهم مجاج
 الجدل والشاغبة ، كما كان ابنه يفعل فيما بعد فإذا لم يتم له مآربه انقلب مسيحيًا
 نكابيًّا في دينه اليهود ،

قال البلغى أنه كان في أول أمره حسن السيرة حيد المذهب ، ثم انسلاخ
 عن الدين وأظهر الاحاد والزندقة وطرده المعتزلة لوضع الكتب الكثيرة
 في خالفة الإسلام .

وكان ابن الروانى ملحدًا في شبابه ولكنه كان أعرف بياحاز القرآن
 وسحره من أكثر المؤمنين ، وقد وضع كتاباً لليهود يرد فيه على المسلمين ثم
 رام نفسه بنفسه فنقضه ووضع كتاب (الإمامية) للرافضة لقاء ثلاثة ديناراً
 ووضع كتاباً غيره في التوحيد وأصله . عارض نظم القرآن بنظم من وضمه ،
 وضع للرافضة ضد السنة وللسنة ضد الآخرين قال عنه أبو العباس : أن
 ابن الروانى كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال حتى أنه صنف
 لليهود كتاب (البصيرة) لأربعين درهم أخذها فيما بلغى من يهود سامر آ
 فلما قبض المال رام نفسه حتى أعطوه مائة درهم أخرى فأمسك عن النهوض .

وقيل كانت طريقة ابن الروانى في حياته المذهبية اللاعب بالفرق
 والملل وبأهل كل منها بمدح اليوم مذهبها ويحقر آخر وما ألف كتاب يطعن
 فيه في نظم القرآن نفسه عليه الحباط وأبو حل الجبان وسيول بن نوحيت

ونقضه على نفسه وكان صديقاً لإبن عيسى الوراق وأبي حفص الحداد وغيرهما من مشهورى ملحدة ذلك الزمن الذين تستروا بالرفض ومن كتبه : كتاب (النار) يحتج فيه على قدم العالم وكتاب (الزمردة) يحتج فيه على الرسل ويعبر عن على بطل الرسالة وكتاب (الفرند) في الطعن على النبي وكتاب (اللزلقة) في تناهى الحركات وقد أعيد منه قريب طبع كتاب (الانتصار والرد على ابن الروانى الملحد ماقصد به السذب على المسلمين والطعن عليهم) بقلم الحسين بن الحياط بتعليق الدكتور ينبرج بجامعة ابساله بالسويد صدر عام ١٩٢٥

ويمثل ابن الروندى قمة موجة الإلحاد التى أنارتها الدعوة الباطنية فى
محاولة إنكار الأديان كلها ويفصل بها الإسلام .

وقد كتب عنه كثيرون منهم سليم خياطة (المقتطف ١٩٣١) وعنده
نقلناها بعض هذه النصوص وقد أشار هذا الكاتب المسيحي إلى تلك الظاهرة
التي عرفها الإسلام ولم تعرفها الأديان ولا الأمم : تلك هي حرية الرأي
والسباح لكل صاحب نحلة بأن يتكلم بها دون مصادر ، في اعتقاد بأن
الفكرة الفاسدة لابد أن تسقط مما حشدت لها الجهود، يقول وأن ما تخشده
حركات التغريب من تجديد هذه الآراء سوف يلتقي نفس المصير : (ينتفعون
أموالهم ليصدروها عن سبيل الله فسينتفونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يطلبون)
ويقول سليم : لأنوود أن فتحت هذه النظرة العاجل من غير أن تبدى إعجابنا بهذه
المدنية الإسلامية السمححة التي كانت تاذن لأمثال صاحبنا ابن الروندى
بهذا الإجراء على عقائدها وبهذا التهجم والتنتقص من تفكيرها ودينها وهي
ساكنة هادئة توافد الكتب ردًا عليه ودحضا لما اتهما به عليها من جامى
اللطمات وإن تاريخ المدنيات القديمة لا يروى لنا سيرة أي جرى . متور
بلغ تهوره إلى الحد الذي بلغ بصاحبنا .

(٦)

ويأتي محمد بن ذكرييا الرازى : كواحد من أتباع هذا التيار فقد انحرف هذا الكيمياني الطبيب وراء ابن الروانى ووجه نفس انتقاداته إلى الأديان فقط دون العلوم ، وأنكر النبوة وقال إن الناس يتساولون في المواهب والاستعدادات وأنه لا حق لآحد أن يزعم أنه يمتاز على بقية البشر بميزة عقلية أو خاصية روحية مثل النبوة وأن المعجزات ما هي إلا أساطير خرافية قصد بها تغريب العامة وإن تعاليم الكتب المقدسة يعارض بعضها ببعض فاقمات الحروب بينها وإن لو اعتمد الناس على المقل الإنساني في تعریف شعورهم ما أختلف إثنان في أمور حياتهما ولو اهتدوا بالفلسفه والعلوم ما احتاجوا إلى عقائد الدين وتعاليم الأنبياء ، وهكذا لم يجد الرازى من ضرورة الثقافة ما يستحق لخضاعه لمنطق العقل إلا الدين ، ولم يتلتفت إلى أن العلوم التي اشتغل بها من كيمياء وطب لا تخلو من عناصر تتعارض مع أبسط قواعد العقل . فقد كانت الفلسفة اليونانية قد مهدت طرقها إلى المقول وحملت الأقيمة المنطقية منهجاً للوصول إلى الحقائق فزودت هذا الفكر الشاك بطرق عقيدة تدعم شكله وتزكيه . وكانت هذه النظورات مجتمعة مقدمة لظهور آرائهم بن الروانى والرازى . فادعى ابن الروانى أنه لا يقبل من الأفكار إلا ما يلخصه منطق العقل البشري .

ووجهت هذه المقوله المبطلة خادعة لبعض البسطاء الذين جروا وراء هذا البريق وجهلوا أن حتى السهام ورسالات الأنبياء لا تخضع لهذه المقياسات المقاييسة وان العقل وحده قادر وعجز عن فهم كل الأمور وأن له مجاله الخاص الذي يعمل فيه ولا يستطيع أن يتجاوزه .

وقد مزج الرازى بين علم الكلام والفلسفة كما تكلم في مختلف دراسات المنطق والجدل والأدب والبلاغة والنحو والفقه والأصول والتفسير والتاريخ

والطبيعة والطب والفراسة والسحر وله كتب ثانية وكتب منحولة وكتب
مشكورة فيها .

وقد تعرف الباحثون في آثاره على أمر خطير وهو أن أقواله كثيراً
ما تختلف من كتاب إلى آخر خلافاً بجمل بعضها في أقصى البيدين وببعضها في
أقصى الشمال بل أن له آراء متعارضة يضمها كتاب واحد .

وقد أشار الكثيرون إلى أن الرazi رجل مشكوك فيه وليس موضع
الثقة العلمية وأنه يحمل الثقافة الاغريقية وأعمال فلاسفتها هذا وقد أعلن
براءته من هذه الآراء عند موته .

(٧.)

ويتصل بهذا شعراء مجان أمثال بشار بن برد وصالح بن عبد القدوس
وأبو نواس وغيرهم من الشراك الإباحيين . وقد قصدى وأصل بن عطاء
للرد على بشار بن برد وتابع رسالته في الرد على الزنادقة وتفيد شار
أعمالهم سواه ، من دعاء المانوية أو المحوسيّة وله كتاب في الرد على المانوية
المتعلّق على أكثر من ثمانين شبهة لهم والرد عليها — قال عمرو بن عبيد ليس
أحد بأعلم بكلام الباطنية ومارقة الخوارج وبكلام الزنادقة والدهرية
وسائر المخالفين من وأصل وقد اشتراك تلاميذ وأصل في الرد على رؤساء
الزنادقة أمثال صالح بن عبد القدوس ، وأرسل وأصل الوفود إلى مختلف
الأنحاء لتفنيدهم أقوالهم ، كما ظهر المذيل بن العلاف الذي تعمق أساليبهم
المتورية وخدعهم العديدة وكان بشار بن برد يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة
في الفوز المشهور ومذهب الحطمية في الهجاء الفاحش . وقد واجهه المدي
فقال له : إن بعض الناس على الفجور ونفاذ الحصانات ، وكان يدين
بالرجمة ويُكفر جميع الأمة وهو من صوب رأى أبلیس في تقديم النار على
الظین فالأرض عنده مظلمة والنار مشرقة وأبلیس في رأيه خير من آدم وقد

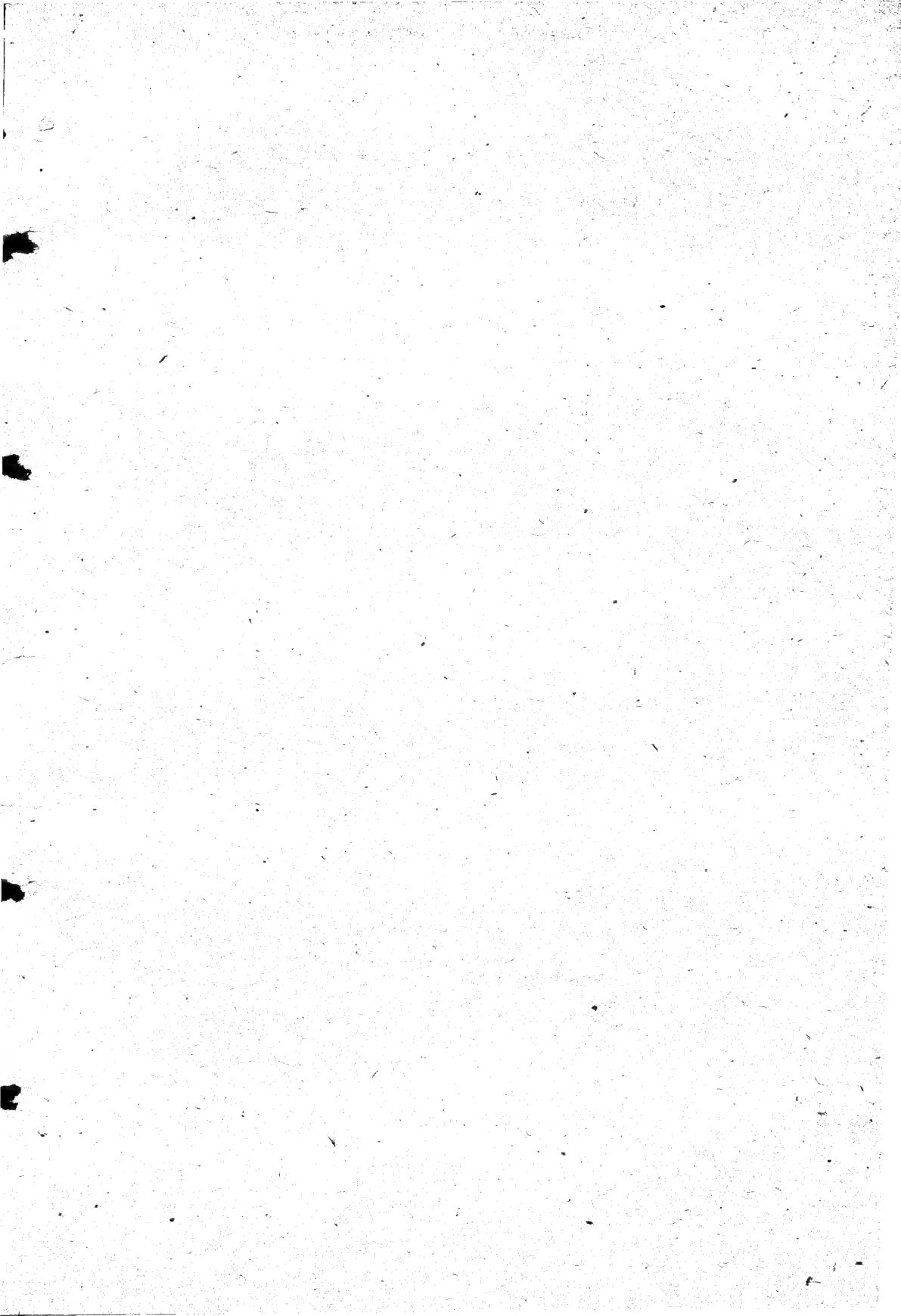
سحر بشار بالأذان وأنكر البعث والحساب وفضل شعره على القرآن وكان أباً حني النزعة يقال أن له مجلس يدعى البردان وكانت النساء تحضره قال وأصل بن حطاء أن من أخدع جبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا المحدث الأعني وكان متخصصاً للفرس مدخولاً بالمجوسية يكره العرب ويشتمهم شيئاً مقدعاً وقد ضرب بالبساط حتى مات وألقى في البطيخة لإخاشه في الهجاء والغزل القبيح .

ومع وضوح هذه الحقائق لكل من يدرس حياة بشار بن برد فإننا نجد كتاباً يعنون به في العصر الحديث ويكتبون عنه دراسات أدبية واسعة حافلة بالإعجاب به وتقديره مثل ما كتب عبد الرحمن صدق وإبراهيم عبد القادر المازفي وكذلك ظفر أبو نواس وهو أشد إباحية من بشار وأشد عنفاً على الإسلام والمغرب يمثل ذلك من أمثال العقاد وعبد الرحمن صدق وغيره بل لقد أصدرت مجلة الملائكة عدداً خاصاً عنه استكانت فيه عدداً كبيراً من أعلام الأدب العربي المعاصر مع الأسف دون أن يلتفت أحد إلى مدى الخطير الكامن وراء هذا الإهتمام البالغ والمعروف أن أبو نواس شغل نفسه بوصف الخنزير والفلتان ونادم الخلفاء بمدحهم وإضحاكم ولله هدف عميق أبعد من هذا الهدف ، هو خدمة مختلفات المؤامرة الباطنية التي كانت تستهدف إزالة الدولة الإسلامية وكان أبو نواس ذكياً واسع الحيلة يستخف بالعقبة وينشر الصنلال والزنقة . وقد عده المؤرخون والباحثون من كبار الشفوية وثبت في تصاويف شعره تأثره بالمانوية والمزدكية ، وقد كان داعية عصره إلى التحرر من القيود والتعمق بالآيات ، وكان يقول أنه لا يؤمن إلا بما يقع عليه الحس وينكر البعث ومن مبادئ المانوية إثارة الشك في المقيدة ومهاجمة جميع الأديان وكان الغزل بالذذكر للذى أوغل فيه أبو نواس جزءاً أساسياً من المانوية .

كما ذكر ذلك البيروفى: يقول حمزة الأصبهانى جامع ديوان أبي نواس ،

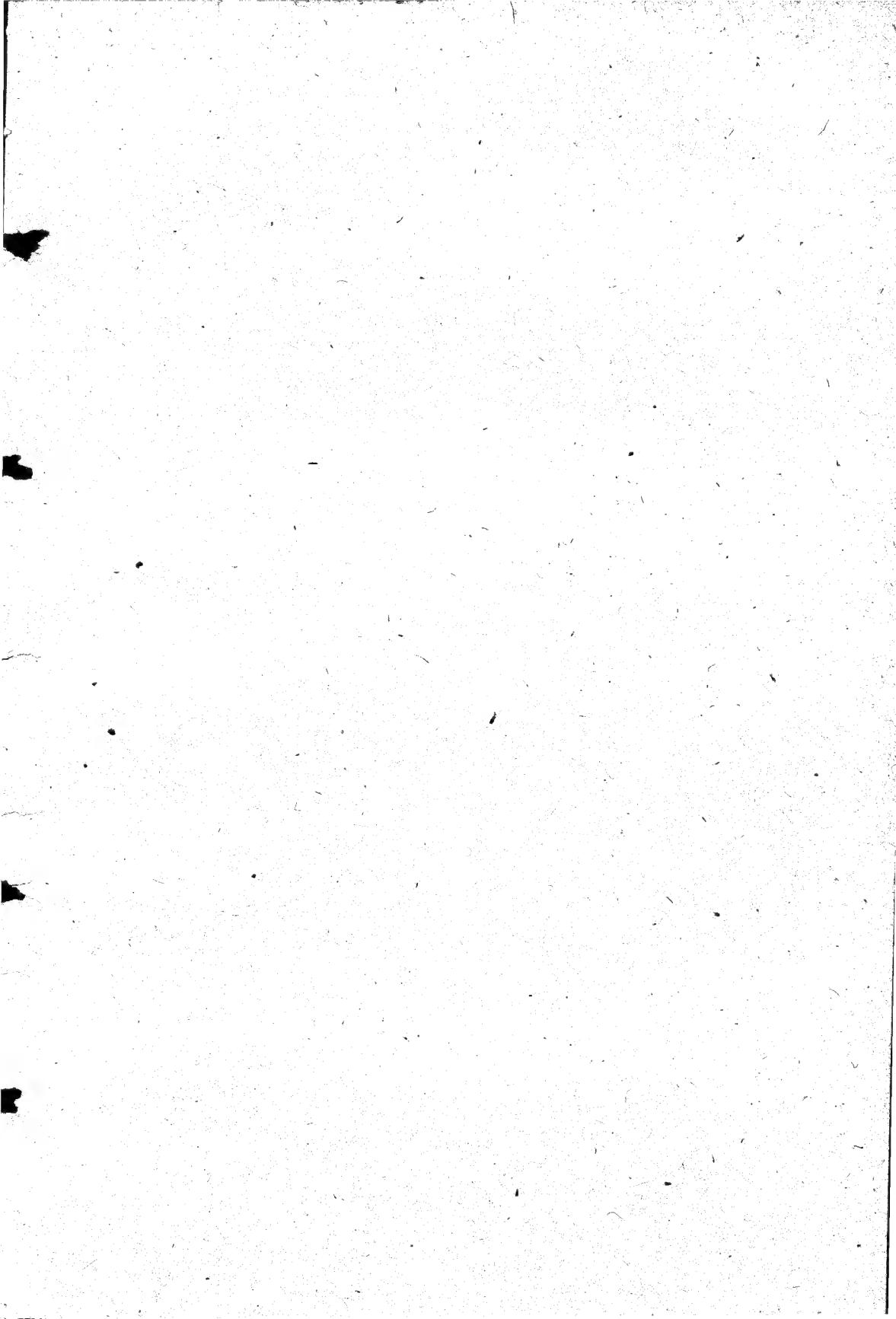
أن أبو نواس هو الذي ابتدع غزل الذكر وهو الذي أدخل إلى الأدب العربي لفتح القصائد بالآخر بدلاً مما كانت تفتح به من البكاء على الأطلال والدمن .

وفي شعره مظاهر واضحة من المانوية والمزدكية من حيث إثارة الشك في العقيدة ومحاجة الدين والإباحية المطلقة والغزل بالذكر، فضلاً عن تعصبه للفرس واحتقاره للعرب ، وقد تناولنا أبو نواس وبفار بتفصيل أوسع في مكانهما في كتابنا (خصائص الأدب العربي) .



الباب الخامس

الجماعات المدama



الفصل الأول

مؤامرة القراءة

تعيِّن الجماعات الهدامة ثمرةً أكيدة للمؤامرة الخطيرة التي رسمتها القوى المضادة للإسلام ودولته وأثراً طبيعياً لذلك الركام الضخم الذي طرح في أفق الفكر الإسلامي عن طريق المعتزلة والفلسفه والتتصوف الفلسفى والفسكر الباطنى وقد تعددت هذه الجماعات وتنوعت ولكنها كانت جميعها تهدف إلى غاية واحدة هو افتلاع هذا الكبيان الإسلامي أو تمزيقه أو احتوائه أو صهره في أتون الفكر البشري الوظني المادى أو تدمير مقوماته وقيمه وإخراجه عن أصله ، وقد تمثلت عمليات الهدم في حركات القراءة والزنج والرواندية والخرسانية والبابكية وحركة المازيارد والأفتشين وكلها حركات حاولت أن تشكل وجودها خارج الرقعة العربية مستهدفة إسقاط الدولة وتدمرها بوصفها الإطار الحافظ للدعوة الإسلامية وأن في إسقاطها إسقاط للإسلام نفسه وقد كانت حركة الزنج مقدمة لمؤامرة القراءة ودخلها فلم تكن حركة الزنج إلا نتيجة تحريف خارجي حاول أن يلتبس مدخلاته في جماعة سامت ظروف حياتها الاجتماعية وقد أدى صاحب الزنج أنه من الخوارج وأن له نسباً علوياً وبالرغم من الصورة الخادعة المزودة التي حاولت بعض المصادر أن تصور بها هذه الحركة بأنها تستهدف المطالبة بالعدل الاجتماعي الإسلامي، فإن تصرف صاحب الزنج وجماعته يكشف بوضوح عن أنها مؤامرة تستهدف زعزعة الوجود الإسلامي ولو كانت حركة إسلامية أصلية لا تمس القائمون عليها منهجاً إسلامياً غير هذه الصورة البشعة التي كانت فعلاً وتدميراً وإفساداً في الأرض دون أن يbedo من ورائها المتوجه بأى صورة

من صور العدالة الإسلامية وغاية ما يقال فيها أنها لم تسفر عن تنازع حاسمة غير قتل المسلمين والابادة، كما يقول فيصل السامر في كتابه ثورة الزنج، الذي يرى أن ثورة الزنج لم تسكن خروجاً على الدولة والنظام القائم بل كانت خروجاً على الدين ولذلك طموع آلاف الناس لحرب الزنج من العراق وفارس والبحرين فسر عان ما فقد الزنج كثيراً من قوتهم نتيجة معاونة أهالي جنوب العراق فضلاً عن مقاومة الدولة، كذلك فإن الأضرار التي تمت على أيدي قادة حركة الزنج والتي تعرض لها أهل المدن زادت من ضراوة مقاومتهم لهذه الحركة وزاد من عدد الأهلين لها.

ولاريب أن دراسة حركة الزنج في ضوء التفسير الإسلامي للتاريخ يكشف عن الحقائق الآتية :

أولاً : أنها حركة متآمرة تحت تأثير هدف خارجي وليس صادرة عن مشاعر حقيقة .

ثانياً : أظهرت الحركة بعد القائمين بها عن النهج الإسلامي وأنهم إنما كانوا يصدرون عن حقد وتأمر ، إذ قاموا ببغائضه ومتكررات لا يقدّرها إلا من تصفح كتبية الطبرى عنها .

ثالثاً : دمر أصحاب حركة الزنج كثيراً من المدن الهامة منها البصرة والأبلة ولو كانوا دعاة إصلاح لما هدموا المدن ولاعلنوا منهم يوم القائم على العدالة الإسلامية وهو مالم يحدث مطلقاً .

رابعاً : خللت هذه الحركة من برنامج اجتماعي في نطاق الإسلام فقد عجزت عن أن تكون حركة عدل اجتماعي في نطاق الإسلام إذ حرصن العبيد الذي حرررو أنفسهم على إذلال العرب عن طريق استرقاقهم والتسلكيل بهم .

خامساً : أقاموا سوق رقيق للحرائر من نساء العرب وكان من الرقيق

يرتفع ارتفاعاً ملحوظاً إذا كانت أولئك كانت النسوة من أمرى بنى هاشم
بصفة خاصة وهذا يكشف هوية الحركة وغايتها .

ومن هنا أيضاً نعرف كيف فشلت هذه الحركة فإن فشلها نتج عن كثرة
فظائعها وخلوها من منهج شامل في طريق أصيل ولقد فرغ الموقف شقيق
ال الخليفة المعتمد لما خلفه نور الزنج فأنزل بهم الضرر وراء الضرر حتى حاصرهم
في عاصمتهم الختارة وقطع عنهم الصلة وسقطت عاصمتهم ٢٧٠هـ وقتل رئيسهم .
ولاريب أن هذه المخلوط العامة كافية في كشف ذيف ما جرت محاولات
دفعه للتغريب وكتاب الماركسية وغيرها في العصر الحديث من وصف هذه
الحركة بأنها دعوة عدالة وحرية . ومن عجب أن الدكتور طه حسين كان من
أوائل من تحدث عن هذه الحركة ووصفها بالعدل الاجتماعي جرياً وراء
خطط الاستشراق والتبيير الذي حاول أن يفسد معالم التاريخ الإسلامي
لخدمة مؤامرة جديدة .

* * *

ثم جاءت حركة القراءلة امتداداً لحركة الزنج . كانت حركة الزنج في
الساحة الممتدة بين البصرة وواسط ، وكان القراءلة ي Ashtonون دعوتهم بين
سكان جنوب العراق من العرب والبطاطس وقد بدأت بالتفاه عبد الله بن ميمون
القديح مؤسس الحركة الباطنية مع حدان قرمط الذي قاد الحركة التي سميت
باسميه ، وكان عبد الله ميمون القديح : قال لأنسانه أن الآمنة والأديان
والأخلاق ليست إلا مثلاً وسخرية وأن باق البشر ليسوا أهل لفهم هذه
المبادئ ، وكانت الباطنية تنشر دعوتها باسم التشيع لآل البيت ثم أصبحت
مؤسسة سرية يرهب جانبها فقد قامت باغتيال كثير من رجال الدولة
الإسلامية وفي مقدمتهم نظام الملك الطاومي أبرز وزرا . الدولة العباسية في
ذلك الوقت . ونخر الملك . وقد بحث القديح عن أنصاره بين الوتنين وطلاب
الفلسفة اليونانية .

يقول بلاشير : أن القراءة استطاعوا أن يتغللوا في صفوف العامة وينجذبوا لهم أنصاراً يعتقدون خلتهم ويدعمون لمباذنهم وكانوا يلبسون حركتهم السياسية ثوباً روجياً هظام أمرهم وقد أفسدوا إماراة مستقلة في بلاد البحرين وكان الوزير نظام الملك قد قرر هذه الحركة تقافياً ولبس عسكرياً وسياسياً فقط ، فقد جاء به نشاطهم بنشاط عائل فانشاً من أكبر تقافياً تقف أمام ذلك النشاط ومعاهد عملية تخرج رجالاً يستطيعون الوقوف أمام الدعوات الباطنية وكانت تلك المعاهد تحمل اسم المدرسة النظامية في بغداد وقد استطاعت المدرسة النظامية أن توقف أمام الدعوات التي كان يشنها أعداء السنة على أهلها .

وقد كشف القراءة على أنهم ليسوا بتجربة إسلامية أصلية وإنما كانوا يكرهون الإسلام ويحذرون عليه ودليل ذلك على استهانتهم بالمقدسات الإسلامية وكراهة البيت الحرام فقد أغروا على مكة ونبوا الحجاج عام ١٣٧هـ وقتلوا وقلموا باب البيت . وشرقاً الحجر الأسود .

ولعل هذا الحادث وحده يكفي لأن زيف ما يقول به دعاة التزبيب والمستشرقين والملازكيين من أمثال جارودي وغيره عن أن هذه الحركة تجربة إسلامية صحيحة .

وقد حاول جارودي أن يصف القراءة بأنهم دعاة عدل اجتماعي ، وكشف زيف هذه النظرية الدكتور محمود قاسم وأبان أن عمل القراءة لم يكن سعياً إلى تحقيق كرامة الإنسان بل كانت حركة انتصالية تمت في عصر تحمل الدولة العباسية إلى دوليات متصارعة .

وكان هذا التحلل دخиль على روح الإسلام، يقول الدكتور قاسم : كانت حركة القراءة استمراراً لثورة فالرنج التي قامت قبل متصف القرن الثالث الهجري : تلك الثورة التي نشأت لتحرير العبيد لكنها لم تكن حركة عدل اجتماعي بل كانت نوعاً من الأخذ بالثأر فقد حرض هؤلاء العبيد الذين

حرررو أنفسهم أن يملوا على إذلال العرب عن طريق استرقاقهم والتشكيلا
بهم. لما حركت القراءة التي قامت في الشمال الغربي بلاد العراق ثم اتخذت
مراكز لها في منطقة السكوفة وفي بعض بلاد الشام وفي سواحل الجزيرة
العربية المطلة على الخليج الفارسي ثم استقرت آخر الأمر في البحرين .

نقول أن هذه الحركة التي توصف بأنها نورة اجتماعية كانت على صلة
وبنية بالحركة الإسماعيلية في دور السر وإن اختفت معها في دور الظهور
فإن الفاطميين رأوا بعد ظهور دولتهم في الغرب أن يستقلوا بتجهيز السياسة
في ذلك العصر بإسقاط الدولة العباسية بعد نجاح الدولة الفاطمية في المغرب
العربي .

ومن جانب آخر يسكن القول بأن الحلاج المنصوف المشهور كان من
أكبر الدعاة لتحطيم الدولة العباسية إذا كان على صلة بالقراءة .

ويقول الدكتور فاسن : يكفي أن الأستاذ جارودي نفسه يعترف ضمناً
بأن حركة القراءة حر كه طائفية . أفر القراءة شيوخ المال في مجتمعهم
الثائر وتحققوا المساواة بينهم على حد ما يقوله جارودي (فكان كل شخص
يعمل بأكثر قدر ممكن من الجهد والمنافسة حتى يصل على مرتب عمتاز مما تقدمه
من خدمات للطائفة) .

يلاحظ أن صاحب هذه الحركة كان من الموالي وأنه نشر مبادئه في طائفة
العمال والصناع والعيدين وال فلاحين والأجراء من الموالي ثم انضم إليهم عدد
من الغرب ، وقد قامت الحركة في مكان قريب من المكان الذي قامت فيه
نورة الزنج ووجدت مكاناً خصباً في السكوفة وتناظر أصحاب هذه الحركة
بالتشيع والميل إلى البيع العلوى وإن كانوا يسلكون من الناحية العملية
مسلكاً آخر إذ اعتدوا على الإماكن المقدسة وجرحوا صحة الرسول بل
الرسول نفسه .

وقد كان هذا المجتمع الاشتراكي مجتمعًا طبقاً غافلًا عن ما يقدم المضى
المتعمى إليه من أموال كانت ترتفع طبقته . كانت هناك شيوعية في المال ولكن
طبقه العبيد التي تحكم من الأسرى لم تسكن تمامًا على قدم المساواة مع
الآخرين .

يتسائل : كيف هاجم طائفه القراءطة موسم الحج وقتلوا نحو ألف من ثلاثة
ألفا من الحجاج واعتذروا الحجر الأسود من الكعبة صرفاً للذان عن الحج ،
كل هذه الوفائع توكل وجود صلة بين هذه الطائفة وأمتها وبين الخلاج
الذى كان معاصرًا لحركة القراءطة : ومن الطريق أن الخلاج قد أدين وقتل
بتهمة صرف الناس على الحج وقد ورد في تاريخه أنه كان يستعيض عن الحج
بكعبه صغيرة في بيته بطفوف بها أتباعه طوافاً يغيبهم عن الذهاب
إلى مكة .

كذلك أشار الدكتور قاسم إلى الصلات الخفية والظاهرة بين الباطنية
وبين الصليبيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين وهي تكشف بوضوح
عن ظاهرة فكرية عميقة بدأت في القرن التاسع الميلادي وانتقلت إلى أوروبا
في القرن الثالث عشر فقد انتقلت أفكار القراءطة والباطنية مع الصليبيين إلى
أوروبا وأدت إلى ظهور الماسونية . وهذا يفسر لنا فكرة عمازبة الأديان عن
طريق ضرب بعضها ببعض عند الماسونية وعند من ارتبط بهم من الداعين
إلى الثورة الفرنسية .

ومن هنا فإن الماسونية يصفون الحسن بن الصباح رئيس الطائفة
الإسماعيلية الشيرية في الفرق الخامس الهجرى بأنه من أسلامهم ويقولون عنه
إنه كان الأستاذ الأكبر للماسونية في العالم الإسلامي ، ومن هنا يمكن أن
نترى كيف اتخذ (جارودى) من حركة القراءطة عنصرًا من عناصر
الحركة الاشتراكية ،

(٢)

ولا ريب أن من درس حركة القراءة بحسب أنهم اتخذوا أساليب لا تتفق مع مفاهيم الإسلام : أبرزها العنف والتدمير والقيام بالقطائع ، كما أنهم طبقوا في مجتمعهم أراء مزدك في شبيوعية الأموال وإباحة النساء ، فكيف يمكن أن يقول مؤرخ معرض أو باحث تغريبي أن هذه الحركة أو أخرى من نوعها يمكن أن تنساب إلى أنها حركات إصلاح إسلامية وقد حل لواء الدعوين القراءة والزنج خصوم الإسلام من الوافدين والثوريين والمحوسين الذين أدعوا كذبها وتضليلها الانساب إلى أهل البيت وهدفهم تدمير الإسلام بالقضاء على دولته .

ولا ريب أن مختلف المفاهيم التي طرحتها هذه الحركات في نظامها السياسي والاجتماعي مستمددة من المجرمية والوثنية فهم يؤمنون بأن الجنة هي الدنيا ونعيها ، فلا يؤمنون بالبعث والجزاء كما يمارسون مفهوم الإسلام في التنظيم الاجتماعي والسياسي فقد وجئت المجموعة بوضوح إلى الإسلام كقيمة ونظام وأعتبرت هذه الدعوات مصدر الشقاء وحاوالت أن تخل مفاهيم الباطنية بديلاً عنه وقد طبقت فعلًا مثل هذه المفاهيم التي هي دلائل الفكر البشري الوثني والمادي وتبين من التجربة أنها لم تتحقق إلا الظلم والفساد والإباحية والهدم وبقى الإسلام قويًا علقمًا صامدًا وذهبت هذه الدهورات وبقى الإسلام .

ذلك أن هذه الحركات لم تصدر عن منهج أسامي يتيح لها صفة البقاء وقد انتخذت كل منها أساليب غاية في العنف والتدمير ، إذ قام الداعون إليها بقطائع لا حد لها وقد حل لواء الدعوين من آمرؤن أدعوا الانساب إلى أهل البيت واستهدروا القضاء على الدولة .

ولقد استمدت هذه الحركات مفاهيمها من التقلييم السري الباطني الذي (١٢٣ - المؤامرة على الإسلام)

رسمه إخوان الصفا وغيرهم، وهي تستهدف في الأساس تدمير الدولة الإسلامية وإرجاع بحد فارس الجوسية الفاسدين، والعودة إلى الوئمة والتنوية والمانوية.

وقد ارتبطت مختلف حركات القرامطة في العراق والبحرين والمشاذين والباطنية في سوريا وإيران وأخذت من الحشيشة وسيلة إلى إغراء الشباب المنضم إليها باعتناق مذهبها وخداعهم برفع التكليف واستباحة المحرمات.

وقد حاول المستشرق دو ذي أن يمجد هذه الحركة قائل إنها أسرفت عن فتائح مذهبها هي أن جهوراً كبيراً من أذام يعتقدون مذاهب مختلفة كانوا يعملون مما لتحقيق غاية . نقول « وما هي الغاية إلا التأثير على الإسلام وما جمع هذه الجموع إلا الأهواء والشهوات والاغراء والخداع ولكنها عجزت عن أن تصلح لوعاجاً أو فقيم مانلا، وثبت فشلها في انجامها نحو الأفساد والظلم .

ولم يلبث أثرها إلا قليلاً حتى انكشف وتبين أنها حركة معادية للإسلام ناشئة بين قوى أجنبية تزيد أن تدمر هذا الكيان الفاسد ولم يهدىهم أن جهوداً لا تربطها رابطة إلا بإباحة المذنرات والخر والشهوات وتقديمها لهم للاستغافلة بهم على تحقيق حماياتهم البعيدة ،

ولم تزد دعوتهم على أن عدت إلى نهب أموال الأغنياء وإباحة الخمر ونكاح المحرمات من البنات والأخوات والفلمية وأفتك برجال الدولة وزلزلة الأمان في المجتمع .

ولقد تآمرت تلك النحل من المجهون واليهود والنصارى والصابئة والوئمة والبراهمة وكثيراً دعوات تفك ووجوداته وتحقق دليل الإسلام الناجي المتند أولئك هم الذين جمعتهم قيادات القرامطة والحركات الباطنية باسم الأهواء والاحقاد، ثنا استطاعت أن تحقق شيئاً إلا الدمار، وما استطاع

مؤرخ منصف واحد أن يصف هذا الفساد بأنه حركة إصلاح إلا اليهودية العالمية التي عقدت مؤتمر بلتمور عام ١٩٤٨ في الولايات المتحدة وقد جمعت له بعض المبشرين والمستشرقين لوضع خطة إلى إحياء هذه الحركات وإعادة طرحها في المجتمع الإسلامي على أنها حركات إصلاح ونور وعارضه للنظام الإسلامي وقد تمكنت هذه الدعوة من تجنيده بعض الكتاب الذين وصفوا القراءلة والباطنية بأنها نورات الإسلام ، وأكفهم لم يندعوا أحداً فقد تزلف المسلمون الآن على مصادر الشبهات التي تحببها اليهودية العالمية والاستعمار والماركسيبة .

(٣)

ولم يتوقف الأمر عند حركة الزنج والقراءلة، بل تعددت الحركات كحركة المقفع الخرياساني وحركة بابك الحرمي وحركة المازيار وحركة الأقباطين وحركة الرواندية وكلها مؤامرات تحمل نفس الولامة الباطنية والاتجاه المجموعى الحادى الذى يحاول هدم النظام الإسلامي وتدمره فقد كانت هذه الحركات التمرية تظاهر بالإسلام وبمحنة آل البيوت لتعمل على هدم السلطان العربى الإسلامي مقدمة لهدى الإسلام نفسه ، وأنها كانت تجتمع الناس فى مناطق فارس بالمؤامرة والأغراء والشهوات على أساس الحقد والسكرافية والمطمع ، ولذلك فإنما ظلت بالرغم من صورتها المرعبة التي كانت تشير إلى القوة والسلطان . كانت هشة وأنها عندما ووجئت بقوة حقيقية سقطت كأنما كانت حصونها من الورق المقوى ، ولم تستطع مؤامرة الباطنية بتجميع ظلمات المجموعية والمذكورة والزرادشية والمانوية أن تواجه ضوء الإسلام ولم يبق من بعد منها إلا هذا الركام الفاسد الذى بحث عنه المستشرقون والمبشرون وخصوم الإسلام فى العصر الحديث لتجديده وبعثه ووضعه مرة أخرى فى أيدى المسلمين ليفرقوه ويمزق وحدتهم وليصرفوهم عن حقيقة الإسلام ول يؤثر الخلافات مرة ثانية من العرب والفرس وبين الفرق المختلفة التي ماتت وانطوت .

(٤)

كان أقوى نفوذ الباطنية وأشد باسمهم حين ظهر (الحسن بن الصباح) وقد ادعى أنه ينتمي إلى ملوك حمير القدماء وقد ظهر بالحصن الجبلي المعروف بالموت ٨٤٣ قرب بصر الخزير ، وكان نظام الملك يخنقى الحسن ويتوjis خفيفة منه وقصته معه معروفة حين ألقاه بيلاط ملك شاه فقد بدأ الحسن يدرس على نظام الملك نفسه إلى أن دبر له نظام الملك تدبيراً أجزاء إلى الهرب .

ومن حصن الموت قامت دولة المهاشين إلى أن قضى عليهما جنكينز خان في طريقه إلى بغداد . وكان المهاشون قد اعتصموا بهجوماً من الجبال وكانتوا يقطعون الطريق فلم تستطع قوى الدولة من لوسول إليهم أول الأمر فاستطاعوا إحداث الاضطراب بالتعاون مع الصليبيين واستغلال انفعال الدولة في مواجهة الحملة الصليبية ، ومع ذلك فإن السلاجقة استطاعوا إسقاط أكبر حصونهم وكانت الضربة القاضية هي التي وجهها إليهم الظاهر بيبرس .

ورقد كان المهاشون يعمدون إلى الأختيال كوسيلة لتحقيق أغراضهم ، كما كانوا يستعملون الحشيش لتخدير الأعضاء الجدد وحملهم إلى حدائقهم الجبلية لافتائهم أنهم في الجنة ، وزادت قوة المهاشين في جميع أنحاء الدولة في فارس والعراق .

ولكنهم ظلوا - رغم المدة التي قضوها - يعيشون على هامش المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية .

ورقد استغلوا هذه المرحلة من ضعف الخلافة وتمزق الدولة وأسلان بعض الولايات وغلوه القوى العسكرية المختلفة على سلطان الدولة وقيادتها

وشعين الأمراء الذين تولوا الإدارة والمال والجيش ولم يبق لل الخليفة إلا الإسم.

وكان ذلك كله مقدمة لسقوط بغداد ٦٥٦ وتحرف القرى الصليبية إلى القدس ولقد نكشفت حفارات كثيرة في هذه الفترة ردت المخدوبيين إلى فهم الأمور، فقد تبين أن كثيراً من هؤلاء الذين خدعوا الناس بالحيل والكرامات من أمثال ابن عربي والحلاج والسروردي أنهم من تلاميذ الباطنية وأنهم يستغرون تحت أسماء لامعة وكلمات برافة بينماهم على صلة بالمتآمرين سياسياً متتفقون معهم على هدم الدولة وتنقيص وجودها.

كما تبين أن الحركة الباطنية هي ثأر فرق أو تسع من المتآمرين تنبع عن مجموعة الأقطار العراقية والفارسية وتضم بقايا المحبوبة والمذكورة والبابلية وما شارطها ورموزها وأسرارها التي تحف وراءها مقاصدها وغايتها وإن هذه المدعوات أصبحت ملجاً لكل ناقم ومحاند ولكل صاحب شهوة وهو .

(٥)

ولقد تعددت في العصر الحديث كتابات الشعوبين والشيوعيين التي تحاول إحياء هذه النحل الباطلة مفسرة إياها في صورة التفسير المادي للتاريخ، أو في صورة المفاهيم المنصرية والقوميات الضيقية عندما يحاول البعض أن يدعي أنها كانت حركات إصلاحية ترسى إلى تحقيق العدل الاجتماعي أو أنها انتفاضات قوية، ولقد أدعى أحد هؤلاء أن حر كبايل الحزمى هي انتفاضة الشعب الأرضية يتجانى ضد الخلافة العباسية ، وفي هذا من المبالغة وانتفاذه الحفاظ على التاريخية ما فيه . بينما لم تسكن البابكية إلا واحدة من حركات هدم ما بناء الإسلام وتفتتت الصرح الذي أقامه الفكر القرآنى الربانى الأصيل،

ويشهد بذلك ما ي قوله المؤرخ العبامى صاحب العيون والمحافن فى أخبار
المحافن : بأنه لم يكن فى الإسلام حادث أضر بالإسلام والمسلمين من
ظهور بابك الحرى بتلك المقالة الف فروع عنها القراءة والباطنية .

وعاير دده دعاء التغريب سواء فى إطار الفكر الغرب أو الماركسية من
أن الباطنية قد حاولات أن تعيد المرأة حقوقها وحريتها ، وكذلك وصفت
المشاعية والدعارة التي دعت إليها وأقرتها هذه الجماعات بأنها حركة
تقدمية للمرأة .

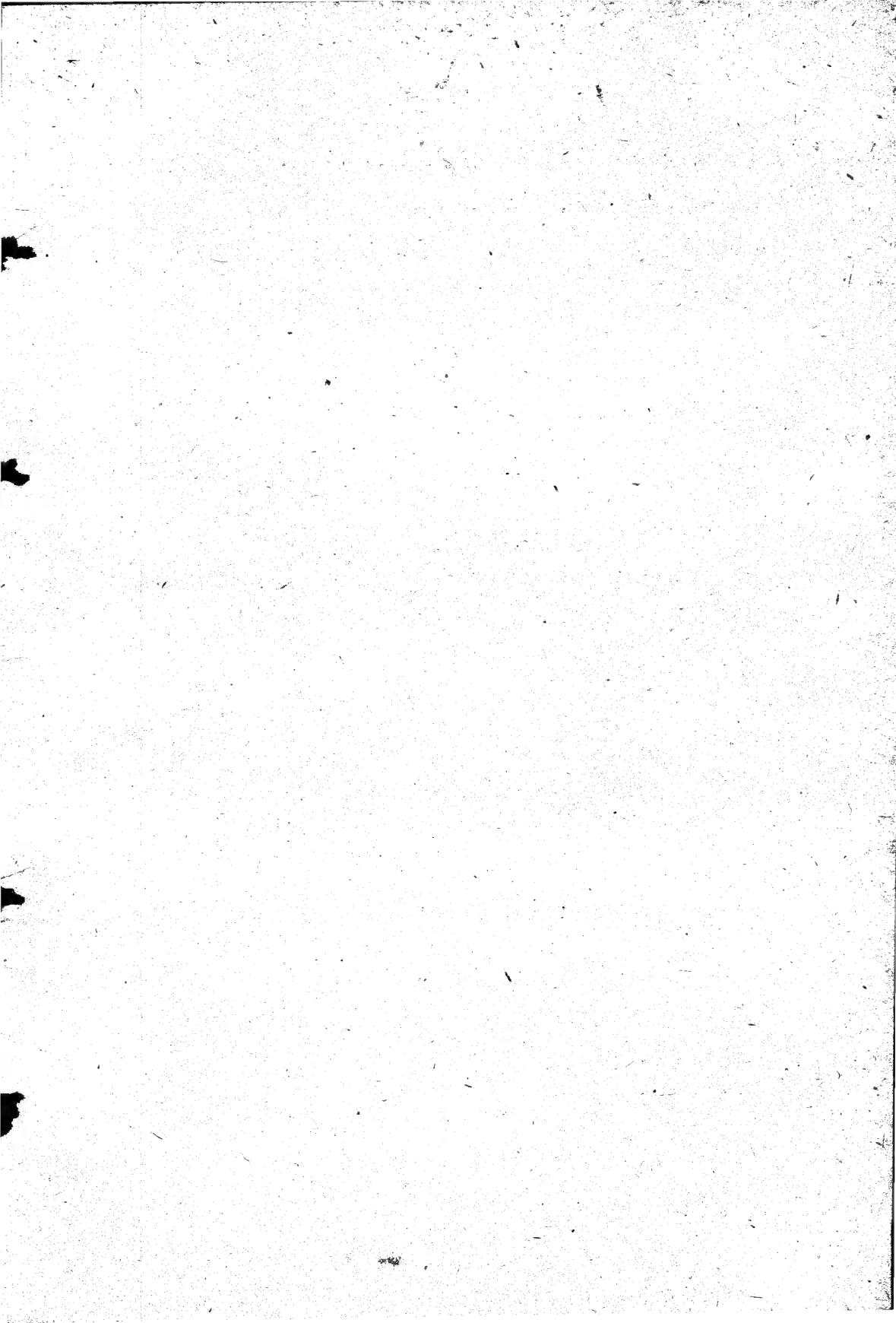
ولقد كانت حركة بابك واحدة من الحركات الباطنية وقد قامت على
ما قاتلت به حركة القراءة من ترك العبارات والتخلل من الالتزامات
الأخلاقية وتوكيد ونافق التاريخ (المسعودي : مروج الذهب) وغيره أن
بابك تحالف مع أمير اطورو الروم نيو قبل ووقع اتفاقاً مكتوباً للقضاء على
الجيوش العباسية وتحطيم السيادة العربية .

وتقول المصادر أن أمير اطورو الروم نيو قبل قدم مساعدات منخمة لبابك
والخرمية لمراجحة المسلمين وأنه قبل الخرميين الفارين إلى الأراضى النيزنطية
وأن فلول البابكين انضمت بعد اندحارها إلى الإمبراطور البيزنطى .
واعترف المازيار وهو أيضاً من المتأمرين تحت لواء الحركة الباطنية بعد أسره
لاتفاق المتأمرين علىأخذ الإمبراطورية من العرب وإعادتها للأكمير
الفرس ، كما اتفق الأفسيين والمازيار على أحياه مذاهب المشنوية والمجوس ،
فكيف يمكن أن يحيى اليوم من يستخرج هذا الفكر ويقدمه مرة أخرى
المسلمين على أنه فكر تقدى أو أشتراكي وكيف يمكن أن توصف مثل هذه
الحركات المتأمرة التي اكتشفت مؤامرتها بأنها حركات عدل اجتماعي كما
صورها طه حسين وجامعة المستشرقين ودعاة التغريب .

ولقد حاولات الباطنية خداع الجاهير بالمقابلات المنطقية والإغراءات

الساذجة عن الفردوس الموعود ثم تبين من "بعد أن ذلك ليس إلا مثلاً للخدعة الماركسية المعاصرة ولقد هزمت هذه الحركات وتحطم معنونها الفكري تحت سبابك الأصلية الإسلامية التي لم تثبت أن سيطرت وعلت وانتصرت على ركام الفكر البشري المضلل .

كما تبين أن نشاط هذه الفرق المدamaة لم يهدأ أبداً الحضارة الإسلامية ولم يهدأها خاصة بالزوال كلياً في أي مغامرة وإن لم يكن قد زادها فورة وكذبى ادعاءات المعلمين من المستشرقين .



الباب السادس

تجدد الفكر البشري



تجدد الفكر البشري

كان الفكر البشري قد لقى مواجهة صادقة ردها وصحته وكشفت زيفه وأدالت منه على النحو الذي قضى عليه وكشف عن جوهر مفهوم الأصلية الإسلامية الذي أطلق عليه مفهوم أهل السنة والجماعة غير أن التفوه الأجنبي بأجزائه من الاستشراف والتباشير والفتواز والفسكري والتغريب والشعرية قد عمد إلى إحياء هذا الفكر الإسلامي لإثارة الفسادات وتغيير وحدة الفكر الإسلامي من جديد ، وقد تحركت هذه المحاولة تحت اسم «تجديد الفكر العربي» بدعوى أن الفكر العربي المعاصر قائم بذاته ومنفصل عن الفكر الإسلامي وأنه يتشكل من جديد منقطعاً عن امتداده المتصل خلال أربعة عشر عاماً ومتصلًا بالفكرة الغربية على النحو الذي يدعو إليه رجال الإراسيات والمبشرين وذلك حتى يتشكل فكر جديد تحت اسم الفكر العربي، يكون حاصراً من الفكر الغربي ينطر إلى الإسلام وإلى عقيدته وزرائه نظرة منفصلة وتفوّم النظرة على منهج النقد الغربي الوارد الذي ينظر إلى الأدب على أنه نتاج العصر والبيئة ووحد ما بينها تفوق المغقرة الإسلامية العربية على أن الأدب العربي يستمد جذوره وعوامل حياته من الأصل الأصيل القرآن ، وأن الأدب ليس الإقطاع من الفكر العربي الجامع المنكامل لا ينفك عنه ، ويقوم على أساس المسؤولية الفردية والجزاء الآخرية وأخلاقيّة التعامل الاجتماعي .

وقد توزعت هذه المحاولة الخطيرة على دراسات الكلام بالدعوة إلى إحياء الاعتزاز وتصوير الدعوة إلى تجديد الفكر الإسلامي بأنهم معترضة لورجال كلام جدد ، وبالدعوة إلى تجديد الفكر الفلسفي الجواب الذي

هاجها الغرالي وقضى علىها ابن تيمية وبالدعوة إلى إحياء التصوف الفلسفى القائم على الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وبالدعوة إلى إحياء الفكر الباطنى الشعوبى .

وقد سارت حركة نجدة الفكر البشرى في هذه المبادين الأربعية ، تحت لواء ما أطلق عليه « الفكر الحر » .

وقد بدأ الاستشراف بهذه الخطة : بإحياء هذا الركام القديم وإعادته طبعه ونشره :

بدأت هذه المرحلة عام ١٩٠٩ بكتاب لويں ماسنیون حتى حل لوامها طه حسين ١٩٢٦ بعد سقوط الخلافة ثم جددتها عبد الرحمن بدوى ١٩٤٦ ثم جاء ذکى نجيب محمد منذ عام ١٩٦٧ وفى ظل النكسة لإحياء هذا التراث على نحو جديد .

١ - نشر لويں ماسنیون كتابات الحلاج والشهوردى وفريد المطار وابن سبعين .

٢ - نشر جولد مہیر كتابات صالح بن عبد القدس .

٣ - نشر كريمسكي عن إبان بن عبد الحميد اللاحق .

٤ - نشر فرنسيسكو جبريل وباؤل كراوس عن ابن المفعع .

٥ - نشر باول كراوس عن ابن الرانونى .

٦ - نشر فرنسيسكو جبريل عن بشار بن برد .

٧ - نشر باول كراوس عن محمد بن زكريا الرازى .

٨ - ماكتبه أسين بلاسيوس عن ابن عربى .

ثم جاء دور التفسيريون العرب فقاموا بدور كبير :

١ - كتب طه حسين عن الزنادقة : بشار بن برد وأبو نواس وحماد ولابان بن عبد الحميد وجدد طبع آثار ابن المقفع ورسائل إخوان الصفا .

٢ - كتب عبد الرحمن بدوى كتابيه : شخصيات قلقة و (من تاريخ الإسلام في الإسلام) تناول فيما الحلاج والمهروردى وابن المقفع وابن الرواندى والرازى وقدم شطحات الصوفية عن أبو زيد البسطامى ورسائل ابن سبعين وترجم ما كتبه ابن بلاسبيوس عن ابن عربى .

وبذلك أحياناً قدراً كبيراً من ذلك التراث الغنوصى الم gioنى القديم وإن كان قد قدمه كترجمات لأنار المستشرقين .

٣ - أما الدكتور رزك نجيب محمود في كتابه (تجديد الفكر المجرى) والمعنى واللامعقول في التراث العربي فقد أعاد صياغة الفكر البشري الوتني الغنوصى صياغة جديدة .

وتمثل حركة تجديد الفكر البشري في عدة ظواهر :

أولاً : إعادة كتابة تاريخ القراءة والزبح والباطنية على أنها حركات عدل وحرية أو ثورات إسلامية ومن ذلك ما كتبه محمود إسماعيل عن الحركات السرية في الإسلام وحسين الوزير عن انتفاضة الشعب الأزرريجان .

ثانياً : إعادة الدعوة للاعتزال والرواندية على النحو الذي حاوله الدكتور رزك نجيب محمود .

ثالثاً : إعادة طبع كتب وحدة الوجود والحلول والاتحاد كحاولة طبع كتب ابن هربى والحلاج .

رابعاً : محاولة فرض منهج التفسير الماركسي للتاريخ كافعل أحد عيّان صالح فيما أسماه العين واليسار في الإسلام .

خامساً : محاولة اطفي السيد التي صورها في ترجمة كتاب الأخلاق لآرسنلو من أن فلسفة أرسنلو هي مصدر النهضة للعربية الحديثة . وترجمة عام حسان لكتاب (مسالك النقاقة الإغريقية إلى العرب) تأليف أواليري وكتاب الأصول اليونانية للمنظريات السياسية في الإسلام لإبراهيم يحيى مذكر و كلها تحاول أن تجعل من الهمجية سبادة على الفكر الإسلامي .

وهناك عبد الرحمن بدوى في هذا الركام : كتابه شطحات الصوفية لأبوزيد البسطامي والأفلاطونية المحرنة عن العرب والخوارج والشيعة ورسائل ابن سبعين .

وهيئاً تتجمع الرواية كلها (فلسفية ، وصوفية ، وكلامية) لتشكل بجهة خطيرة قوامها مفاهيم الفكر البشري في متابعة للعمل الذي قام به ماسنيون وباؤل كراوس .

ولقد جدد عبد الرحمن بدوى أعمال الاستشراف وقاما إلى العربية في كتابه تاريخ الإسلام في الإسلام يتحدث عن الزنادقة ويترجم لهم بتrowsers ويؤرخ لهم ويضع فكرهم بجداً أمام المثقفين العرب ، يتحدث عن حالات ونهيان وصالح بن عبد القدوس وعبد الكريم ابن أبي الموجاه وأبو عبد الله الرقاق وبشار وحادي إبان بن عبد الحميد وأبو العناية .

ونجد أمثال سيد حسين نصر في إيران يزلفون ابن سينا والسنور وردي وابن عربي كتاباً تحت اسم حكماء مسلمين مجدداً هذه الدعوة رابطاً بينهم وبين زرادشت وماي ومبتنا علم المعرفة والجغرافيا والرموز والأسرار فيغرب لغرباً شديداً ويعده عن مفهوم الأصلية كثيراً .

وهكذا انسع نطاق دائرة المعاشرة على الإسلام في هذه الجولة وكانت التجربة الأولى واضحة أمام قادة المعاشرة (التغريب والشيوخية واليهودية العالمية) فقد رأى أصحاب المعاشرة كيف أغرق ركام الهلبينية الفارسية الباطنية الوهنية الفكر الإسلامي في دوامة عبقة خلال قرنين من الزمان أو أكثر فجندوا هذا العمل بهذه الأبحاث الواسعة المتعددة في كل اتجاه لاف تحمل الملامة والمراوغة للتفكير الإسلامي لأنه نصر في مجال الفلسفة وأقل بابها وعارض الاعتزاز وأن هذا كان من أسباب تأخر المسلمين . وكانت الحملة شديدة على الإمام الغزالي وكان الإغضاء والتتجاهل لاصحاح حركة المقاومة والمواجهة أولئك الذين حلو لهم الأصالة الإسلامية من أعلام مع إعلام وإبراز وتلبية كل الأسماء التي حملت لواء الباطنية والفلسفة والزندقة قد بما يسمونه المشاeron أو الشراح فكتبت عشرات الأبحاث عنهم وجلهم لا يسلم في مقياس الأصالة الإسلامية للحكم عليه وأخطر من تصوب إليه أسمى الاتهام الفارابي وابن سينا .

وكان من أخطر دعوات المعاشرة فصل الفكر الإسلامي الحديث عن الفكر الإسلامي في مراحله المتصلة منذ بزوغ الإسلام تحت اسم الفكر العربي وذلك لمزرله وافتراضه واحتواه ولكن حركة البقظة الإسلامية استطاعت أن تواجه هذه المعاشرة وتتكشفها وظهرت أبحاث كثيرة وكتابات متعددة لكشف هذا الزيف ونسف هذه الشبهات وكتب عديد من مفكري الإسلام عن هذه الخلطات :

(٢)

الإسرائيليات الجديدة في التاريخ والعوائد

لم تكن الإسرايليات الجديدة إلا صورة مجددة من الإسرايليات القديمة غير أنها وضعت في صورة المناهج العلمية والقى عليها ظل من براعة التعبير وصنعت من نظريات مستحدثة ولقد كشف كثير من الباحثين الجذور التلودية في :

- مذهب التحليل النفسي لفرويد
- مذهب ليف برييل عن القول بنطعور الأخلاق .
- مذهب دوكايم عن القضاء على المسؤولية الفردية وتغليب المسؤولية الجماعية .
- مذهب ماركس في إعلام التفسير الافتراضي للتاريخ .
وفى مجال هدم «إسلامية» الثقافة العربية والأمة العربية كانت المحاولات والمؤامرات تدور حول تزيف التاريخ وتصوير حلقات الباطنية والقراطسة على أنها حركات نورانية إصلاحية .

وقد ظهرت هذه الحركة في أفق الفكر الإسلامي المعاصر بعد أن صدرت توصية مؤتمر بلجيكور الذي عقد في عام ١٩٤٢ والذي دعا إلى الاهتمام بدراسة وابحاث الحركات السرية في الإسلام ومن ثم بدأت كتابات (عربية) كثيرة في هذا المجال ، تناول أن تصوّر حركات الانتفاض على الإسلام ودولته على — أنها حركات إسلامية أصيلة .

وفي السنوات الأخيرة تركز الحديث حول القراءة ووصفهم بأنهم سحركة تقدمية وجاء الدعوة إلى الشرقي ليصفوا القراءة بأنهم دعاة العدل

فِي الْإِسْلَامِ، مِنْ أُمَّالِ جَارِ وَدِي وَغَيْرِهِ، وَوَصْفُهُمُ الدَّكْتُورُ طَهُ حَسِينُ كَذَلِكَ
عَامٌ ١٩٥٠ تقريرًا في بحثه في مجلة الكاتب المصري اليهودية المصدرة.

ولم تكن حركة القراءطة في الحقيقة حركة إسلامية ولكنها كانت
إحدى الحركات المنفصلة بالمؤامرة التي دبرت ضد الإسلام ودولته ، هذه
المؤامرة المنفصلة التي اشتراك فيها اليهود والجوس والقوى الشعوبية لحسب
الدولة الرومانية الشرفية .

ويمكن أن نصدر في تقييمها التحفظات التالية :

أولاً - لم تكن حركة القراءطة إنسانية الطابع أو تصل على تحرير
الإنسان أو تكريمه وقد استخدمت الإسلام ستاراً لها لتحقيق أغراض
المؤامرة بل كانت حركة طائفية محضة .

ثانياً - ارتبطت حركة القراءطة بثورة الزنج ولم تكن ذات طابع
إسلامي بل كانت بمثابة الأخذ بالثأر على حد تعبير الدكتور محمود قاسم :
« فقد حرض هؤلاء العبيد الذين حررروا أنفسهم من إذلال العرب عن
طريق استرقائهم والتشكيل بهم » .

ثالثاً - لم تكن هذه الحركة إسلامية لأنها لم تستطع أن تتحقق نهج
الإسلام في الحكم ولو ل يوم واحد وإنما حققت مناهج الشيوعية في المال
والعرض وقام مجتمعهم على المنافسة وكان التقدم فيه قائماً على الثروة المالية
فكأن مجتمعها مجتمعًا طبقياً .

رابعاً - كذلك ينق عنها طابع الحركة الإسلامية اعتداوها على
الأراضي المقدسة وتجريح الرسول ومحاباته وقد هاجم القراءطة موسم الحج
وقتلوا نحو نلايين ألفاً من الحجاج وانتزعوا الحجر الأسود من الكعبة
صرفاً للناس عن الحج .

خامساً - توکد النصوص التاريخية تلك الصلة الوثيقة بين حركة القرامطة وبين الحركة الباطنية الإسماعيلية في دور السر وان اختلفت معها في دور الظهور .

سادساً - كان المجتمع القرمطي مجتمعاً طبقياً فيه طبقة المسادة وفيه طبقة العبيد التي كانت تسكون من الأسرى ولم يكن لها أي حق في أي حرية أو مساواة مع الآخرين ومني هذا انقلاب الوضيع فقد عمد العبيد إلى الاستيلاء على السلطة ووضعوا أصحاب البلاد في موضع العبيد .

سابعاً - كشفت الوثائق أن هناك صلات ظاهرة وخفية كانت قائمة في ذلك الوقت بين الباطنية والصلبيين ،

ثامناً - بعد الخلاج من لمثل هذه الروابط بين الحركة الباطنية وأعداء الدولة الإسلامية وقد كان الخلاج من أكبر الدعاء لتحطيم الدولة العباسية إذ كان على صلة بالقرامطة وقد روى عنه انه أقسم في أحد أحاديثه القدسية التي كان يزعمها لنفسه^(١) بعام ٢٩٢ .

وهذا العام هو الذي شهد الثورة الكبرى للقرامطة وقد سجل هذا كاتبون في كتاباته عن الخلاج .

* * *

وهذه التحفظات تكشف عن زيف دعوى المدعين بأن حركة القرامطة ثورة إسلامية أو حركة إصلاح ، كذلك فإن بعض كتاب العرب قد أولى اهتمامه للخلاج ووصف بأنه دائمة تحرير الإنسان من الظلم والحقيقة ان الخلاج لا يستطيع الثبات في مجال الزهامة الإسلامية لحظة واحدة .

(١) رجمنا في هذا الملف بحث الدكتور محمود قاسم (الملال يناير ١٩٢١) .

فقد وصفته كتب التاريخ التي بين أيدينا بأنه د رجل جموعي الأصل ، اشتغل بالمخارق والمحيل وادعى العلم بالأسرار ، ثم تناهى إلى إدعاء النبوة ثم الربوبية واستغنى غلامان قصر المقتدر العبامي لينفذ بهم إلى تحقيق خاينه فأدلى ذلك إلى قتله .

وذكر إمام الحرمين في كتابه الشامل أنه كان بين الحلاج وبين الجناب رئيس القراءطة اتفاقاً سرياً على قلب الدولة وأن هذا هو السبب الحقيقي لقتل الحلاج ، فالحلاج لم تقتل الكلمة فيما كانت مفرقة في الشك والوثنية وإنما قتل حين ثبتت عليه مراسلات إلى القراءطة وتبين أنه كان وكيلهم وكان القراءطة قد أزاحوا النظام الإسلامي وسفكوا الدماء وخربوا البلاد وأنفأوا لهم حاصمة في مصر حلوا إليها الحجر الأسود فظل بها ثلاثة عاماً .

ولقد قبل أن دعوى الحلاج في الحلول والاتحاد والاشراق ووحدة الوجود كانت منطلقة إلى تمزيق الفكر الإسلامي وإفساده وعدم تعامل الإسلام تمهيداً لتحطيم سلطنته السياسية وهو نفس المنهج الذي سلكته الباطنية فقد رأى خصوم الإسلام إزاء عجزهم عن هدم الدولة ، أن يتجأروا إلى تقويض عبودية التوحيد التي جمعت شمل المسلمين وتذرعوا إلى ذلك بنظريات المتصوف المندى والمجوسية الفارسية والفلسفة الوثنية اليونانية وكانت مقدمات ذلك السخرية بالشريعة الإسلامية والتزخص في الحدود وإباحة المحرمات وقد جرى الحلاج في ذلك شوطاً طويلاً فادعى الألوهية وأنهم بمعارضة القرآن وأنه يحيي الموتى وأن الجن يستخدمونه وأنه يعمل من الخوارق ما يشبه المعجزات وأنه كان يدعى إلى نوع آخر من الحج غير الطواف بالبيت الحرام في مكة وله من أصحابه كتابات بالشفرة لا يفهمها إلا هو ومن أرسلها إليه .

وقد أشار الدكتور قاسم إلى أنه بما يثبت إدانته الحلاج بالعمل مع

الغرامطة انه كان يصرف الناس عن الحج وكان يستبعض عنه بكتبة مصفرة في بيته يطوف بها أتباعه طواها يغتثهم من الذهاب إلى مكة .

ومن الظاهرات الجديدة في أفق البحث ظاهرة (وحدة الوجود) وهي ذات مصدر ديني قديم لا يقول بالتوحيد ويصل بالتعدد حتى ليسكن القول أنها إحدى ركائزه الأساسية وقد وجدنا من أمثال الدكتور حسين فوزي وضبره من يفخر بأنه يؤمن بها .

ومذهب وحدة الوجود دخيل على الفكر الإسلامي وهو من المذاهب الفلسفية القديمة المرتبطة بالوثنية والمجوسية وفلسفات الأغريق والمنود والفرس التي تحرر منها الإسلام بالتوحيد وفصل بينها وبينها .

وتفني وحدة الوجود تاليه الخلوقات واعتبار الكون هو الله .
جل جلاله .

وهي دعوى تناقض مع جوهر المقيدة الإسلامية تناقضًا مطلقاً بحيث لا يمكن التوفيق بينها وبين دين عقيدة التوحيد بأي وجه من الوجوه .

ومفهوم الإسلام في مواجهة وحدة الوجود : هو أن الموجود اثنان :
واجب الوجود، وعُنْكُن الوجود .

اما واجب الوجود فهو صانعها الواحد الأحد الفرد الصمد .
ولما عُنْكُن الوجود فهو هذه الكائنات التي ندركها بحواسنا الجس
 مباشرة .

كذلك أنكر الإسلام عقيدة الاتحاد ، أي حلول الخاتق في المخلوق ،
أو استغراق المخلوق في الخاتق .

والإسلام يميز طبيعة كل منها ولا يقبل وحدة الوجود لأنها تتعارض
مع (لا إله إلا الله) .

ومن هنا نرى كيف أن الاستشراق وهو مادة التغريب والتباشير جيماً
يركز على هذه القضايا :

- ١ - قضية التصوف الفلسفى وفكرة وجود وحدة الوجود في مجال المقادير .
- ٢ - قضية الثورات المضادة للإسلام ويحاول أن يصفها بأنها ثورات
إسلامية كالفراءطة والزنخ وغيرها .

ولقد أغوى بعض الذين يكتبون بهذا منذ وقت بعيد ، وما تزال
أجيال الشعوب ين تتوالى وتتجدد دعواها (والله يقول الحق وهو يهدى
السبيل) .

(٣)

كيف حطم الإسلام قيد الإغريقية ؟

إن هذه المعاوی التي ماتزال تتردد عن صلة الفكر الإسلامي بالإغريقية
أو الهلينية في ساحة إلى أن تواجه دائماً بالحقيقة القاطعة التي تكشف موقف
الإسلام من الإغريق وكيف حطم هذا القيد وحرر الفكر الإسلامي من
آثاره وآثامه .

لقد ووجه المستشرقون والمبشرون الغربيون همهم ، دون توقف ، دون
يأس حول هذا المدخل إلى الإسلام في محاولة تصوير الفكر الإسلامي
وهو من صناعة الفكر اليوناني الإغريقي ، أو إلقاء ظل التبعية الكاملة عليه .
كأنما يمكن للمسلمين فكر قبل القرن الثالث المجري من ذل كناهم وجاه

رسولهم وتشكلت أمتهم ودولتهم وتكون فكرهم خلال مائة عام كاملة ، استوفى فيها الفكر الإسلامي كيانه وجوده قبل أن يلتحق بالفكرة اليوناني ، وفيه تشكلت كل الركائز العلمية من تحقيق السنة وإنشاء النحو وبناء الشريعة واللغة وكتابة التاريخ وانطلاق شرارات العلم والبحث وبناء المزاج الإسلامي . للعمر الممتدة من القرآن الكريم ؛ لقد تم كل ذلك قبل أن يلتحق المسلمون بالهلينية ، لقد تكونت ركائز الفكر الإسلامي وتشكلت ونبعت قبل هذا اللقاء . فلما جاء الفكر اليوناني المترجم نظر المسلمون فيه وأخذوا منه ورفضوا .

ولقد كان المسلمون في تطهيرهم إلى التراث اليوناني إنما يقصدون العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية ، ولم يكونوا في حاجة إلى الفكر ال اللاهوتي الذي يسمونه الفلسفة الإلاطية فقد كانت هي مما استغنى عنه المسلمون بالإسلام ، ولكن موجة الترجمة ما لبثت أن خرجت عن قواعدها التي رسست وسيطر عليها بعض الفساطرة الذين تدافعوا إلى ترجمة هذه الآثار فأحدثوا بذلك الآخر الخطير من البلبلة والاضطراب الذي تدافع المفكرون المسلمين حوله ، في محاولاتين : الأولى الملازمة بينه وبين التوحيد وهي محاولة فاشلة قام بها الكثيري والفارابي وابن سينا ، لأنها لم تتحقق شيئاً ولا أنها حين قامت لم تكن التصوص التي في أيدي أصحابها هي الأصول الحقيقة للفكرة اليوناني . أما المحاولة الثانية : فهي محاولة رد هذا الفكر اليوناني في مجال الإلهيات ردأ كاملاً ورفضه والثامن منطق الفكر الإسلامي من القرآن على النحو الذي استطاعه الإمام الجليل ابن تيمية .

ومن الحق أن يقال أن الفساطرة والسريان كانوا مزيجين مضليلين ، وأنهم لم يكونوا خالصي الوجهة للعلم فقد ثبت ، أن الفكر الذي نقل إلى المسلمين من اليونان والإغريق لم يكن صحيح الأصول بل كان صورة زائفة

دخلت عليها مفاهيم السريانية والنساطرة المترجمين وعفاندهم وكانت تهدف إلى خدمة مفاهيم دينية ، ومن هنا كان فسادها في أن تعطى الفكر الإسلامي شيئاً ، وأن هذه الترجمات « كانت تكسباً للمال لا حباً للعلم ، بالإضافة إلى استغلال الترجمة في الدعوة إلى تحالفهم ونصرة مذاهبهم » .

ومن هنا وقع الخطأ : خطر نسبة بعض الكتب إلى أرسسطو وهي لغيره أو لأفلاطون وهي ليست له ، ومن هنا فقد فسدت الدراسات التي حاول بها أمثال الفارابي الموافقة بين فكر ليس هو في الأصل لصاحبها ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن النساطرة واليعاقبة كانوا يحرفون الأصول التي بين أيديهم ، فيما يرونه خالفاً لدينهم ، وأن بعضهم الآخر كان ينصرف بالزيادة والتقص في النصوص ، يبدلون فيها ميلاً مع أهوائهم أو نصرة لمذهبهم ، عرفنا إلى أى حد كانت قيمة ذلك التراث المترجم .

(٢)

ولقد كان أرسسطو هو قصة هذا التراث وهو الذي أحبط بهالة ضخمة من الاهتمام ، هذا الاهتمام الذي جده (المليبيون الجدد) في العصر الحديث .

ولقد كان هناك قول أصبح من المسادات أن منطق أرسسطو هو قصة ما أخذ الفكر الإسلامي من اليونان .

ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً ، فإن منطق أرسسطو مستمد من المجتمع اليوناني الذي يختلف اخلاقياً كبيراً عن المجتمع الإسلامي ، وأذلك كان منطقه لا يطابق مجتمع الإسلام بل يتعارض معه .

« إن منطق أرسسطو يعبر تعبيراً دقيقاً عن المجتمع اليوناني العبودي

النفسم إلى سادة يتأملون وعيده يعملون : السادة هم الصورة والعيده هم المادة، ولكن المجتمع الإسلامي كان مختلف عن المجتمع اليوناني اختلافاً كبيراً دولته تقوم على الأخوة والمساواة وينطلق من نقطة النظر في السمات والأرض والعمل والتجربة ومن هنا اختلف منهج المجتمع الإسلامي عن مجتمع اليونان ، من جملة جوانب أهمها التوحيد ، وإلغاء العبودية ، والهارسة في مجال العلم وبذلك بدا ذلك التعارض الواضح والتباين العميق بين مجتمع ومجتمع وفکر وفکر .

خرج الفكر الإسلامي عن النظرة الأرضية التي ترى أن العلم لا يكون إلا بالكلى أما العلم الجزئي فليس علماً ، فتقدّم الفكر الإسلامي فطّم هذه القاعدة وبدأ الزعنة التجريبية من الجذنيات . وبذلك خرج المفكرون المسلمين عن المفهوم الأرضي للحد والتعریف واستطاع رجال الأصول والفقه أن يقيموا نظرية جديدة للتعریف تقوم على أساس الواقع ، وأدى ذلك الخروج عن حدود القياس الأرضي إلى الحصول على نتائج عملية ، وأصبح طابع الفكر العلمي الإسلامي هو طابع التجربة ، وفقد المفكرون المسلمين قياس أرسطو وقال عنه ابن خلدون أنه قياس ذهنى أما المسلمين فقد عرفوا ما لم يعرفه اليونان وخطوا أحطر خطوة في تاريخ البشرية وهي بناء قاعدة العلم الحديث نفسه تلك هي التوحيد بين التأمل والهارسة العملية . وأولى المسلمين اهتمامهم بالراحلة العلمية بين الأشياء وعلى هذه الرابطة بين الأشياء قامت التجارب وعلى هذه الرابطة العلمية (البحث عن الملة) أقام البيروني والرازي وجابر بن حيان وابن سينا تجاربهم العلمية وفي نفس الوقت قام المنهج العلمي في الفكر حيث فسر ابن خلدون حركة التاريخ وتطور العلاقات البشرية^(١) .

(١) راجع : على سایي النشار وعمود أمین العالم عبد الرحمن صرحاً وتوفيق الطويل في دراستهم عن العلم عند المسلمين .

ـ دو بهذه النظرة المتطوره لالسكون والإنسان : اختلاف الفكر الإسلامي
العربي اختلافاً كبيراً عن الفكر اليوناني المترجم وتناقض معه في مختلف
فروع الثقافة من علم وأصول وفقه وفلسفة عقلية ونظرة إلى الإنسان ولم
يكن هذا الاختلاف عابراً أو طارئاً ، وإنما كان نتيجة طبيعية لاختلاف
التكوين الاجتماعي للدولة العربية والحضارة اليونانية .

وبذلك ظهر الفكر الإسلامي في جوهره فكراً تحريرياً ، تجاوز منطق
أسطو وأطل على التجربة العلمية رابطاً بين التأمل النظري والمهارات العملية
وخرج بذلك على الفلسفة الأرسطية والأفلاطونية : خرج بالعقل التجربى
والمنهج العلمي الأصيل^(١) .

ولقد صور كثير من الباحثين أثر منهج أسطو فوصفه الدكتور قاسم
بأنه ، كان منهجاً عقائياً وأنه ضلل كثيراً من مفكري العرب ثم وقف حائلاً
دون ازدهار الحضارة العربية ويرجع عقمه إلى أنه كان خلواً من الخيال
ولم أنه كان أكثر اهتماماً بالقضايا العامة المجردة منه لدراسة التفاصيل
والجزئيات ، يستدل على صدق دعوانا وتواضعها بتاريخ النهضة الأوروبية
فإنها لم تتحرر من الجمود الذي فرضه عليها منهج اليونان إلا بعد أن عرفت
مناهج العرب في العلم والفلسفة ولنا أن نستشهد بربان نفسه ، ذلك أنه
يصف (روجر بيكون) بأنه الامير الحقيقى للفكر الأوروبي في القرن
الثالث عشر ، ويذهب أن قulum كيف جاءته إمارة الفكر ، إذ ليس في هذا
المجال خلق من العدم ، ومنيسير أن نكتشف سر أصالته ، إذا نحن بينا
أنه أول من نادى بمحاجة المنهج الأرسطوطاليقى في أوروبا ودعا إلى
اصطناع نهج العرب فهو يأخذ على معاصريه بأنهم يصبون لعناتهم على

(١) انظر : معارك فكرية وعلى سامي النشار .

الرياضة مع أنه من الممكن أن يبرهن بالرياضية على كل ما هو ضروري لفهم الطبيعة، ولو لا الرياضة لاستحال علينا أن نعرف أشياء هذا العالم معرفة صحيحة، تعود علينا بالنفع في الأمور الإنسانية والأمور الدينية أيضاً، كذلك يأخذ عليهم الاصناف عن استخدام الملاحظات والتجارب مع أن الطبيعة لا تكشف أسرارها إلا بدراسة الأمور الجزئية حتى تصعد بنا إلى القوانين الكلية.

وهكذا انتصر المنهج الإسلامي على المنهج الأرسطي وحطمه في عقر داره بعد أن حطمه في مجال الفكر الإسلامي نفسه.

فضلاً عن ذلك فإن هناك التناقض الواسع العميق بين الإسلام والفلسفة اليونانية، لقد احتقر اليوناني التجريب والتجربة وجاء منطق أرسطو أكبر معيار عن روح اليونان، ولم يستغل المسلمون بالجواهر والماهية والتصورات التي شهدت بها الفلسفة اليونانية وإنما اشتبهوا « بالخواص » وإدراج الخواص في نسق منهجي متكمال ومع ذلك فما زال هناك من أهل التبعية الفكريّة الغربيّة من يقول أن الإغريق أول من أوجد التفكير العلمي، وهو كلام برأس غير على.

إن الإسلام هو الذي وجه تيار الفكر نحو الخواص، ونحو التجريب وعبارة رسول الله في هذا الصدد بعيدة الآخر والمدى (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فهملوكوا).

ومع ذلك فإن الإسلام هو الذي حفظ الفلسفة اليونانية من الضياع فإن النصرانية لما دخلت اليونان خافت على الدين فنعت تدريس الفلسفة ودفنت كتبها في دهاليز في باطن الأرض حتى كشف عنها المسلمين.

ولقد صمّح المسلمون أنخطاء جاليتهم في الطب اليوناني وأخطاء

بطليموس وابقراط وأفلاطون في الرياضيات وعارضوا أخطاء أرسطو في المتعلق وبالرغم من أنّ الأغريق في النتاج الفلسفى إلا أنه لم يستطع أن يحدث تغيراً في مفهوم الإسلام للإنسان ورفض المسلمين رأى أرسطو ومفهومه في الألوهية وماوصل إليه من زيف واعتبر الكندي والفارابي وابن سينا - في مجال الفلسفة - بالرغم من الجهد الكبير الذي بذلوه لاقرار مفهوم التوحيد والتزكية وإقرار النبوة - اعتبروا بالرغم من ذلك كاه مجرد إمتداد للروح الهمبانية في العالم الإسلامي .

واعتبر الباحثون أن الفاسفة الإسلامية قد نجت من حميم اليمونة الإسلامية ، وأنه بعد معاناة علوم القرآن والحديث نشأ علم إسلامي أصيل هو [علم أصول الفقه] الذي أقامه الإمام الشافعى أول معارض لنitarian الهمبانية ، وأول من نبه إلى هذا الخطأ حين قال : ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا انترككم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو طالبيس .

ولقد قدم الإمام الشافعى « مباحث الأصول » لأول مرة : كعلم مفتقى الأجزاء له منهج عام يحدد للفقه العرائق التي يسلكها لاستنباط الأحكام .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرزاق صاحب هذا الفهم لأصلة الفلسفة الإسلامية : أن هذا الاتجاه من الشافعى هو إنتحاء العقل العلمى الذى لا يعني بالجزئيات والفروع بل يعني بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها . لقد دعا كل ذلك إلى اعتبار (الشافعى) في العالم الإسلامي وفي الدراسات الإسلامية مقابلًا لأرسطو في العالم الهمباني والدراسات اليونانية .

ـ كان الشافعى يعرف اليونانية وقد هاجم المنهج الأرسطى مهاجمة شديدة لا من الجانب السلاوي فقط بل ليحاجياها بوضع منهجه في الأصول الذي كان أساساً للمنهج الاستقرائي والتجريبي ، الذي تميزت به الثقافة الإسلامية

ومنذرتها والذى لولاه لسقط العلم فى العالم الإسلامى ، ولتأخرت نهضة
أوروبا بالعلمية الجديدة » .

، كان الشافعى برىء فكر الدين ، في اللغة العربية وفكـر (الفلسفة) في اللغة اليونانية ، كما يرى أن المـنطق الأـرسـطـى الذى يستند إلى اللغة اليونانية مـخـالـفـ لـلـمـنـطـقـ الـذـى كـشـفـ عـنـهـ عـلـمـ الـأـصـوـلـ الـذـى يستـنـدـ إـلـىـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـخـصـائـصـهـ . ولـقـدـ تـبـيـنـ لهـ أـنـ تـطـبـيقـ مـنـطـقـ اللـغـةـ الـيـونـانـيـةـ عـلـىـ مـنـطـقـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ يـؤـدـىـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ التـناـقـضـ ، ولـذـالـكـ هـاجـمـ الـمـنـطـقـ الـأـرسـطـىـ الـذـى أـخـذـ بـهـ بـعـضـ هـلـاءـ الـمـسـلـمـينـ كـالـفـارـابـىـ وـابـنـ سـيـنـاـ وـالـغـزـالـىـ وـابـنـ رـشـدـ إـلـىـ حدـ التـحـريمـ وـتـابـعـهـ فـذـلـكـ فـرـيقـ كـبـيرـ مـنـ فـقـاهـ الـمـسـلـمـينـ عـلـىـ رـأـيـهـ اـنـ تـبـيـنـهـ^(٤) .

ومن هنا فان المنهج الاستقرائي (العلى والتجريبي) على حد قول الدكتور النشار - هو المغير عن طبيعة الإسلام ، والإسلام في آخر تحليل هو تناسق بين النظر والعمل ، هذا المنهج بما فيه من روح الإسلام ونظرته قد أدخله العرب إلى العالم الأوروبي وبذلك فان المسلمين هم مصدر هذه المضمارة القائمة على المنهج التجريبي .

(۲)

جاء الإمام ابن تيمية خاتمة لهذا الخط الواضح القوى : الذي ظل المفكرون المسلمين يعملون له دون توقف في سبيل تحرير الفكر الإسلامي من هيمنة الفلسفة الاطلantية ، لقد كان شغل المسلمين الشاغل هو الرفض بالمحاج لشخصية الإسلام والحضاريات أن تذوب أو تتلاشى في شخصية حضارية أخرى ، وهو ما مكن المسلمين من الصمود في وجه القوة الغازية .

(١) الدكتور الشافعى : مناهج البحث عند مفكري الإسلام .

ولقد وصل ابن تيمية إلى قمة من القسم في هذا المجال في كتابة الرد على المنطقين ويعتبر ابن تيمية في رده على مناطقة البوذان أكثر تمثيل لروح الإسلام تجاه الملايين فقد انتقد المنطق الأرسططاليسي ولم يقف عند هذا بل استخلص للإسلام منطق يعبر عن خصائص العقلية وبحمل طابع حضارته .

ويعد الباحثون : « ابن تيمية ، الرائد الأكبر لكل الاتجاهات الحديثة والغربية في نقد (منطق أرسطو) من أرجانون فرنسيس باكون إلى المنطقية الوضعية ، وقد تطبع ابن تيمية المنهج الإسلامي الاستقرائي منذ نشأته على يد المسلمين حتى أوج نضجه ثم أضاف إلى عناصر هذا المنهج الإسلامي مناهج جديدة استحدثها هو مستنداً على روح القرآن والسنة . وكشف عن عقم عملية التلقيق التي قام بها الفارابي وابن سينا ورأى أن هدف التلقيق هو هدم الإسلام من الداخل ، وهاجم المتكلمين واتهمهم بمخالففة الكتاب والسنة وكشف عن ضعف آدائهم التي أرادوا بها مناظرة المخالفين وأهل البدع .

ووصل إلى نتيجة صريحة هي أن صريح العقل لا يمكن أن يكون مخالفًا لصحيح النقل ورفض رأى الرazi والغزالى القائل بتقديم العقل على النقل إذا تعارضا وعنه أن في ذلك خروج على أصل من أصول الإسلام ويؤمن بأن مهمة العقل هي تفسير الوحي والتعبير عنه .

(وبعد)

فإن الحقيقة الواضحة الصريحة أن الفلسفة البوذانية قد استطاعت أن تسيطر على المسيحية واليهودية ولكنها عجزت عن أن تفعل ذلك بالنسبة للإسلام وأن منهج البوذان مخالف لمنهج المسلمين ولأن البوذان انتصر على

التأمل . أما المسلمين فقد اقتحموا مجال التجربة وإن القرآن هو الذي هدّاهم إلى بناء المنهج العلمي التجاري .

ومن هذا فقد كان على الأصوات التي تدعى أن للميلانية في الفكر الإسلامي مكان أن تخرس وأن تتوقف بعد أن تكشفت الحقيقة على أيدي الباحثين في الفلسفة أنفسهم ، إن خصوصيتنا يحملون اسم الفلسفة على أنه معلم من معلم الحرية ولكنهم في الحق إنما يريدون به تحطيم مفهوم الإسلام الصريح القائم على الفطرة والتوحيد والذي ليس في حاجة إلى سلاح الفلسفة إلا على النحو الذي فيه الإمام ابن تيمية .

(٤)

الفلسفة المكتوبة باللغة العربية

هل عرفت طريق الأصالة ؟

ما زال أرنست رينان يردد في كتبه التي ما زالت تدرس في بعض الجامعات العربية : إن الفلسفة العربية ما هي إلا الفلسفة اليونانية مكتوبة بمحروف عربية ومنذ أن وصل أول باحث مستشرق لتدريس مادة الفلسفة في الجامعة المصرية القديمة : كونت دى جلارز افاد فاجأ تلاميذه العرب والمسلمين بأنه لا توجد فلسفة عربية وإنما هذه الفلسفة المنسوبة إلى (السكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد) هي فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية .

وقد أزعج هذا القول الكثير من الغبوريين وحملوا على هذا القول وقالوا :
بل هناك فلسفة عربية وأن دور السكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد لم يكن مجرد النقل وإنما كان لهم دور بناء .

وقد سار في هذا المنهج أحد لطفي السبد حينما ترجم باسمه كتاب

علم الأخلاق لارسطو طالبس ترجمة بارتلي سمير (١) الذي يقول في
الفقرة :

ـ من أن نقل كتب الفلسفة لم يكن مقصوراً على كتب أرسسطو فأن فلسفة أرسسطو هي التي غلت على الفلسفة العربية وطبعتها بطبعها والواقع أن الفلسفة العربية ليست شيئاً غير فلسفه أرسسطو طاليس طبعت بالطبع العربي وسميت الفلسفة العربية وبقيت صلة النسب بين الفلسفتين طيبة إلى حد أن الجامعات الأولى في العصور الأخيرة من القرون الوسطى كانت تدرس الفلسفة العربية باعتبار أنها فلسفة المشائين أي فلسفة أرسسطو .

وقد علق الدكتور صروف في المقططف (يناير ١٩٢٥) على هذا المعنى فقال: إن ما قاله الاستاذ (يعنى لطفي السيد) يؤيده الكتاب الاوربيون الباحثون في الفلسفة العربية واستشهد بما لقوله الاسكينز وليم واسن . أن ما يعرف بالفلسفة العربية ليس فيه من العربية سوى الاسم والله فانه فكر يوئاني منظم عبر عنه بلغة سامية وحور بالمؤثرات الشرقية وأدخل بين أهل الإسلام بوزارة الواسع الصدر من خلفائهم وبقى حيا بغيره جماعة من المفكرين الذين لم يخشوا من المجاهرة بأراءهم على أن أبناءهم أسامت بهم الظن وأضطهدتهم ثم ذكر لطفي السيد ما يراه سبباً في رجوع العرب والمسلمين والمصريين إلى فلسفة أرسطو فقال: وكان النهاية الأوربية الحديثة عدت إلى درس فلسفة أرسطو على نصوصها الأصلية فكانت مفتاحاً للتفكير العصرى الذى أخرج كثيراً من المواهب الفلسفية الحديثة فلا جرم أن ننخدع نحن من فلسفة أرسطو لاسيما أنها أشد المذاهب انتلماً مع مأثوراتنا والطريق الأقرب إلى نقل العلم إلى بلادنا ونافحه فيها رجاء أن ينتج في النهاية الشرقية مثل ما أنتج في النهاية الغربية .

(١) ما يزيد على المائة في دار الكتب المصرية يذكرون كيف قامت هيئة الترجمة بالدار بترجمة هذا الكتاب يوم كان طفلي السيد متولياً منصب مدبراً ١٩٢٠

وكان أن غلستة المعلم الأول خالدة ما حدها وطن ولا أخني عليها زمن
فقد بنت عليها كل مدينة صروح بمحدها العلمي حتى مدنيةنا الجديدة ..

هذا هو الاتجاه عام ١٩٢٥ في نفس العام الذي تحولت فيه الجامعة الأهلية
إلى جامعة رسمية وجامعة بطلق السيد فوصفه تلاميذه وأتباعه بأنه أستاذ الجيل.
وبناءً للجامعة وجاء طه حسين وغيره يدعون إلى اليونان وأرسطيو ..

فهل كان حقاً ، لطلق السيد ، أستاذ الجيل صادقاً فيما قال وفيما دعا إليه
العرب وال المسلمين من اتخاذ أرسسطو منطلقاً إلى النهضة الجديدة وكانت كتابات
طه حسين وغيره من بعد دعوة ملحة إلى هذا الطريق أم أن الأمر كان فيه
شبهة أو خدعة ؟

هل كان حقاً أرسسطو هو منطلق الحضارة الغربية في عصر النهضة
وما بعدها أم أن أول عمل قامت به هذه النهضة هو نفس أرسسطو وتزييفه
والحملة على منهجه وإعتبر منهجه عامل التجميد الذي عاش فيه الغرب معتقلًا
قرؤناً حتى جاء منهج التجريب الإسلامي الذي أطلق الطافات إلى عصر العلم
ال الحديث ؟ ندع هذا للباحثين لقد كان علماء المسلمين إنطلاقاً من القرآن هم
الذين أنشأوا المنهج العلمي التجاري الذي كان أول حجر في بناء الحضارة
والعلم بشهادة : درابر وبريفولت وجوسťاف لوبيون في القديم وسارتون
وهو نكهة وغيرهم في العصر الحديث وآخر كتاب في هذا الشأن هو انه :
(شمس الله تشرق على الغرب) وكتاب (أوربا ولدت في آسيا) .

إذن لم يكن لطلق السيد صادقاً ولم يكن عميد الأدب العربي الدكتور طه
حسين أمنياً حين نقلنا إلينا هذا المعنى ، ذلك أن المسلمين نقدوا أرسسطو أولاً
ثم جاء الغربيون فنقدوه في ضوء العرب ووفقاً له واتتسوا منهج المسلمين
الذي دفعهم إلى ذروه التكنولوجيا الآن ..

إذن فلماذا هذا التعارض ؟ يسأل عن هذا الاستشراف والاستهمار ، ذلك

فأناهم على حد تعبير الدكتور محمود قاسم : نقلوا المسلمين إلى أرض الطو ونقلوا أنفسهم إلى منهج المسلمين (جابر وابن الهيثم والبيروني) .

ذلك أن أرض الطو هو الذي يضع المسلمين مرة أخرى داخل القوامة المطلقة النايمالية المقلقة ويحررهم من ثمرات منهج التجربة الذي أنشأوه ونهاه الغرب .

وهكذا نجد أن هذا المتعلق على يد طه حسين وجماعة من أتباعه يتسع ويمتد حتى يقرر : أن العرب خضعوا لمنهج اليونان وأرض الطو في القديم ولما كان الفكر الغربي الحديث هو ثمرة فكر اليونان فإن قيمية المسلمين والعرب لا تعد شيئاً جديداً ولا غريباً لأنهم كانوا تابعين لليونان فلا عجب أن يتبعوا ما جدهم أحفاد اليونان . لم يكن أستاذ الجيل صادقاً إذن ، ولم يكن الدكتور طه حسين صادقاً في هذا ، فإن المسلمين لم يقبلوا أرض الطو ، ولم يعتقدوا فكر اليونان وإنما العكس هو الصحيح ، ذلك أنهم قلّوموه ونقدوه وأبانوا عن وجوه الخلاف العميق بينه وبين منعطف القرآن .

ولقد تصدى لهذا كثيرون من أبرزهم الغزالي وابن تيمية .

ولذا كان الخلاف ما زال واسعاً حول ما كتبه الفارابي وابن سينا وهل هو فلسفة إسلامية أو متابعة للمشائخ اليونان من المشائخ المسلمين فإن رجلاً كريماً ولـ قـسـمـ الـفـلـسـفـةـ فـكـلـيـةـ الـآـدـاـبـ هوـ الشـيـخـ مـصـطـفـيـ عـبـدـ الرـازـقـ قد فصل في هذا الأمر على نحو صحيح ومن خلال دراسات الجامعة نفسها وبالرغم من سيطرة طه حسين على كلية الآداب ، حين قال : أن الفلسفة الإسلامية إنما تلتمس في كتب المتكلمين والفقهاء وإن الإمام الشافعى واضح (أصول علم الفقه) هو أول الفلسفـةـ فـإـلـاسـلـامـ وإن مقامـهـ فـالـعـرـيـةـ هوـ بـعـثـةـ مـقـامـ أـرـضـ الطـوـ فيـ الـيـونـانـ .

وبذلك نشأت مدرسة الأصولية في مجال الفلسفة وأمتدت من بعد واتسعت وكان من أتباعها محمود الخطيبى ، ثم محمد عبد الحادى أبو ريدة ، وعلى سامي التشار .
(١٤٣ — المؤامرة على الإسلام)

ومنذ ذلك الوقت وقد صدر كتاب (تمهيد في تاريخ الفلسفة الإسلامية) عام ١٩٤٧ وقد كان منهجه قد تقرر قبل ذلك بوقت طويل فقد تحركت الفلسفة من التبعية الغربية وبررت مدرسة الأصالة فيها وهو ما يزال عسيراً في مجال الأدب والنقد الأدبي فإن التبعية لمذاهب النقد الغربي الوارد مازال آثراً .

ولقد أنتسب مدرسة الأصالة في الفلسفة الإسلامية (عبد الرزاق - أبو ريدة - النفار) أن المنطق الأرسططاليسي: منهج الحضارة والفكر اليوناني - لم يقبل في المدارس العقلية ، وأن المنهج التجاري الإسلامي هو الذي عرفته أوربا بعد قرون من مطلع حضارتها الحديثة مع ما ينتهى الحضارة اليونانية وأن اكتفاء وجود هذا المنهج لدى المسلمين يفسر روح الحضارة الإسلامية فالحضارة الإسلامية حضارة عملية تجارية تتجه إلى تحقيق الفعل الإنساني في ضوء نظرية حية ملبوسة .

كذلك فقد كففت الأبحاث المتعددة عن اضطراب خطير في المراجع التي اعتمد عليها الفارابي وباعتراف الدكتور محمد عبد الرحمن مرحباً : «أن الفكر الذي نقل إلى المسلمين من اليونان والإغريق لم يكن صحيح الأصول بل كان صورة زائفة دخلت عليها مفاهيم السريانية والنساطرة المترجمين وهقادهم وكانت تهدف إلى خدمة مفاهيم دينية ومن هنا كان فسادها في أن تعطى الفكر الإسلامي شيئاً ..» .

ومن ناحية أخرى فقد تبين أن المقاومة الفلسفية اليونانية وذهب أرسطو بالذات قد بدأت منذ أن تمت الترجمة وأن المعارض بدأ من ذلك اليوم الأول ، ذلك أن الفكر الإسلامي قد تم تشكيله قبل الترجمة على أساس قيمة القرآنية من التوحيد والأخلاق ومن الربط بين الوحي والعقل ولذلك فإنه كان من العسير أن تنصهر فيه الفلسفة اليونانية أو ينحصر فيها . خاصة وهي فلسفة

مجتمع وتنى قام على العبودية وإعلام العقل وبعبادة الجسد فضلاً عن محاذير الترجمة من فساد واتصال وتحريف نصوص وإن كانت طانقة من الفلسفة أطلق عليهم اسم المشائين المسلمين قاماً بمحاولة شامة وعسيرة لإدخال الفلسفة اليونانية في إطار الإسلام فإن المحاولة فشلت تماماً . وكانت وقفة الفرز الـ في وجه الفلسفة الـ الأطهـة اليونانية ووقفة صارمة ردت السيف إلى صدور أصحابه فقد كشف عن الفرق بين الفلسفة الرياضية والفلسفة الطبيعية وبين الفلسفة الأطهـة ورفضـ الأخيرة لأنـها مـتعارضة مع التوحـيد وأعلنـ أنـ الكلامـ في الطبيعـيات برـهـانـ أمـاـ فيـ الأطـهـياتـ فهوـ تخـمـيفـ .

وفي الفلسفة الـ الأطـهـة مـارـضـ الفـرزـ الـ إـلـيـانـ القـضاـياـ الـ كـبـرـىـ الـ ثـلـاثـ الـ تـقـرـهـاـ الـ فـلـسـفـةـ الـ يـونـانـيـةـ وـتـخـنـافـ معـ مـفـهـومـ إـلـاسـلامـ :ـ ماـ يـقـولـونـ بـهـ مـنـ قـدـمـ الـ عـالـمـ وـأـنـ أـنـهـ (ـ جـلـ وـحـلـ)ـ لـاـ يـحـبـطـ عـلـمـ بـالـجـزـنـيـاتـ وـإـنـكـارـمـ الـ بـعـثـ .ـ

وهاجـمـ الـ فـلـسـفـةـ الـ دـيـنـ جـهـدـواـ الصـانـعـ وـزـعـمـواـ أـنـ الـ عـالـمـ ذـئـيمـ كـالـدـهـرـيـةـ وـالـزـنـادـةـ .ـ وـالـدـيـنـ قـالـواـ أـنـ النـفـسـ تـمـوتـ وـلـاـ تـعـودـ وـمـنـ أـنـكـرـواـ الـآخـرـ .ـ

هـذـاـ وـقـدـ كـفـفـ الـإـمـامـ الـ فـرزـ الـ إـلـيـانـ الـ فـلـسـفـةـ الـ فـارـابـيـ وـابـنـ سـيـنـاـ وـجـهـةـ أـخـرىـ ،ـ أـشـدـ خـطـورـةـ حـيـنـ عـرـفـتـ صـلـاتـهـمـ بـالـدـعـوـاتـ الـ باـطـنـيـةـ الـ هـدـامـةـ وـإـخـوـانـ الصـفـاـ وـغـيـرـهـمـ مـنـ الـ دـيـنـ كـانـواـ عـلـىـ اـنـصـالـ بـأـعـدـاءـ الـ دـوـلـةـ إـلـاسـلامـيـةـ مـنـ قـرـاطـةـ وـغـيـرـهـمـ .ـ

ثـمـ جـاهـ إـبـنـ تـبـيـعـةـ فـاستـحـالـتـ غـرـبـاـ فـأـفـقـدـ كـفـفـ فـيـ كـتـابـهـ (ـ الرـدـ عـلـىـ الـ مـنـطـقـيـنـ)ـ عـنـ أـنـ الـ فـكـرـ إـلـاسـلامـيـ لـهـ مـنـطـقـ خـاصـ مـسـتـمـدـ مـنـ الـ قـرـآنـ وـالـ سـنـةـ ،ـ وـقـدـ اـسـتـخـرـجـ مـنـهـمـاـ هـذـاـ الـ مـنـطـقـ الـ جـدـيدـ الـ ذـيـ سـيـاهـ الـ مـنـطـقـ إـلـاسـلامـيـ .ـ وـقـالـ أـنـ هـذـاـ الـ مـنـطـقـ كـانـ فـيـهـ غـنـيـ لـلـحـسـلـيـنـ مـنـ الـ عـقـلـيـةـ الـ يـونـانـيـةـ فـيـ الـ حـكـمـ عـلـىـ الـ أـشـيـاءـ وـفـيـ الـ اـسـتـقـصـارـ وـالـ تـأـمـلـ الـ فـلـسـفـيـ ،ـ وـرـدـ عـلـىـ الـ مـنـطـقـيـنـ الـ دـيـنـ اـسـتـحـكـمـتـ فـيـ عـقـوـلـهـمـ .ـ

آثار الفكر اليوناني وطوابعه وعزلتها عن الاقتباس من فلسفة القرآن والحديث النبوي ومنطقهما . وعما قاله : أن ما عند آئمه التizar من أهل الكلام والفلسفة من الدلائل المقلية فقد جاء القرآن بما فيها من الحق وما هو أكمل وأبلغ منها على أحسن وجه منه من الأغالب الموجدة عند هؤلاء .

ويقول الدكتور النشار : كان ابن تيمية رائداً لكل الانتماءات الحدبية في نقد منطق أرسطو من أرجانون فرنسيس ييكون إلى المنطق الوضعية وقد عني بنقد فلسفية الإسلام كالفارابي وابن سينا وابن رشد وكل من وافقهم في التشريع لمنطق أرسطو وأشار إلى عيوب حاولتهم وعمق تجربة التأليف عند (الفارابي وابن سينا) بين الإسلام والأفلاطونية الحمدلة . وزرأ أن هدف التأليف هو هدم الإسلام من الداخل .

ومما عرف في هذا المجال وهو كثير : كتاب (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) بقلم محمد بن إبراهيم الوزير الحسني البغدادي الصنفاني المتوفى ٨٤٠

وبعد فإن مدرسة الأصالة كان لا بد أن تواجه المدرسة التي ماتزال تتميل من شأن المدرسة اليونانية والتي تبلورت بعد في مناقشة الدكتور النشار لآراء الدكتور إبراهيم بيومي مذكور في كتابه (في الفلسفة الإسلامية) وقد بدأ الدكتور مذكور وكأنه متابع لمنهج اتفى السيد وطه حسين ويري مذكور أن أرجانون أرسطو أثر في مختلف المدارس كلامية وفقية وعلمية وفلسفية^(١) يقول الدكتور النشار : أن المنطق الأرسطاليسي قد نقل إلى العالم الإسلامي وأثر فقط في المدرسة المشائية الإسلامية وبقيت المدارس الأخرى المنبثقة

(١) أثبت عكس هذا الرأي : الدكتور النشار في كتابه (مناهج البحث عند مفكري الإسلام) .

عن نظام إسلامي بعيدة كل البعد عنه ، تجاهله وتجاهده وكانت قد وضعت
منطقةً مختلفةً عام الاختلاف في روجه وجز نياته ، الدكتور مذكور لا ينكر
وجود هذا المنطق الإسلامي ولكنه يرى أنه كان لمنطق أرسطو أثره الكبير
في العالم الإسلامي . ولست أرى هذا على الإطلاق .

أن سيادة منطق أرسطو إنها بدأت حينما تداعى الفكري الإسلامي في القرن
الخامس فاختلط بعلم يوان ولكن ذلك لم يوافق دوائر الفقهاء المتأخرین
ولم يوافق متكلمي الأشاعرة من ناحية ومتكلمي السلف من ناحية أخرى
على استخدام هذا المنطق خاربوه أشد الحرب .

ويرى الدكتور مذكور أن محاولة الفلاسفة نجحت وأضفت على تاريخ
الفلسفة أضواءً جديدةً ويقول الدكتور الشار أن هذه المحاولة كانت غربيةً
عن روح الإسلام وعن تفكيره وعن منهجه العام ، وأن فلسفة الإسلام
إنما تنبثق من الإسلام نفسه : عن القرآن وعن السنة لاعتبر محاولة للتوفيق
والتفسيق والتلقيق وأن فلسفه الإسلام المعاصرين قد ابتعدوا عن الإسلام
روحًا ونفسًا ، وعن المجتمع الإسلامي فكراً وعقيدةً وحياةً ، وأن الفلسفة
المعاصرة ماتت في العالم الإسلامي منذ مهد بعيد ولم تتم العقائد الكلامية حتى
هدتها هنا ولكن الشار ينصف مذكور فلا يجهله تابعًا لمدرسة لطفي السيد
وطه حسين فيقول ليس الدكتور يومي من مدرسة الفلسفة اليونانية التي رأت
في فلسفة اليونان (غاية الغايات) وأن إليها يعود كل فكر ، ولم ير الدكتور
مذكور على الإطلاق أن فكرنا المعاصر ينبغي أن يرتبط بفلسفة أوروبا
وحضارتها تحت تأثير الدعوة الخاطئة التي قدمتها (مدرسة طه حسين) على
مسرح تفكيرنا ، أنه مadam أسلفنا قد أخذوا بفلسفة اليونان وبها أن فلسفة
أوروبا وحضارتها هي امتداد لهذه الفلسفة فعليها إذن أن تأخذ من هذه المدرسة
الأوروبية كل شيء .

(٥)

تجديد التفسير الباطني للقرآن

وقد جرت محاولات لقول في تفسير عصرى بأن عذاب جهنم ليس على حقيقته المchorة في نصوص القرآن إنما هو ضرب من الاخافة والترهيب يقول الدكتور محمد سعاد جلال أن هذا كلام هدام للإسلام يجب أن تخذله الأمة حفاظاً على كيان دينها وأصل وجودها في وجه هذه الاتهامات الشداد المتداقة عليها من كل بلد اندفاع السبيل والمراد بهذه الدعوة الخطأة والتفسير الآثم هو إشاعة الإباحية والجريمة في الناس بانتزاع فكرة العذاب الآخرى في نفوسهم الذي هو عنصر هام من عناصر إحياء الضمير وردع أهواء النفس من الشرور والآثام، والدعوة للإباحية المطلقة والتحلل من ضوابط الفضائل النفسية والجنسية أصبح هدفاً أيدلوجياً لبعض الفلسفات المعاصرة كالوجودية وغيرها فالقائلون بعدم كون العذاب الآخرى حقيقة إنما يعملون بدهائهم الخاص لتمرير هذه الفلسفات المدama للقضاء على روح الأمة وإفساد معنوياتها النفسية والمقدانية والأمة أشد ما تكون حاجة وهي تصارع في معاركها المعتدلة إلى الاحتفاظ بهذه المقومات التي هي منابع طاقتها المناضلة وحماية نفسه وهذا يحدد دور التغريبي الذي كانت تقوم به الشعوبية لمدم الإسلام من باطنها بالعمليات الفكرية المضادة لفاهيمه وأسسه في صدر الدولة العباسية ، أن البوذية والبرهمية تذهبان لقول بعدم وجود عذاب آخرى وبعض الأديان الكتابية الأخرى تذهب إلى أن عذاب الآخرة معنوى لا حسى على حكس ما يرى المسلمين . هذه محاولة لاحتواء الإسلام وإنتصاف خلته من نفوس المسلمين وحياتهم بتغيير مفاهيمه الجماع

عليها ونعطيه فصوصه من الدلالة على ممانعها الموجدة بها وهم قد أبطلوا بمذهبهم هذا قضية الثواب والعقاب على الاعمال وأبطلوا تبعاً لذلك مفعولية التكاليف الشرعية والتزام العمل بها لأنها مناط التكاليف الشرعية والتزام العمل بها فإذا بطلت حقيقة الخطاب بالثواب والعقاب على فعل التكاليف وتركها فقد بطلت حقيقة التكاليف الشرعية نفسها وهل الإسلام إلا هذه التكاليف من الأمر والنهي ولو ازدهرها من الثواب والعقاب فإذا بطلت بطل حكم الإسلام كله . أما بالنسبة للقرآن الكريم فبعد القاطع بكونه تزيلاً من حكم حميد يمتنع الإعراض في أحکامه وأخباره ويجب أن تتلقاه التقو من بالإذعان والقبول وإنما التسلیم له لأنّه - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - فهو حق وصدق وسلامة منطق وصحة أحکامه . أما بالنسبة للمخالفين فإن ضمان العمل بالشريعة الذي هو أصل تربية الأمة على الاصلاح وارتقاءها على مدارج الفلاح وإنما هو في التحذير الحقيقى للمخاطبين بالشريعة من خالفة الأمر والنهى بحسب الوعيد لهم على المخالفه بعذاب الجحيم .

ويصور الدكتور محمد سعاد جلال أن هذا العمل على أنه جزء من خطة احتواء الإسلام فيقول أن الإسلام يواجه صراعاً تاريخياً حاداً وظالماً من ألم في الأرض جعلت نفسها بغير الحق في جانب عدواته والكيد له . تستطيع أن تتصور الإسلام حصنًا متيناً شاعناً وفي داخله أقواماً من الناس يعيشون بعمران خاصة وفقاراً وفقر وفقراء وهذا التراث الديني - لا القومي - هو حل الله المبين الذي يربط بين هذه الجماعات الإنسانية ويصنع منها وحدة صلبة توكل لاصحاحها ووحدة العمل والبناء وتمكّنهم طاقات النضال وقد تمكّن الذين اختاروا لأنفسهم عداوة الإسلام بغيها بغير الحق بصبرهم وذكائهم وشدة إخلاصهم لمعتقداتهم ثم بتغريب المسلمين وانقسامهم على أمرتهم أن يكسروا حصن الإسلام الظاهري باستعمار أكثر بلاد المسلمين ، المهم أنهم

وأفسوا بعكاظ من سلطانهم بحيث لا يفلت من قبضتهم أن أرادوا اثنى ولتكن
كسر قترة حصن الاسلام الظاهره - أعني لاستعمار امة وإحتلال اراضيه
لم يكن شأنه أن يؤدي للغاية الاصلية منه وهي التخلص من سلطان
الاسلام العالمي كفـكر ودين وأيديولوجـية ، وما دامت بـطـانـة هذا الحصن
من العقـادـنـ والأـحـكـامـ باـفـيـةـ بيـنـ المـسـلـيـنـ فـاـنـ (ـدـيـنـاـمـيـكـيـةـ)ـ هـذـهـ العـقـادـنـ والأـحـكـامـ
كـفـيـةـ إـذـاـ تـفـاعـلـتـ فـيـ نـفـوسـ المـسـلـيـنـ أـنـ تـعـيـدـ هـمـ مـرـةـ زـانـيـةـ بنـاءـ الطـبـقـهـ الـظـاهـرـهـ
المـكـسـورـهـ منـ خـصـمـمـ العـبـدـ .

إن مـكـمـنـ القـوـةـ الفـاعـلـهـ وـمـادـهـ الـبـنـاءـ الذـىـ يـرـادـ بـهـ التـطاـولـ وـالـشـوـخـ
تـسـقـرـ فـيـ قـلـبـ الإـسـلـامـ باـعـتـارـهـ عـقـيـدـهـ وـفـكـرـ وـنـظـامـاـ اـجـتـمـاعـيـاـ وـماـ دـامـ هـذـاـ
الـحـصـنـ الـمـعـنـوـيـ قـائـمـاـ فـيـ نـفـسـ الإـنـسـانـ المـسـلـيـنـ فـمـ هـوـ الـحـصـنـ الـأـكـبـرـ الذـىـ
لاـ يـأـتـيـ عـلـيـهـ الـدـهـرـ ،ـ ثـالـقـصـودـ لـلـتـخلـصـ مـنـ وـجـودـ الإـسـلـامـ هـوـ إـدـخـالـ التـغـيـيرـ
وـالـتـحـرـيـفـ عـلـىـ مـعـانـىـ نـصـوصـ الإـسـلـامـ وـإـدـخـالـ التـغـيـيرـ وـالـتـحـرـيـفـ عـلـىـ مـفـاهـيمـ
الـعـقـادـنـ الإـسـلـامـيـةـ وـالـأـحـكـامـ الإـسـلـامـيـةـ بـحـيثـ يـقـعـ ذـلـكـ كـلـهـ مـوـقـعاـ قـرـيـباـ مـنـ
الـأـدـيـانـ الـأـخـرـىـ الـقـىـ يـرـيدـ هـاـ أـصـحـابـهاـ الـأـنـقـادـ مـنـ دـوـنـهـ بـفـكـرـ جـيـعـ الـبـشـرـ
وـاعـتـقـادـمـ ،ـ وـبـحـيثـ يـوـدـيـ هـذـاـ الـقـرـبـ إـلـىـ نـسـيـانـ المـسـلـيـنـ وـتـجـاهـلـهـمـ بـحـقـائـقـ
دـيـنـهـمـ الـأـصـيـلـهـ الصـحـيـحـهـ وـاتـقـاـلـهـمـ عـنـهاـ إـلـىـ هـذـهـ الـمـفـاهـيمـ الـمـتـغـيـرـهـ الـجـديـدـهـ الـقـىـ
تـنـقـلـهـمـ بـطـبـيـعـتـهاـ الـمـنـحـرـفـهـ الـمـتـغـيـرـهـ إـلـىـ الـأـيـنـاسـ وـالـتـذـوقـ لـحـقـائـقـ وـمـفـاهـيمـ
الـأـدـيـانـ الـأـخـرـىـ الـقـىـ شـدـواـ إـلـيـهـاـ مـنـ أـوـلـ الطـورـ بـتـزـيـيفـ حـقـائـقـ الإـسـلـامـ
وـتـغـيـيرـ مـفـاهـيمـهـ فـيـ الـعـقـادـنـ وـالـأـحـكـامـ ،ـ ثـمـ إـذـاـ وـصـلـ الـمـسـلـيـنـ فـيـ الشـوـطـ قـبـلـ
الـآـخـرـىـ مـنـ الـأـيـنـاسـ وـالـتـذـوقـ لـحـقـائـقـ الـأـدـيـانـ الـأـجـنبـيـةـ وـالـمـنـابـذـةـ الـلـاـسـلـامـ
وـالـمـصـارـعـهـ لـهـ فـيـ الـتـارـيـخـ الـمـعـاصـرـ أـمـكـنـ شـدـمـ بـعـدـ ذـلـكـ بـعـثـتـهـ السـوـلـةـ وـالـبـسـرـ
إـلـىـ تـهـامـ مـرـاحـلـ الـعـمـلـيـةـ الـمـنـظـمـةـ يـاـ خـارـجـهـمـ مـنـ دـيـنـهـمـ وـإـدـخـالـهـمـ فـيـ الدـينـ
الـجـديـدـ الـقـىـ إـدـخـالـهـمـ فـيـهـ مـنـ أـوـلـ مـرـاحـلـ الـعـمـلـيـةـ .ـ نـعـمـ إـنـ هـذـهـ عـلـيـهـ طـوـيـلـهـ
وـصـعـيـةـ التـنـاوـلـ وـالـمـهـارـسـهـ وـتـعـتـاجـ إـلـىـ زـمـانـ طـوـيلـ وـلـكـنـ تـجـارـبـ الـتـارـيـخـ

من خصوم الإسلام في السعيد له تعلينا أنه لا يوجد في تحطيمهم عن الإسلام شيء يقال عنه أنه صعب ، لقد بدأ خصوم الإسلام الأذكياء ذوى الكفاية المذهبية الرائفة المنظمة أروع تنظيم إلى بده هذا الخطط منذ زمن قديم جنباً إلى جنب مع خطط ضرب الإسلام عسكرياً من أول يوم من أول ظهوره وفي كل مكان وصل إليه في الأرض لكن تركيزهم على ملقي الحرب العالمية الأولى كان منصباً على ضرب الإسلام عسكرياً بالدرجة الأولى . حتى إذا أسقطوا دولة الخلافة الإسلامية ووضعوا أيديهم على البلاد التي تعتبر قلب الإسلام وهي مصر وفلسطين ، انتقل تركيزهم بالدرجة الأولى إلى عملية الاحتواء الفسكي ، هذه يستخرون فيها أناساً من المسلمين أنفسهم إما بطريق الاستهواه والاقناع الفسكي لمن صحف اعتقادهم وتفقفهم الإسلامي وإما بالاغراء بالمنافع العاجلة واستثمار ضيائتهم وأفلاطهم بالمعنى الجزيل واستغلال حاجة بعض الناشئين الفقراء وضوع ثقوبهم في قالب التربية الخاصة تزهّلهم إذا كبروا وأصابوا مراكز مرموقة في الدولة عسكريين لهم من الفعل والخدمة أن يقدموا لمريديهم هؤلاء في مضادة الإسلام بهذا الدور الخطير .

(٦)

صاحب الزنج والخلج

حاولت حركة المؤامرة على الإسلام إبعاد مقاوميه زانقة في محاولة لإحياء الشعوبية والفسكر الباطنى على أن حركة الزنج والفرامطة حركات عدل اجتماعى .

وكان صاحب الزنج والخلج في مقدمة الشخصيات التي ركزت عليها وقد استطاعت حركة اليقظة الإسلامية والأصلحة أن ترد هذه المفاسد للرأفة

ونكشف وجه الحق في دعوى أن الحلاج كان مصلحاً اجتماعياً أو داعية إلى المدل الاجتماعي أو أنه قتل في سبيل تحرير ريق الأرض ولقد هن لويس ماسينيون بأخبار الحلاج أربعين سنة يبحث عنها ويحللها ويعيد طبعها ويضع سموها بين أيدي المثقفين في هذا العصر ، حريصاً أشد الحرص على أن ينفي الصفة بيته وبين الفراملة وقد واجه الدكتور محمود قاسم هذه القضية وكشف وجه الحق فيها قال : بدأ ماسينيون شديد الحرص على نفي الصفة بين الحلاج والفراملة وظل يؤكد أن هذا المنصوف لم يكن داعية سياسياً بل انتهى به الحب الألهي إلى التضحية بنفسه على مذبح الحب كذلك يؤكد لنا دون ملل أن الحلاج كان متعمداً سنياً أراد تعميق الروح الدينية في بيته جفت هاطفتها الروحية وتمسكت بقشور الدين دون لبه وقد ظن ماسينيون وبعض تلاميذه أن الحلاج الذي قال بحلول الله فيه يعد جسراً بين المسيحية والإسلام السني ومع ذلك فإن هذا الحرص الشديد على نفي الصفة بين الحلاج والفراملة قد يزدّن على عكس ذلك بوجود هذه الصفة بيته وبينهم ، وقد اعترف ماسينيون في موطن مامن كتابه عن الحلاج بأن موقف هذا المنصوف من فريضة الحاج كان سبيلاً في إدانته ومصرعه وأنه جرمه من أفضليتها وقد استها ما شجع الفراملة على مهاجتها والفتنه بالحجاج ودم السكمبة وزرع الحجر الأسود منه ثم إرساله إلى هجر حيث بقي هناك نحواً من اثنين وعشرين سنة فلم يعد إلى موضعه إلا بعد أن استقرت الدولة الفاطمية وبعد أن ثبت الحكم الفارسي في بغداد بدلاً من الحكم العربي .

عاصر الحلاج حر كتين شعوبيتين هامتين مما ثوره الرنج وثورة الفراملة وربما تكشفت لنا خيوط تربط إحدى هاتين الثورتين بالآخرى وذلك أسر يتسق على طبيعة الأحداث التاريخية والاجتماعية . ويمكن القول بدأه بأن القرن الثالث الهجري شهد عدة حركات سياسية ترمي إلى تقويض الدولة العباسية والتهديد لدولة علوية ، بعد أن فشلت جهود القرن الثاني في نقل الخلافة من الأمويين إلى آل البيت .

وكان من الطبيعي أن تصطبغ هذه الحركات بصبغة دينية جلباً للأنصار من المانقرين على الدولة العباسية وربما كانت هناك دوافع اجتماعية وسياسية وعصرية توجب الحقن على أصحاب هذه الدولة ، ولكن سارت الثورات السياسية جنباً إلى جنب مع ظاهرة دينية إذ كان ادعاء النبوة أو الربوبية أمراً مألوفاً في تلك الحقبة الفاضحة من تاريخ الدولة العباسية التي بدأت تتحلل لست هم أظهر عصر الدوليات الصغيرة منذ أواخر القرن الثالث بصفة خاصة .

إذن لم يكن الحسين بن منصور الحلاج أول من ادعى الألوهية ولا آخرهم ، فقد سبقة كثيرون كما تبعه آخرون فيما بعد ، وبعدهم كان من تلاميذه وفقيه أبي عمر الذي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري .

ساعد صهف السلطة المركزية في بغداد على تتابع الفتن فيها ثم عمل نجاح ثورة الزنج الذي بدأت في ٢٥٥ واستمرت نحو من خمسة عشر عاماً وقد بدأت هذه الحركة تمحض لافتة دينية إذ قام بها رجل تظاهر بالدعوة إلى آل البيت وهو محمد بن عبد الرحيم ولاد في الطالقان بخراسان وهي المنطقة التي كان يجوب فيها دعوة الإمامية الفاطمية من أبناء ميمون القداح والتي جال فيها الحلاج أيضاً - بدأت الحركة بمعجم صاحب الزنج من خراسان وقد ادعى هذا الرجل أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى من أبناء الحسين ، ونجح في كسب ثقة الزنج تاجستموا حوله ثم اتجه إلى البحرين التي ستكون من أم المراكز القرمطية فيها بعد فاتحه جماعة كبيرة من أهلها وغيرها ادعى لنفسه النبوة وزعم أن الوحي ينزل عليه . ثم انتقل إلى البصرة ومنها إلى بغداد فزعم أنه ظهر له آيات وتلك هي التكرامة التي نسبها الحلاج إلى نفسه أو نسبها إليه أصحابه فيما بعد وقد استطاع صاحب الزنج استالة جماعة من بغداد

ثم انتقل هو وأتباعه إلى البصرة في سنة ٢٥٥ أعا صاحب الزنج فقد اختار
البصرة سريراً له بعد أن عزل واليها ثم أخذ يستدرج العبيد وكون منهم
جماعات نصب على كل جماعة فيها رئيسيّاً من بينهم وكان يعدم الجنة فاجتمع
لهذه عدد كبير من غلبهن أهل البصرة الذين أقبلوا عليه خلاصاً من الرق
والتنب ولاقى أمره سار إلى القادسية ونهرها هو وأصحابه ثم عاد بهم
وهاجم البصرة ووضع في أهلها السيف بعد أن هزم جيشها فقتل من أهل
البصرة خلقاً كثيراً وقد رسم المسعودي صوراً بشعة لـ مكارنة البصرة في قول
واختفى كثير من الناس في الدور والآبار فكانوا يظهرُون بالليل فيأخذون
الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والقيران والستانيير فاقتربوا فكانوا إذا مات
منهم الواحد أكلوه . وهكذا لم تلب حرفة الزنج إن كشفت عن وجهها
الحقيقة فبيعت النساء من نسل الحسن والحسين والعباس وغيرهم من الهاشميين
والقرشيين في أسواق الرقيق وكان من صادرة صاحب الزنج أن يقتل الأسرى
فأثار الرعب فكانوا بعض المدن تسلم حصونها بدون قتال كما فعل أهل عبادان
وقد دخل الأهواز وخر بها ثم أحرقها ولم يكن يحترم وعداً أو عهداً مع
أعدائه ، وذلك أنه لما دخل البصرة (أقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة
السبت ويوم السبت وما طلب أهل البصرة الأمان منهم فلما تجمعوا في دار
حددت لهم خدرتهم وأمر أصحابه بقتلهم وأحرق البصرة في عدة مواضع ،
وهذا هو ما فعلوه بمدينته واسط عندما دخلوا إليها سنة ٢٦٤ هـ ، هزمهم
أبو العباس الموقر المزيمية الأولى ٢٦٧ .

ثم كتب إلى صاحب الزنج كتاباً يدعوه فيه إلى التوبة ولكن الناز لم
يستجيب خاصراً الموقف مدينة التي سماها (المختارة) وضيق عليها الحصار
ولهذا نادى الناس في أعران صاحب الزنج فأخذ هؤلاء يتسللون إلى المدينة
المحاصرة ومن بينهم بعض القرواد كانوا يطلبون الأمان من الموقف فأمنهم
وظل يحاصر المدينة حتى اشتد الجوع عن فيها وأخيراً اقتحم الموقف المدينة

المحاصرة وأحرق قصورها وأنقذ النساء والأطفال واستطاع القضاء على ثورة الزنج سنة ٢٧٠

ثم مالبثت أن نشبّت ثورة جديدة بعد وفاة الموفق ٢٧٨ ونفي بها ثورة القراءمة التي امتدت قرناً من الزمان وقد أتهم الحلاج بأنه من كبار دعايتها والمرجوين لها تحت ستار من التصوف وأدعاه الألوهية إلى جانب المناداة بياطىء فرائض الإسلام من صلاة وصيام وحج وذكارة وتوحيد أيضاً وقد حاول ماسينيون جاهداً أن ينفي عنه التهمة السياسية وأن أقر بأن الحلاج نادى ياساط التكاليف وبأن الولي عنده أعلى مرتبة من النبي وله أن يفسخ الشريعة وأن يقرر عبارات جديدة وعلى الرغم من الفاصل الزمني بين نهاية ثورة الزنج وبداية ثورة القراءمة فإننا نجد أنفسنا في الواقع أمام ثورة متصلة أجيد خطبها والإعداد لها بصورة منقارية.

ومن المؤكد أنه كانت للقراءمة (أيديولوجية) دينية لا تنسق مع ما يعرفه المسلمين عن دينهم سنة كانوا أم شيعة فقد أدعى القرمطي الأول أنه داعية المسيح وأنه عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو جبريل ويتهم هذا الخاطئ المغيب عن الطابع التأفيقي لل MASONIE والقرمطية والباطنية بصفة حامة.

ويخبرنا ابن الأثير أن قرمطاً اتصل بصاحب ثورة الزنج قبل مقتله وأخبره أن معه مائة ألف ضارب بالسيف ولكن لم يتطرق الرجلان لبعض الفروق المذهبية وعلى الرغم من هذه الفروق المذهبية فقد انفتحت أساليب الطائفتين إلى حد كبير من سبي النساء والجواري وقتيل الأمرى والسلب والنهب.

كان أسلوب القراءمة امتداداً لأسلوب صاحب الزنج.

ويبدو أن الحلاج الذي كان يجوب خراسان منذ سنة ٢٨٥ هجرية لفترة امتدت نحوأ من خمس سنوات كان شديد المفهـة في ظهور المهدى المنتظر

يقسم سنة ٢٩٠ هجرية وهي السنة التي كان يقسم بها بعض دعاء القراءة في خراسان أيضاً وهذه السنة هي التي تلصب فيها نورة القراءة أوجهها من العنف وبعض علـ الحلاج ٣٠١ و يقول ابن الأنبار أنه كان مشعبداً في قول بعضهم ومعه صاحب له غقيل أنه يدعى الربوبية وفيما بعد قال الإمام الجوزي إمام الحرمين أنـ الحلاج كان من دعاء القراءة وأنـه اتفق هو الجندي وابن المقنع على إفساد عقائد الناس وتفرقوا في البلاد فكان الجندي في مصر والبحرين وابن المقنع في بلاد الترك ودخلـ الحلاجـ العراق وإنـ كانـ الحلاجـ لمـ يجتمعـ فيـ مصرـ غيرـ أنـهمـ لمـ يكنـ لـقتلـ أبيـ سعيدـ الجنـديـ ولاـ رـبـةـ منـ أـكـابرـ رـؤـسـاءـ القرـاءـةـ عـلـيـ بدـ أحدـ خـدمـهـ مـنـ الصـقالـبةـ فـيـ سنـةـ ٣٠١ـ تـأـثيرـ كـبـيرـ فـيـ حـرـكةـ القرـاءـةـ الـتـيـ مـدـتـ سـلطـانـهاـ عـلـ هـجـرـ وـ الإـحـسـاءـ وـ القـطـيفـ وـ الطـافـ وـ سـاـرـ بـلـادـ الـبـحـرـينـ .

وأخذ القراءة يقطعون الطريق على الحجاج بعد خروجهم من مكة.

والذى يعيينا هنا أن نفسر عزف القراءة في محاربة الحجاج والفتنهـ لهمـ ، وسنرىـ كيفـ اضطرـ مـاسـينـيونـ رغمـ عـمـارـلـاتهـ العـدـيدـةـ إـنـكارـ الـصـلةـ بـيـنـ الحـلاـجـ وـالـقـراءـةـ أـنـ يـعـرـفـ بـأـنـ الـحـلاـجـ كـانـ يـرـيدـ إـبـطـالـ فـرـيـضـةـ الـحجـ وـيـدـوـ أـنـ مـحاـوـلـةـ تـدـبـيـسـ الـكـعـبـةـ كـانـ هـدـفـاـ أـسـاسـياـ مـنـ أـهـدـافـ الدـعـوـةـ الفـاطـمـيـةـ .ـ أـنـ ظـاهـرـقـ إـبـطـالـ فـرـيـضـةـ الـحجـ وـظـاهـرـةـ اـدـعـاءـ الـأـلوـهـيـةـ هـىـ الـفـاطـمـيـةـ تـانـ الـفـالـبـانـ وـقـدـ جـمـعـ الـحـلاـجـ بـيـنـ هـذـيـنـ الـأـمـرـيـنـ ثـمـ اـخـتـافـ الـفـانـ فـيـ قـسـيـرـ مـقـتـلـهـ أـكـانـ بـسـبـبـ مـحاـوـلـةـ إـسـقـاطـ فـرـيـضـةـ الـحجـ أـمـ كـانـ بـسـبـبـ اـدـعـاءـ الـأـلوـهـيـةـ ،ـ لـكـنـ يـدـوـ أـنـ كـانـ يـرـيدـ الـأـمـرـيـنـ مـعـاـ فـيـاـنـهـ يـصرـحـ بـاـنـ مـدـيـنـ بـعـذـبـ الـحـلـولـ وـهـوـ عـنـدـمـاـ يـجـمـعـ بـيـنـ الـأـمـرـيـنـ لـاـيـفـعـلـ سـوـىـ أـنـ يـسـيـرـ فـيـ الـاتـجـاهـ الـعـامـ لـكـلـ مـنـ حـرـكـةـ القرـاءـةـ وـالـدـعـوـةـ الـفـاطـمـيـةـ وـأـنـ اـسـتـعـانـ فـيـ سـيـرـتـهـ هـذـهـ بـالـسـعـرـ وـالـتـصـوـفـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ .

ويتحدث الدكتور بديع شريع عن الحلاج فيقول : كتب عنه ماسينيون كتاباً كبيراً عالج فيه ناحية التصوف فقط ولم يتعرض للناحية السياسية كان الحلاج لم يكن له صلة بالقراططة وكان الحلاج لم يكن له شأن في أمور السياسة وقد دعوه المعرى في رسالة الغفران من الزنادقة وقال عنه أنه مشعوذ وقال ابن النديم أنه سيامي يرثى قلب الدول وقال البيروني عنه أنه كان رجلاً مشعذداً ومتصنعاً وما زجا نفسه بكل إنسان على حسب اعتقاده ومذهبه ثم أدعى حلول روح القدس فيه وتسمى بالإله وصارت له إلى أصحابه رقاب معونة بهذه العبارات من المهوهو الأزلي الأولى النور الساطع اللامع والأصل الأصلي وحيمة الحجاج ورب الإرباب ومنشأ السحاب ومشكاة النور ورب الطور المتصور في كل صورة إلى عبده فلان وكان أصحابه يفتضون كتبهم إليه بعبارة : سبحانك يا ذات الذات الخ وقد قتل الناس به وارتبتكت أمور الدولة فقبض عليه وحوك علانية أمام جموع غير وسئل فقهاء الشرع في أمره فأفتقوا بالإجماع بقتله وكان يمكن للمنقدر أن يترك حرراً يسبt لصوفية ويشرّب منه الأنفاظ التي لا تفهُمها عادة إلا أفواه المترهين والمافوقين لو لا أنه اكتشف مرآ خطيراً وبان له أن الجبة التي قال عنها الحلاج كلامه المشهورة (ما في الجبة إلا الله) كانت ستاراً يغطي اتفاقاً سرياً بين الحلاج وبين رئيس القراططة لقلب الدولة وتنويع أركان الإسلام ، وقضى المنصور على ابن المقفع وقتل المدري بشار بن برد وقتل الرشيد بالبرامكة بعد ما كشف مرء ما يطنون له وقضى المنعم على الأشرين وأفتقى علماء المنقدر بقتل الحلاج فأهلكته .

فانظر كيف يجدد الشعوبون ودعاة التمرّب لنا ذلك كله اليوم تحت ستار الأدب .

(٧)

الشعويون

ابن المفعع - أبو هيبة - علان - أبو نواس - أبو العناية

وقد كشف الدكتور بدیع شریف عن جذور المؤامرة وحاول وضع اللثمة على كثير من المحرک وخاصّة ما أورده المستشرقون : يقول أن المستشرق الإيطالي جویدی نشر خططاً مؤلفه ابراهیم بن القاسم واسم الكتاب [الرد على اللئین : عبد الله بن المفعع] كشف به القناع عن زندقة ابن المفعع ، انتقاماً لابراهیم فقرات من كتاب معارضته ابن المفعع للقرآن وقد بدأ عبد الله قرآن بطراز جديد من البسمة باسم النور الرحمن الرحيم ثم شرع بمدح النور وأنه منبع الخير والمرارة وبهاجم الإسلام من حيث أنه دين والقرآن من حيث أنه منزل على محمد خاصّة صورة الجن وأحرافهم بالشعب ثم يستهزئ بالله حيث لم يجعل النصر للمسلمين إلا بالسيف وعدم ظهور الخليل ويظهر جور الله وظلمه ومن ذلك قتل أنبیائه ورسله وعدم حمايتهم وتأخير معاقبة الظالمين إلى يوم القيمة وأنه يسلط الأمراض والمحاجب على الناس ويشعر بالغضب والحزن والألم لأنّه يرسل زبائنه يوم القيمة ليذبوا الخارجين على الإسلام ثم يتمّ بمحمّد صلى الله عليه وسلم .

والقاسم لم يذكر جميع رسالة ابن المفعع بل اقتطف منها جملة معدودة ولكنها تعطينا صورة للجدل الذي كان يثار في ذلك الزمن والكافح المستمر بين المحدثين وال المسلمين وبين أجيال الصراع بين الميدانين وأسس الحضاراتين ، كان عمل ابن المفعع عملاً فردياً ولكنّه عمل جبار في الصراع بين هاتين الحضاراتين ومع أن الدور الذي لعبه ابن المفعع له خطره ولكن أقل شأننا من الدور الذي لعبته أميرة البراءة في هذا الصراع .

٢ - وقد طرده البرامكة الأصمعي من بلاط الخليفة وأحلوا محله أبو عبيدة . وأبو عبيدة متقد جمع إلى الشفاعة العربية : الشفاعة اليهودية والمحوسية فقد كان أبوه يدين بالتوراة وجده يعتقد بالمحوسية وكان شعوبياً مت西班اً ألف كتاب المثالب والطعن على العرب منها كتاب المثالب في قبيلة باهلة وآخر في المثالب على وجه العموم ، يقول جولدزير أن أبو عبيدة مولع بوضع الأخبار ووضع الأحاديث التي تظهر خلاف القبائل العربية فيما بينها وتهاجها وشنائهم بقبيل الحكام ومقدفع المهاجر .

وكتاب المثالب يذكر فيه أبو عبيدة أنساب العرب ويرميهم بما ليس من السياسة ذكره ولا يحسن وضعه وكان إذا رأى أمرًا يشرف العرب أرجوهه إلى الفرس فإذا رأى فضيحة فافتفأ أو حكاية ممتهنة قال أن العرب خلدوها بها للفرس وقد بالغ حتى جعل كثيراً من أخلاقبني عدنان وقحطان وحيانهم راجعة إلىبني سasan : يقول جولدزير وهكذا يريد أبو عبيدة أن ينقطف كل زهرة ناظرة في أكليل الفخر العربي .

وقد انتشرت روايات أبو عبيدة في كتب التاريخ وأصبح معتمداً لـكثيرين من المؤرخين والفقهاء في اللغة فكان الطبرى يروى عنه أخبار القبائل العربية ونحمد أمثلة كثيرة واضحة من اختراعه على العرب في مثالبهم في كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى .

٣ - وعلان أو غيلان كان شعوبياً عارفاً بأنساب العرب منهظماً إلى البرامكة نسخ للرشيد والمأمون في بيت الحكمة وألف كتاب المثالب الذي هتك به العرب وأظهر مثالبها : يقول الألومنى كان غيلان زنديقاً ثورياً فعمل لطاهر بن الحسين كتاباً يحارجاً عن الإسلام بدأ فيه بمثالب قريش ثم سائز العرب ونسب إليهم كل ذور ووضع عليهم كل إهانة وبهتان .

أما ابن عبد الجيد اللاحق فقد كان موضع شفاعة للبرامكة ترجم لهم (١٠ م - المؤمرة على الإسلام)

كتاب مزدك ونظم لهم كلية ودمته شعراً فوهب له جعفر البرمكي مائة
الف درهم.

اما أبو نواس وأبو العناية فقد هاجما السنة وبين المبادئ المدamaة ومهد
لهم الطريق بشار بن برد وقد نجح البرامكة في تهيئة المكان الأول لآبى نواس
في مجلس الرشيد وهو شاعر لبق حاذق يخلط الجدل بال Hazel وبيث مبادنه
في ثناياها هزله . كان يعد من كبار التشوية زندقا يهزأ بالدين ويراه قيداً
من قيود وأن الآخرة والبعث خيال ويثير الفسق في العقيدة ويطلب الإبتلاء
عن الدين كما هي وسيلة المانوية في محاربة الأديان والذين لا يعرفونه
يقولون : إن آبا نواس رجل شغل نفسه بالخنزرة والغزل الخارج على
المألف ولكنهم لا يدركون أنه مدفوع بتعاليم البرامكة لنشر هذا الطراب
من الشعر بين الناس فسكان يعتمد على البرامكة والبرامكة يعتمدون عليه .

يقول المستشرق كريمر : ناشر ديوان أبي نواس : إن أبو نواس كان يهزاً بالعقيدة الحمديّة علانية دون وجّل أو خجل وكان ينشر مبادئه الضلال والزندقة ولا يحجم عن الكلام عن كل ما يعتقد به وكان يؤثر في الرشيد تأثيراً مطلقاً فكلما غضب الرشيد على البرامكة كسر أبو نواس سورة غضبه في بيتهين من الشعر وكان كلما انتهت بالزنادقة شفعوا له عند الرشيد ، ولما قُتل البرامكة جسّسه الأمين في حبس الزنادقة .

أما أبو العناية: فقد لاحظ المستشرق فايدا: أثر الشنوية في أرجوزته المشهورة وقد وجدت أيضاً في نسبياً شعره، وقد أخذ ناحية من تعاليم المانوية هي ناحية الزهد في الحياة مع أن الزهد ليس من طبيعة أبي العناية، لم يتكلم إلا عن المرت ولم يذكر البعض .

ترى هذا الشاعر يتحدث عن الزهد في الحياة والانضواء بين القبور
وخفاء الطموح والإستكانة إلى الذلة والمسكنة والإسلام لأنفراض

البشرية التي كانت المانوية تدعوا إليه ، كان هذا التفهيد الذي قام به البرامكة وأتباعهم في عهدهما الحضارة الجديدة والدين الجديد مثل القبيلة انفجرت في البناء الشائع فصدحت جوابنه وفتحت منها الثغرات بما نشأ بذلك من البَدْع والضلالات التي كانت تمثل تارة بأشخاص وقطاً تارة على يد جماعات فكانت الخرميَّة التي حاصل مبدئها رفع التكليف وتسلیط الناس على إباع الشهوات ، والقرامة الذين عانوا في الأرض فساداً بتعاليمهم الباطنية وكانوا يستندون في هذه التعاليم على تأویل القرآن تأويلاً يتفق مع آرائهم وكانوا يرمون في أعمالهم إلى انتقال دين الإسلام إلى عقبة المجرمية .

(٨)

الوحى والنبوة

تردد هذه الأيام كتابات جديدة عن الإسلام والفكر الإسلامي والثقافة الغربية بأفلام كانت في الفترة الماضية من دعاة الوجودية أو المادية أو الوصمة المنطقية ، وليس هذا مستغرباً فإن عدداً من كتاب العصر الحديث أمثال الدكتور هيكل والعقاد ووزي مبارك ومنصور فهمي وإسماعيل مظاير قد غيروا جلدهم في فترة الأربعينيات واتخذوا موقفاً جديداً معايرة لواقعهم في الثلاثينيات وقد جرى تحليل لهذا التحول وكشفت الأيام خلفياته وأهدافه وحقائقه ، بل أن هناك من تحول من الشعر الجاهلي إلى هامش السيرة .

فليس غريباً أن نجد عدداً من الذين عرفوا منذ مطالع حياتهم بالتبنيّة الفكر الغربي وقد تجددت أهدافهم أو أجرروا حاولات جديدة إلى كسب جولات جديدة في محبي القراء والتفكير .

فليس غريباً أن تهتمى النفس البشرية إلى طريق وطريق ، وأن تجد أنها كانت قد غفلت عن نجح ، أو تجذرت عن ارتياح أفق ، ثم أتيحت لها الفرصة لإرتياحه ، أو جاءت مناسبة ما لزيارة بلد عربي أو إسلامي تحت أى ظرف ما ، ثم كان لهذا المفهوم النفسي والإجتماعي أثره الفكرى وذىءاً غير ذكرى مبارك آراءه بزيارة الجزائر أو المغرب ، وغير محمود عزى آراءه بزيارة فلسطين وغير هيكل باشا آراءه بزيارة دمشق ، وتحمّل دعوة المصرية والفرعونية والإغريقية إلى دعوة العروبة أو ما كانوا يسمونه (الأنطوار الشرقية الشقيقة) فليس عجياً إذن أن يزور زائر مكة المسكرمة أو ينتدب جامعاً في بلد عربي له طابعه الإسلامي ثم يكون من وراء ذلك رؤية جديدة للتراث أو فكرة جديدة عن التوحيد .

ولتكن الملاحظة دائمةً أن العقل الذي تكون من خلال ثقافة الغرب أو لا يحتاج إلى جهد كبير حتى يكون قادرًا على استيعاب الفكر الإسلامي أو فهم الإسلام فيما صحيحاً محرراً من آثار المفهوم الغربي للعقائد ، وقد وجهت النكات إلى كتابات الدكتور هيكل في حياة محمد وكتابات العقاد في العبريات وكتابات طه حسين عن هامش السيرة وعنوان وعلى ، حول منهج الكتابة ومنطلقاتها وقد اعتمدت كتاباتهم جديماً على مناهج الغرب في تحليل الشخصيات وفي مفهوم البطولة بما يختلف بل بما يتعارض مع مفهوم الإسلام .

وكذلك نجد هذا المنهج وقد أخذ طريقه إلى كتابات الأجيال الجديدة، حيث يوصف الرسول بأنه بطل ومصلح ورسول الحرية وداعية الثورة وإلى غير ذلك من صفات تختلف تماماً مع حقيقة الرسول النبي محمد بن عبد الله في الإسلام المؤيد بالوحي .

كذلك رأينا هزلة الكتاب الذين يقتسمون ب مجال الدراسات الإسلامية

وهم يلتصقون في الفكر الإسلامي بماً مختلفاً عن مفهوم المسلمين أنفسهم، حيث يقف بهم ضد هند التفكير الصوفي أو تفكير المعتزلة أو فكر الباطنية ثم يتمثل للناس إنما يعبر عن مفهوم الإسلام.

* الواقع أن هناك قضية أساسية في هذا المجال هي أن الفكر الإسلامي بما وتطور من خلال افتتاحه آفاق مختلفة منها الاعتزاز والتضوف والفلسفة ولكنه اتجه إلى أن شكل نفسه تشكيلًا واضحًا استقلالياً جاءها استقلاب عصارة ما في هذه المذاهب من قيم واستوعبها في إطار مفهومه الأصيل الفائم على التوحيد والإيمان بالله.

فإذا جاء واحد من هؤلاء الباحثين فقرر نفسه على قطاع معين من هذا الفكر أو على مرحلة معينة من تطور هذا الفكر قبل أكمله في صورته النهائية بصفة «السنة الجامحة» فإنه يخطئ خطأً كبيراً، حينما يرى أنه على العاريف الصحيح، والواقع أن الفكر الإسلامي قد صرف منذ وقت طوبل خلافات الأحزاب السياسية التي تمثلت وراء هذه المذاهب الفكرية وأمهن عصاراتها وحررها من إطارها المرتبط ببعض معين أو جيل معين واستصفاها فكرًا إسلاميًّا خالصًا يستوعب قضايا المجتمعات والمصور دون أن يكون موضوع احتواء الفلسفات اليونانية والفارسية أو الهندية التي وفدت مذاهبها إلى أفق التضوف والكلام والعقائد.

ومن هنا فإن الداخلين المجدد في مجال الفكر الإسلامي يدعى الاعتزاز والقول بأنه يمثل الفكر الإسلامي صالحون ومصلحون، فالاعتزاز وتفكيره مرحلة سياسية وفكيرية، قد انقضت وانطوت وجهه بعد جزءها مد المفهوم الإسلامي كما كشف عنه الأشعري ثم ابن تيمية وهكذا وليس الإسلام إذن دعوة عقلانية كما خيل لمجدد الفكر العربي، كما أنه ليس مفهوماً باطنياً أو صوفياً كما خيل لمجدد تفسير القرآن، وإنما الإسلام فكرًا ربانياً

في طابعه ، إنسانياً في منطليقه يجمع بين العقل والقلب ويحرر نفسه بالتوحيد من كل سلطان غير سلطان الواحد الأحد ، ولقد ينخدع بعض القراء حينما يرون باحثاً اشتهر بالمادية أو بالوضعيّة قد أخذ يرد موارد الإسلام ولكنهم يحب أن يحدروها كل المحن من أي فكر مقلبس بالإسلام دون أن يكون على شرطه وأصوله ، ويبيتنا وينفهم : النبوة والوحي .

ذلك أن الجولة الجديدة للاستشراق إنما تتميز بطابعها الصهيوني التلمودي وهو طابع يختلف عن الاستشراق الغربي سواء منه الكنسي الطابع أو الاستعماري الاتجاه .

هذا الاستشراق يتكلم كثيراً عن التوحيد وعن دور الأديان ومهماً منها وعن الدور الذي مضى وانقضى حين قام الإسلام رسالته في مرحلة سابقة فلادي لبشرية خدمة كبرى – كأنما كان الإسلام مرحلة انقضت ، وكأنما ليس هو الرسالة الحالية الباقية إلى يوم الدين .

وأبرز مظاهر هذا الطابع الحديث من الاستشراق : الفشكبك في الوحي والنبوة ومحاولة تصوير الأنبياء والرسل على أنهـم أبطال ومصلحون استوعبوا فـكر أـنـهـم ، واستطاعوا صياغة التراث القديم في صور جديدة إلى غير هذا من دعوة مبتلة مضللة .

ولاريب أن أصحاب مثل هذه الدعوى من يحب أن يوضع فـكرـهـمـ فـداـرـةـ التغـريبـ والتـبـشـيرـ وـالـغـزوـ الشـاقـيـ وـيـعـاملـونـ معـامـلـةـ المـشـرـينـ وـالمـشـترـقـينـ .

وأخطر ما يقول هؤلاء ، أن القرآن انطباع في نفس محمد نـشـأـ عنـ تـأـيـيرـ البيـئةـ الـيـةـ الـعـاشـ فـيـهاـ أوـ انـ القرآنـ فـيـضـ منـ العـقـلـ الـبـاطـنـ وليسـ وـحـيـاـ لـهـياـ اـعـتـهـادـاـ عـلـيـ القـوـلـ بـعـقـرـيـةـ مـحـمـدـ وـالـمـعـيـتـهـ وـصـفـاهـ نـفـسـهـ .

ولاريب أن هـدـفـ إـنـتـارـةـ هـذـهـ الشـبـهـ حـمـاـلـةـ قـطـعـ الـصـلـةـ بـيـنـ الـمـسـلـمـينـ .

وبين القرآن ، فإنه إن كان من كلام محمد كان من عمل البشر ، وبذلك فقد معناه الأسمى وفرق المسلمين واتهم أمر الاجتماع عليه .

ونحن نعرف أن هناك فرقاً واضحاً بين كلام محمد وكلام القرآن في النسق والنظام ولقد كان ممدوأ - صل الله عليه وسلم - أميناً لا يقرأ ولا يكتب وتلك حجة تدحض قول القائلين بأنه عرف ما في الكتب السابقة ، ولقد كان عليه بشئون قومه لا يزيد على علم غيره فن الذي اطلعه على قصص الأولين .

ولاريب أن الوحي ليس ظاهرة نفسية داخلية نعمت من كيانه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وإنما هي حقيقة مستقلة عن ذاته استقبلها من خارج كيانه كما ينطوي بذلك حديث بده الوحي ، .

ولما كان الوحي هو حجر الرحى في النبوة وفي الدين كله فقد ركز عليه دعاء التغريب وأثاروا حوله الشبهات . وزعموا أنه نوع من الالحاد الحق وزعم آخرون أنه كان إشراقاً روحياً ووصفه آخرون بأنه نوع من الصراع .

ونحن المسلمون نؤمن بالوحي إِنَّا نَحْنُ أَنَا كَامِلُ كُجُزِهِ مِنْ لِيْهَا نَا بالغيب وبالنبوة ونرى أن معارضيه أو المشككين فيه ليسوا من جماعة المسلمين ، وأن زيفهم مهما وضعت في قوله برأته فإنه لا يخدع النفس المسلمة .

وفضيلة الوحي والنبوة هي كبرى الركائز في بناء المجتمعات والحضارات والخلاص منهج القرآن وشريعة الإسلام ، والشككك فيهما محاولة لقطع الصلة بين المسلمين وبين القرآن الذي هو الأثر الوجيد الباق على الأرض من رسالة السماء وهو الحدى الممتد بالضموء إلى النفس البشرية والأمم والمجتمعات إلى يوم الدين .

ولأرباب أن محاولة النظريات المادية المستحدثة في معارضته الوحي والنبوة والغيب كله هي ممارضة حققت أسباب فشلها في واقع الام والمجتمعات التي اعتمدت هذه النظريات.

فقد تأكّد بالبحث أن العقل غير كاف وحده في فهم كل شيء وأن العلم قد يعجز عن أن يقدم إجابات عن الأشياء وإنما يقف عند حدود ظاهر الأشياء، وأن المجتمعات التي صنعت شرائعها وقوانينها وأيدلوجياتها قد فشلت وعجزت عن أن تحقق المجتمع الصحيح أو أن ترد للنفس الإنسانية سكينةها وطمأنيتها ومن هنا كانت البشرية دوماً في حاجة إلى نبي وإله وحي، هذا النبي وهذا الوحي لا يهاران العقل بل يلتقيان معه في طريق الفطرة الإنسانية.

ومن ثم يؤكد العقل دليل الوحي، فالنبي يرشد العقل ويهديه فيما لا يستقبل بمعرفته مثل الغيب والمماد والأخرة والجزاء ويكشف عن وجود الأشياء التي لا تدرك بالعقل، حسنها وفيتها، ومن هنا كانت ضرورة النبوة والوحى للبشرية.

ولقد ثبت زيف دعوى العلوم الاجتماعية والأخلاقية والنفسية في دعوتها الباطلة بوصاية الأديان على الإنسان بعد أن بلغت البشرية رشدتها ذلك أن البشرية لم تبلغ رشدتها بعد وهي تقف على أبوة الصراع النزلي وهو له يهزها من الأعماق، فليس هناك سبيل إلا التقدم المادي إلا الدين والوحى هادياً ومرشدآً ومن الحق أن يقال أن البشرية على الرغم من هذا الزمن الطويل الذي يقدر بـ ملايين السنين ما زالت عاجزة على حد تعبير الأستاذ محمد المجزوب - عن حماية نفسها من المطاعم والحروب والمذابح ولن يحميها من ذلك إلا الوحي والنبوة.

وجملة القول أن يمننا وبين الداخلين إلى ساحة الإسلام : الوحي والنبوة.

(٩)
المؤامرة اليهودية
للقضاء على أصلية الإسلام

أشار العقد الفريد إلى قول الشعبي لماك بن معاوية حين قال :

« أحذرك الأهواء المضلة وشرها الرافضة فانهم يهدون هذه الأمة بيفضون الاسلام كما يبغض اليهود النصرانية ، لم يدخلوا الاسلام رغبة ولا رهبة من الله ولكن مقنة لأهل الاسلام وبغيانا عليهم ، وقالت الرافضة : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدى وكذلك قالت اليهود من قبل .

ويقول صاحب العقد الفريد : كان لليهود أثر غير قليل في بعض المذاهب الاسلامية ولا ريب أن ملامح المؤامرة اليهودية واضحة في تاريخ الاسلام وضوحا ناما .

« أبو لؤلؤة الفلزمي ومقتل عمر بن الخطاب « المؤامرة اليهودية الم gioسيمة » .

« عبد الله بن سبا وفكرة الحق الاطي في الدولة وأبطال الشورى .

« حركات الملاحدة والفراءطة والباطنية :

« التأويل في نصوص الكتاب والسنة والقول بالظواهر والباطن .

« صناعة البدع والمحاذين ولإشاعة المخرافات الغامضة .

« فلسفة الاشراق ومسائل الانتحار والخلول .

والمعروف أن مختلف الفرق الباطنية والمضلة تقوم على التأويل : والتأويل غير التفسير ، يقصد به باطن المعنى أو رموزه وإشارته أو الجواهر الخفية .

وبعد

وراء الكلمة

كما تقوم هذه الفرق على إسقاط التكليف وحط أعباء الشرع عن
المتعبدين وتسلیط الناس على إتباع الذات وطلب الشهوات وقضاء الضرر
في غير المباحات وفي المحرمات .

إن هدف المؤامرة اليهودية منذ قديم هو هدم الاسلام من الداخل :
هدمه فكريًا وعقائدياً ولذلك فقد أشاعت بين جاهير المسلمين مجموعة من
الأفكار التي تنطوي على الخرافة والتخييل النفسي وتقديم تفسيرات مضللة
عن الاسلام وكانت من أكبر الأسباب التي حولت المسلمين عن تكowنهم
النفسي ونظامهم الاجتماعي .

وقد جمعت هذه الأيدلوجية اليهودية بين طرفين بالفصل بينها من حيث
يجمع بينهما الاسلام : طرف عقلاني صرف يغلو في مفهوم العقل والحس .
وطرف حديدي خالص يغلو في مفهوم الروح والوحدان .

ولقد جرى بعض ذوى الأهواء من المسلمين وراء هذا المفهوم الراهن
لأنه يرضى الرغبات المذلة ويحرر النفس من الضوابط والقيود ، ويتحول
دون إقامة الحدود - حدود الله التي لا يجوز يعتدي عليها .

وخلعوا اوراهم مفهوم الاسلام الجامع المنكمال :

ولإذا نظرنا اليوم وجدنا الصورة تتكرر حيث يؤمن المسلمون ببعض
الكتاب ويکفرون ببعض . فهم إما عقلانيون أو حدسيون ، وهم قد
يتحققون في حياتهم مفهوم العبادة ولكنهم يغضبون - جهلاً أو قصدًا -
عن مفهوم ارتباط الاسلام بالمجتمع وتطبيق الشريعة .

وزرى في كثير من الكتابات المعاصرة ، هذا الطابع الباطني المسىء في
الاعتداد على كتب معينة سواء من كتب العزلة أو المانع

والفلسفه ظنناً منهم أن أي نوع من هذه الأنواع هو مفهوم الإسلام ، أو أنه يمكن أن يصبحوا به وقد وقعا على مفهوم الإسلام الصحيح وعيي هؤلاء أنهم لا ينظرون نظرة كلية إلى حركة التطور التي صاحبت الفكر الإسلامي في القرون الاربعة الأولى من حيث ارتباطه بالفرق والأحزاب السياسية ومن حيث طبيعة شكله بعد أن انصل بالفلسفات المختلفة .

ولا دين أن الاعتزال والسلام والتسبيح والتتصوف كلها مراجعت في فكر واحد وخلفات متصلة استعملت بنفسها ثم غلب عليها مفهوم الإسلام لجماعه الذي تشكل جامعاً لغير ما تناولته هذه الفرق والدعوات بعد أن صفتها من أسباب الصراع والخلاف السياسي والفردي واستواعب عصاراتها في أعقافه .

فالإسلام نظر عقل وأشواق روحية وحب لأهل البيت ودعوة للحوار مع غير المسلمين ولكنكه ليس عقلاً خالصاً كما يظن من يقررون فكر المعتزلة ويظلون أنّه هو الإسلام وحده ، أو من يرون أن الإسلام حين تجاوز الاعتزال فقد ميزته في النبوة والحركة ، كل هذا لا يصدر إلا من أصحاب النظرية الجزئية التي تسيطر على الفكر البشري حامة والفكر الغربي في العصر الحديث .

وبردود كثير من الباحثين الذين يتبعون مدارس الاستشراف والتغريب عبارة « هزيمة المعتزلة »، وبريدون بها القول بأن هذه الهزيمة إنما كانت عاملًا من عوامل الناشر والتخلّف والقانون على هذا النحو لم يستوعبوا حفاظات الإسلام ولم يفهموه فيما صحّيحاً وربما فهموه من داخل دائرة الفكر الغربي .

والحقيقة أن هزيمة المعتزلة كانت نتيجة طبيعية للفاصرة التي تختلف مع جوهر الإسلام ومع طبيعة الفكر الإسلامي ومنهج المعرفة الإسلامي هذا المنهج الذي يقدم على جماع العقل والوحدة .

لقد كان الاعتزال أساساً محاولة لمواجهة المذاهب الفلسفية التي كانت تتحققى وراءها الأديان المعاصرة للإسلام وقد أدى دوره في هذا المجال على أحسن وجه، وواجه علماء الكلام في الأديان والفلسفات الأخرى في قوة وأدال منهن وحقق كثيراً من النتائج وأدخل مئات من المؤمنين في الإسلام.

غير أن المعتزلة لم يلتفوا أن يلغوا درجة من الغلو في تأكيد موقفهم وفكيرتهم، حين أعلا شأن العقل وبلغوا به مبلغاً خطيراً، ولما كان المسلمون يؤمدون بالغيب والشهادة ويؤمنون بالوحى والعقل ويتكامل إيمانهم هذا وبشكل في وحدة واحدة، فإن إعلاء شأن العقل وحده كان خروجاً على مفهوم الإسلام، وهو خروج هررض المعتزلة للهزيمة وعرض فكرهم للإنهيار تحت أصوات الإسلام الصحيح ومن هنا جاءت التتعديلات والتصحيحات التي قام بها الإمام أحمد بن حنبل إذ كان لا بد أن يعود الإسلام إلى أصوله وأن يتحرر مما أصابه عن طريق الفلسفة اليونانية من الانحراف.

وبذلك كانت هزيمة المعتزلة نصراً لأصالة الإسلام وتمديلاً لمسار فكره وربما كان حزن بعض الفريبيين على هزيمة المعتزلة راجحاً إلى أن الاعتزال كان وليد الفكر اليوناني وتابعاً له وإنهم كانوا يتمنون له نجاحاً مضطراًًا يخرج الإسلام من مقوماته كما أخرج المنطقي اليوناني الأديان السابقة ولكن أصالة الإسلام كانت أكبر من هذه الفلسفة اليونانية.

ولذلك فإن الدعوة التي تردد اليوم حول [تجديد الفكر العربي] مستخدمة فكر المعتزلة هي دعوى باطلة لأنها لا تفهم الإسلام، ودعوى زانقة لأن الاعتزال ليس هو الفكر الإسلامي ولكنه مرحلة من مراحل تطوره وتشكله انتصرت بعد ما فيه انصصاراً كاماً.

* * *

كذلك تجيء الدعوى الأخرى إلى تفسير القرآن تفسيراً باطنياً، وهي

لأنعدوا أن تكون حلقة من الدراسات الشعوبية الحديثة التي تستمد مصادرها من الفسكل اليهودي ، القائم على الإمبرانيليات والذى يتصدى بالباطنة وأخوان الصفا والسبايا والقراءة .

ولا ريب أن محاولات تفسير الجزاء بأنه روحي والجنة والنار بأنه شعور نفسى والذى تحاول أن تبيح ما حرم الله من حدود اللباس ، والذى والزينة كل هذا زيف مردود وقدم من الجحودية التلمودية يتجدد على أيدي دعاة ربما لا يعرفون مدى خطر الكلمة لقى يقولونها .

ويرجع هذا إلى أن قراءات أصحاب هذا الفسكل تنصب على كتب التصوف الفلسفى ورسائل أخوان الصفا وكتابات ابن المقفع وابن الروندى وغيرهم من يشككهم الفسكل الإسلامى تماماً ويشجب صلتهم به .

ويعود بنا هذا مرة أخرى إلى قانون المفاسلة القرآنى الذى تمحورى محاولات كثيرة لتزييفه اليوم تحت أسماء [الثقافة العالمية ، التبادل الثقافى ، التقاء الثقافات ، وحدة الفكر البشري] الخ .

إنما تزيد كل هذه المدعوات دفع الأقل في الكثير والضعف في القوى والفسكل الإسلامى الآن وأمهاته في موقف المحرج ، وفي أفواه الآزمة الكبرى ، وفي موقف التحدى إزاء الفزو الثقافى والسياسى والإجتماعى والمسكوى لا يستطيع أن يستعلن وجود ثقافته المتميزة ولا يستطيع أن يفرض طابعه .

ولذلك فهو في موقف الاحتراز ، من الثقافات العالمية التي تقارب الأن سواء كانت رأسمالية أم ماركسية أم صهيونية ، بينما يقف الإسلام وحده نابناً شائخاً كالطود لا يمكن أن ينصر أو يخبو أو يفرق في أتون هذه الثقافات فهو وحده الدين الحالى والفسكل الربانى ذو الطابع الانسانى .

و تلك هي دعوة القرآن إلى المسلمين منذ أربعة عشر قرناً في المفاصلة والمراجحة والرورف على معلم واضحة ، وقول معروف فاصل ، دون أن ينطوى أو تقبل التبعية .

و ذلك هو الخطر ، القائم أمام الغزو العالمي التلودي الذي يستهدف السيطرة على العالم كله وإذلاله لإيدلوجية اليهودية التي رسمتها بروتوكولات صهيون .

وقد فاتت مرحلة استطاعت فيها الصهيونية أن تحتوى الفكر الغربي كله وأن تحررك من داخل دائرة في مختلف مجالات الاجتماع والسياسة والنفس والأخلاق وال التربية .

واليوم يواجه المسلمين المعركة : من خلال صلتهم بالفكرة الغربية التي وقع تحت الاحتقار التلودي الذي يحمل الآن جذور المؤامرة اليهودية الكبرى .

إن قانون المفاصلة القرآني يقول :

«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» .

«ولَا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا» .

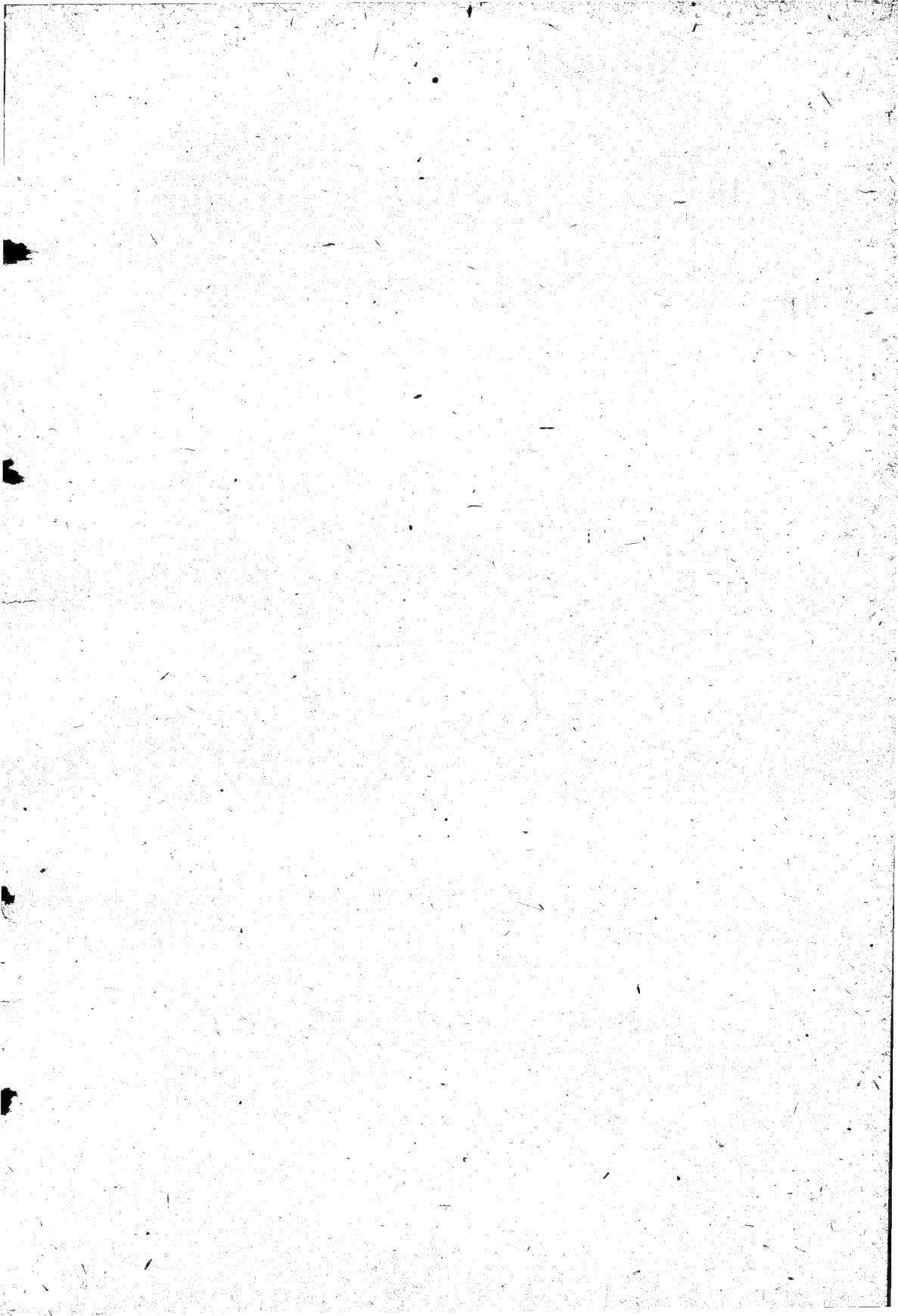
«انهم ان يظروا عليكم بر جحوك او يعيدهم في ملتهم» .

«أن تعذموا الذين كفروا يردوكم على أعفابكم فتنقلبوا خامسين» .

وصدق الله العظيم .

البَابُ السَّابِعُ

الفرق الصالحة



(١)

ظهرت في العصر الحديث فرق كثيرة ضــلت منها ما هو منفصل عن
الإسلام بــحاول السيطرة على فــكره ومنها ما هو منــسب إلى الإسلام وينســعــي
بــاسمه كــالأخذــية والقادــيانــية .

وقد اعتمــدت هذه الدعــوات عــل أرضــية خــلقــها كتاب التــغــريب ودعاــة
الغزوــ والثقــافــي بالــحدــيث عــما أسمــوه (الفــكر الحــر) في حــاولة لفتح بــاب المــحــوار
مع هذه الفــرق الصــالــة والــدعــوات المــداــمة . يقول محمد عبد الله عــنــان : يرى
بعض البــاحــثــين في تــارــيخ الــخــلــفــاء والــحــرــكــات المــداــمة أن حــرــكة التــفــكــير الحــرــ
في الإسلام تــرــجــع في الأصل إلى نــشــاط الدــعــوة اليــهــودــية التي فــصــدــ بها الدــعــاة
اليــهــود أن يــأــزــوا دــيــنــهم ولا يــنــفــســهم بهــدم التــصــرــانــية والإــســلام وأن اــحرــكة
المــهــدم والإــلــحاد التي وــبــتــتــتــ بــادــيــه ذــي بدــأــفــيــ قــارــســ وكان قــوــاماــ ابن دــيــسان
وــولــده عبد الله دــبــرــها دــعــاة (الــكــابــالــاــ اليــهــودــية) التعــالــيم الــمــبرــية الــمــرــية ثم
تمــدوــها بــالــنــصــ وــالــمــالــ ،

وفي هذا العــصــر نــهــدــ القــادــيانــية والــبــاهــانــية والــرــوحــيــة الــحــدــيــة وقد أــلــقــى
يشــقــلــها في المجتمع الإــســلامــي كــله وــوــجــدــتــ من الفــرــصــ الــذــهــبــيــة ما مــكــنــ لها
وــحــالــ وــقــتاــ طــويــلاــ دونــ كــشــفــ زــيــفــها حتىــ أنــ بــعــضــ كــتابــ الــعــربــ تــابــعــ
المــســتــشــرــقــينــ وأــعــلــنــ أنــ القــادــيانــيــة والــبــاهــانــيــة هــمــا دــعــوــيــاــنــ تــمــهــدــيــةــنــانــ فيــ الإــســلامــ
وــقــدــ جــاءــ ذــلــكــ تــبــيــعــةــ المــجــزــ عن درــاســةــ الــخــلــفــاءــاتــ التي دــفــتــ هذهــ الدــعــواتــ
وــهــيــ الــاســتــعــمــارــ الــبــرــيــطــانــيــ وــالــاصــمــيــونــيــةــ الــعــالــمــيــةــ ،ــ فــالــواــضــحــ أــنــ هــذــهــ الــعــاــنــافــ
الــدــخــيــلــةــ تــلــقــيــ المــعــوــنــةــ وــالتــوــجــيــةــ منــ الــمــســتــعــمــرــيــنــ وــالــبــنــمــرــيــنــ وــالــيــهــودــ ،ــ وــمــ
يــدــوــنــهاــ لــمــاــ أــســمــوهــ ضــرــبــ الإــســلامــ بــالــإــســلامــ ،ــ هــذــهــ الــعــاــنــافــ تــقــدــمــ زــعــانــهاــ

وتروف لهم لوق مرتبة البشر وتشريع لاتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغلا
اسم الإسلام لعدم الإسلام .

والمعروف أن النفوذ الاستعماري قد اعتمد كثيراً على القادة البهائية
والبهائية في فارس والمندوكلا الحركتين قد اعتمدنا أساساً على إلقاء أصل
ثابع وخطير من أصول الإسلام وهو المباد دعماً لبقاء الاستعمار والتعاون
معه وقبول سيطرته وحكمه وسلطانه .

وقد أثار النفوذ الاستعماري للحركة البهائية حرية الحركة في العالم
الإسلامي ، وفي مصر اهتمت صحف التبشير والإستعمار بالحركة وأولتها
قدراً أكبر من العناية ، ومن العجيب أنه عند دعماً مما ذكرت خططات التبشير
٣٢ - ١٩٣٣ في مصر وخفت صوت التبشير ، لم يلبث صوت الحركة
البهائية أن علا ونُشرت إلى العمل وكانت لها صراخ في القاهرة والاسكندرية
وبور سعيد والاسمهاعية والسويس وطريق نشراته متفرعة وكتب يعلن عنها
مؤلفوها ، إن بهاء الله مؤسس البهائية ، هو رسول الله الأعظم وسفيره
الذى جاء بما يحقق أسمى أرباحات الإنسان وتوحيد الأديان جميعاً فتحت عالم
البهائية ، وأن الإسلام كان لمصر خاص وعقليات خاصة أما البهائية فهي دين
العمر الجديد ، ولاري البهائية أساليب مختلفة من أساليب المبشرين ، ووعلم
في الإباحية الأخلاقية منطلق عجيب إلى جمع السذاج والأغوار ، إذ تهدف
البهائية إلى إخراج المسلم من حقبته الإسلامية ، وجده في ذلك في رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن خاتم المرسلين وإن الإسلام هو خاتم
الشريان السماوية .

ونذكر البهائية الداعم الأربع الأساسية للإسلام : هي تذكر عقيدة
جهاد الأعداء والصعود لعدوانهم ، وتنكر عقيدة الأسر بالمعروف
والنبي عن المشرك ، وتنكر عقيدة الاحتفاظ بالذاتية الإسلامية وحياتها

من النربان ، وتنكر هقيقة الحج التي تعلم على تبصيت الوحدة
وعدم الجماعة .

وقد ارتبطت البهائية باليهودية العالمية ، كما ارتبطت القاديانية بالاستعمار
واستهدفت الأولى تمييع الفوائل الأساسية بين الإسلام وبين تفسيرات
الآديان واستهدفت القاديانية إلغاء أعظم قوانين الإسلام وأكبر عقائده ،
وهي الجهاد .

يبدأ هؤلاء وهؤلاء من الإسلام ، ويسمعون به فيحملون كلام
المهدى والنبوة والاصلاح والاستخلاف . وقد أسقط رؤساء البهائية
فراهن الصلاة والصيام والحج والجهاد والحدود والفقاصل وسائر ما جاه
في الكتاب والسنة من تعاليم .

والبهائيون لا يؤمنون باليوم الآخر أو الجنة والنار والجزاء ، وقد
أخذوا بتفسیر الباطنية لها : وقالوا : إن القيمة هي قيام الروح الاحية
في مظاهر بشري جديد ، وقالوا عن الجنة إنها فرح روحي ، وعن النار إنها
حرمان من معرفة الله .

وهم يزيفون ما يسمونه دعوة التقريب بين الآديان ، أو بين الشرق
والغرب ، وهم يستهدفون من هذه الوحدة إلغاء الإسلام وحده ، ويجدد
البهائيون الصهيونية والاستعمار ، وقد كدف كثيرون من الباحثين ، ورؤساء
الكنائس حقيقة البهائية وسيطرة التفوذ الأجنبي عليها ، قال رئيس كنيسة
(دستي نابل) إنها في روحها مطابقة لجميع المطاببات الدينية التي تسمعونها
كل أسبوع ، ولقد تناصف الليلة الشرق والغرب .

وكان البهاء يزعم أن دين التوحيد الذي جاء به رسول الله وخاتمه محمد
نه أفسد الشرق والغرب ، وكان يؤمن بأن المسيح هو الله (تعالى الله عما

يقولون علوأً كبيراً) والحق يشهد أن الدين الذي أرسل به عيسى مختلف عن التفسيرات التي عرفها الغرب ، وإن عيسى بن مريم رسول الله وعبده وأنه بشر .

وقد لخص الباحثون فساد هذه الفرقاة الصالحة في محاواتها الخطأة إلى :

أولاً : محاربة اللغة العربية ، وذلك بتبدل اللغة الفصحى بما يسمونه اللغة النوراء ، ومحاربة لغة الإسلام العالمية ، وهي لغة القرآن العربية واستئثار حالية اللغة العربية ، وكونها اللغة المشتركة : لغة الصلاة والعلوم الإسلامية لنزيق الصلة بين حاضر المسلمين وتاريخهم وتراثهم .

ثانياً : ادعاء نبوة جديدة ودين جديد ناسخ للإسلام وللآديان جميعاً ودعوة إلى وحدة الآديان واتحاد العالم .

ثالثاً : المروج من الآديان جميعاً والدخول في دين جديد ، ومتابعة المسؤولية في ترك الآديان والاجتนา على دين واحد هو دين الحب ، وهم بذلك أضافوا اختلافاً جديداً .

رابعاً : دعوة السلام العام وهي دعوة إسرائيل التي ترمي إلى خدمة البشرية تحت اسم زوال الحروب ، وحلول السلام والاتحاد ، وقد كانت دعوة العالمية والسلام العام هي دعوة الصهيونية والمسؤولية والشيوخية .

خامساً : مساواة النساء بالرجال وإبطال شريعة الإسلام وأحكامها في شأن المرأة ، والبهائية تدعو إلى الاختلاط الفاجر بين النساء والرجال مارقاً إلى الإباحية الجنسية واتخاذ المرأة متنة يتبع بها الرجل كيفما شاء ومنى شاء وإعلانه فلسفة اللذة وممارسة المرأة الرجل في صالات الرقص والنادي الليلي ، والغربي الجنسية المطلقة ومن تنتائج هذا الهدف تذهب الأميرة وأعلاها وأنهيار القلق الاجتماعي .

(۲)

وقد ثبت من التحقيقات الرسمية التي أجريت للبهائية عام ١٩٧٢ قول أحدم أنه لو أجبر على حل السلاح في مواجهة إسرائيل لأطلقه في الفضاء وإن ذلك هو شعار البهائية ، وادعى زعيم البهائية أن بهاء الله هو المسيح ، وأن الباب هو المهدى المنتظر ، وأن القرآن معنى ظاهرًا ومعنى باطنًا لا يعلمه إلا الله . وقال إن البهائية يزيدون على ٦٠ مليونًا في العالم ، وقال إنه بظهور البهاء انتهى التشريع الإسلامي واتهت أمّة المسلمين وإن رسالة البهاء ستستقر ألف عام ، وزعم أن العذراء مريم تزوجت بعد مولد المسيح من يوسف النجار وأنجبت .

ولا ريب أن هذه المفاهيم تكشف عن روح اليهودية العالمية والتلويذية الواضح الصريح في نصايا هذه العقبة .

وقد واجه كثير من الباحثين الدعوة البهائية ، وكشفوا عن ذيفها وفي مقدمة هؤلاء العلامة محمد فريد وجدى الذي قال : أن طموح البهائية إلى أن تكون دينًا عاماً يدخل فيه الناس على اختلاف جنسياتهم ونحلهم ، هو ما يقضى بالعجب لأنها لبنت بدين سماوى وليس فيها من الأصول والمبادئ ما يلفت العقول إليها بعد أن بالغت في عرض نفسها على الأمم ، فأين هي من الإسلام الذي بنى أمّا قوية ومدنيات قائلة في خلال عصور متعاقبة ، ولا يزال مثل حبيته الأولى حتى ليتوقف فلاسفة كثيرون منهم برئار دشوا أن مبادئ الإسلام توشك أن تعم العالم أجمع على أصلين من هنا له التعميم والخلود : موافقته للفطرة واعتناده على المقل والعلم ، فain البهائية من هذا الموقف على الحق ، وهي تقوم على أصلين ، أحدهما عتيق غامض قام به أفراد من محبي المسيح في الحالات فهي تصور ذات الله بصورة الخلوقين ونائهما : وهو صرف الألفاظ عن ظواهرها ، وفيه مجال فسح

للتضليل والأوهام والخداع ، وتندعى البهائية أنها أمت العالم بمحدث في الأصول ولم يدر في خلد المصلحين قبلها كاتحاد الأديان . وترك العصبيات واتحاد الأجناس والسلام العام ومساواة المرأة بالرجل أما ما سموه باتحاد الأديان فقد سبق إليه الإسلام وأسسه على أقوى الأصول وحاطه بأحكام الدلائل فقرر أن أصل الأديان كما واحد وأن العلاقات التي بينها ما حدثت إلا بسبب ما أدخله قادتها عليها من الأوهام فالإسلام يفرض على أهل القول بوحدة الدين فرضاً ويأمرهم بالاعتقاد بجميع الرسل من غير قفريق بينهم . أن البشرية ليست في حاجة إلى دين جديد بعد الإسلام فإنه استكمل جميع شرائط الدين العام .

هذا ومع أن البهائية قد انقضى على دعوتها نصف قرن أو يزيد فان زى أنها استطاعت أن تحقق هدفاً واحداً من أهدافها في إتحاد الشرق والمغرب أو اتحاد الأديان أو الأجناس أو زوال الحروب وكل ما كشفت عنه أنها موجة زانفة من موجات الإباحة والإلحاد التي حملت كل سمات الباطلية القديمة وأعادت طرحها على البشرية مرة أخرى .

وقد كشفت البهائية عن صلتها الجذرية باليهودية العالمية عند ما عقد في إسرائيل المؤتمر العالمي للبهائية وتبين أنها استخدمت البهائية منذ وقت طويل منذ ما كان يقيم عباس البهاء في حيفا .

أما القاديانية التي تحولت من بعد إلى فرقتين إحداهما الأحادية فإنها كانت في أساسها تتاجأً استعماريًّا استهدف ضرب مفهوم الإسلام الصحيح وتفحيمه مفهوم الجهاد وخلق جماعات تحت اسم الإسلام تتقبل النفي وذ الاستعمارى وتعاونه وتخضع له .

فالقاديانية مؤامرة حقيقية على الإسلام ترمي إلى إضعاف القيم الإسلامية وتجزئ القيم الداخلية للفكر الأجنبي ، أما إضعاف القيم الإسلامية فأن ذلك

يجري عن طريق شرح بعض تعاليم الإسلام بما يصف الإسلام في نفس المسلم، أو خلق فكر آخر على أساس تفسير خاص لا صل من أصول الإسلام سببيع فيما بعد مذهبًا من المذاهب الإسلامية ، على حد تعبير الدكتور محمد البهوي يقول : يتمثل ذلك في خلق مذهب الأحادية في أوآخر القرن ١٩ بفعل مؤسسة ميرزا غلام أحد القاديانى بعد أن تهاجم الجو الفكري والثقافى والروحي لنشأة مثل هذا المذهب عن طريق السيد أحمد خان مؤسس كلية عليبكرا وصاحب التفسير القرآنى المشهور والداعى للولاء والتعاون مع السيادة الانجليزية في الهند طوال القرن ١٩

هذا المذهب يشرح فكرة الجماد في الإسلام على أنها كانت فكرة مؤقتة حتى يستقر الإسلام نفسه كدين وحتى يستقر أمر الجماعة الإسلامية، لذلك فإنه لا يجب تنفيذه بالسيف أو بالقوة وإنما يجب سلوك الطرق السليمة في الدعوة إلى الإسلام ويتحقق بهذا هدف الولاء للحكومة الانجليزية وبهذا التفسير يبطل العمل بمبدأ الجماد على نحو ما عرف في صدر الإسلام، المعروف أن مبدأ الجماد في الإسلام قصد به عدم إثبات الجماعة الإسلامية وإنصارها في جماعة أخرى ..

ولا ريب أن هذه الدعوات تسمى إلى إخضاع المسلمين عن طريق الاعتقاد وتغيير مفهومهم الأصيل والجامع للتوحيد والجهاد والمعدل .

وقد انتقلت دعوة القاديانية من النبي في القاديانية إلى مصلح في الأحادية بحاول أن يستعيد لها بعض الثقة في النقوص التي رفضتها .

ولا ريب أن هذه الدعوة وغيرها يستهدف طمس مذاهب الإسلام والسيطرة دون وحدة المسلمين والعمل على إعلاء المنصرية التي تقوم على الأجناس على وحدة الفكر التي جاء بها القرآن .

وقد اعتمد هذه المدعوات على سلاح [التأويل] الذي هو منهج اليهود
القائم على مبدأ أذيع الناس يهدّعنهن ، وقد أولت القاديانية والأحدية آيات
الجهاد تأويلاً أبعدها عن مقاصدها ، وقال القادياني صراحة : لقد أسقط الله
عنكم فريضة الجهاد وهو ما وصف بأنه دضرب ركن الجهاد بسيف التأويل ،
وفي هذا متابعة لآخران الصفا الذين قالوا : أن التأويل للحكمة والتزيل
للدھاء .

وتحالف الأحدية الإسلام في ثلاث نقاط : طبيعة المسيح ، دعوة المهدى ،
فربيضة الجهاد ، وتقول الأحدية أن المسيح لم يصلب ولكنه مات في الظاهر فقط
وخرج وهو جر إلى المهد وتفوّل الأحدية أن وظيفة المهدى هو الدعوة
إلى السلام وأن الجهاد يجب إلا يقوم على انتهاك الحرام بل يجب أن يقوم
على وسائل سلبية وهم يظهرون في كل الظروف ولائهم الحالص للحكومة
البريطانية ويعتقدون أن المهدى يتجسد في المسيح والنبي في وقت واحد .

يقول الشيخ عبد الرشيد إبراهيم : أما ماترجمة رجال من القاديانية فلا
تحسن اللسان لأنهم جماعات من محذّنات سياسة الإنجلترا لتفتيت جميع
المسلمين ونعلم قطعاً احتياج الانكشار إلى زعماء من المسلمين لاضطهاد الإسلام
فظهر بسبب ذلك البالية والبهانة والقادنية .

ولقد حفّقت دعوة القاديانية نتائج خطيرة منها إثارة الجدل بين العلماء
وشغل المسلمين فضلاً عما أثارت من شبهات عن تقدّيس قاديان ككة لوجوب
الحجّ إليها وتحوّيل المسلمين من مكة وإثارة العنصرية بشأن رسول هرلي
ونبی هندی وأعتبرواهذا انتصاراً وعلنياً . ووقف نهر و يؤيد القاديانية ورد
عليه الدكتور إقبال ردًّا عنيفاً ودعا الموردي إلى أن تعتبر القاديانية طائفـة
غير إسلامية كالبهانيين وقد أعلن عن تنفيذ ذلك في السنوات الأخيرة .

(٣)

يقول الأستاذ محمد تقى الدين : أن المدف من القاديانية هو إعادة هند
الونية الأولى لتعيد ذكرى رهما وبودا ولكن بصورة أخرى يقطعون بها
على صدار العقول طريق المطرة الإسلامية .

أولئك القوم هم جماعة القاديانية المندوذ الذين أخذوا اسم الإسلام
وأطقوه على عقائد مختلفة . ساق لهم ميراث الونية الرجوع إلى العقيدة
الأولى التي كانت تنفس عنهم هذه الآلام ، فدعوا إلى المنفذ وأخذوا يفكرون
إيكون وريث براها في الإلهية أم وريث بودا في البوة ولم يكن يمكن نجاح
دعوتهم إذا نجحت إلى الميراث البرهني في دعوى الألوهية لأن عقلية مسلى
المند استنارت بنور الإسلام وترفت عن هذا الإسفاف ، خارلوا أن
يتخذوا منزلة هذا المنفذ منزلة النبوة ولكن بصورة أخرى تكون فريدة من
إدراك الجماهير فاتخذوا من غلام قاديyan نبياً يعيشون فيه عقيدة المنفذ ورأوا
أنه لا بد له من مبادىء ينشرها ويذيع أنه أوسي إليه بما فلم يجدوا أمداً أصلح
ولا شريعة أسمى من شريعة الإسلام فرماها العاذها شريعة لهذا النبي الكاذب
وغيثوا ببعض مساندها ونظروا في بعض عقائدها وخالفوا ما فيه من الخلاف
ظلمراً واتخذوا من تحريف أقوال الشريعة أدلة على صدق نبوة غلام
قاديان .

وقد كشف غلام أحد القاديانى هويته وانتهائه فقال : لقد قضيت معظم
عمرى في نأياد الحكومة الانجليزية ونصرتها فقد أفت فى منع الجماد
ووجوب طاغة أولى الأمر الانجليز من الكتب والإعلانات والنشرات مالو جمع
بعضها إلى بعض للأربعين خزانة وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد
الغربية ومصر والشام وتركيا وكان هدفي دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين
للانجليز ، وقد ظلللت منذ حدانة سنى وقد ناهرت اليوم على السُّتُّين أباً ماجد

بالسافى وفلى لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الانجليزية
والنصح لها والمعطف عليها وإنما فكرة الجماد التي يدين بها بعض جهاتهم والنوى
تنتهي من الإخلاص لهذه الحكومة .

وكان من نتيجة ذلك أن انلعم ألف من الناس عن فكرة الجماد التي
كانت من وحي العلماء الجامدين وهذه مأثره أتباهى بها يعجز المسلمون في
المهد أن ينافسون فيها ، (ص ١٠ من الطبعة السادسة من ملحق كتابه
شهادة القرآن) .

وتسكشف الوثائق والدراسات عن الصلة الواضحة والجذرية بين القاديانية
والبهائية ، فالقاديانية في المهد والبهائية في فارس ألفت الجماد إلقاءً كاملاً في
وقت كان فيه المسلمون في أشد الحاجة إلى طرد الماصلين ، يقول مؤسس
البهائية ، أن الإشارة الأولى لجميع أهل العالم حمز حكم الجماد من الكتاب (أى
القرآن) (نبذة من إشارات بهاء الله ص ١٠٩) .

وأشار مؤلف كتاب حقيقة البهائية والبالية أن البهائية حرّكة منحرفة
مشبوهة أسسها الميرزا علام أحمد القادياني من لا هور من بلاد المهد وهو
تلميذ لليوشى الداعية الباطنى المشبوه بعد استئثار روسيا القبرصية لمملكة
القوفاز يحضر رومى ليزود الباب بالآسلمة والأخبرة العسكرية كما يدعى
الأرمنى الرومى (متوجه دخان) الإسلام ليخدم الشاه ويحمى الباب في قصره
من بطش المسلمين ثم بخواول إدخال القاء في البالية .

وقد دخل يهود إيران في حرّكة البالية بشكل جماعي ففي أربع مدن وفي
مدة قصيرة دخل عام ٣٨٥ يهودياً ومن المسؤولين جولدزير المستشرق
روج لهذه الحرّكة ومن المبشرين في الغرب اهتم بها لورك كرزون ، استلين
كاربنتر ، براؤن ، فامبرى ، السكوفت جونبيو ، البروفسور جيمس وارمستر ،
أقولام ، البدى شول ، الدكتور جيل ،

هذه الطائفة انفسها بهذلـك إلى فرقـتين فـرقـة قـالت هـنـوـهـا غـلام وـفـرقـة
قـالت بـولـايـتـهـ : قـادـيـانـيـةـ وـأـحـدـيـةـ وـلـفـرـقـتـيـنـ مـآـربـ سـيـاسـيـةـ خـطـيرـةـ وـلـيـسـ
مـنـ فـرـقـ المـسـلـمـيـنـ وـإـنـ سـاـمـتـ وـصـلـتـ .

وقد أعلـنـ غـلامـ أـحـدـ آـدـيـانـ صـراـحةـ خـالـفـتـهـ لـلـاسـلـامـ (٣٠ـ يـولـيوـ
١٩٣١ـ جـرـيـدةـ الـفـضـلـ)ـ قـالـ : إـنـاـ نـخـالـفـ الـمـسـلـمـيـنـ فـ كـلـ شـيـءـ فـ إـنـهـ وـفـ
الـرـسـوـلـ وـفـيـ الـقـرـآنـ وـفـيـ الـصـلـاـةـ وـفـيـ الـصـومـ وـفـيـ الـحـجـ وـفـيـ الـرـزـكـ وـبـيـنـاـ
وـبـيـنـهـمـ خـلـافـ جـوـهـرـىـ فـ كـلـ ذـلـكـ .

وـمـكـذـاـ نـجـدـ أـنـ المـؤـامـرـةـ تـجـددـ فـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ لـيـسـ بـأـنـيـاتـ الـفـكـرـ
الـوـزـنـيـ وـالـهـلـفـيـ وـالـبـاطـنـيـ وـحـدـهـ فـ بـجـالـ التـرـاثـ وـالـتـارـيـخـ وـالـأـدـبـ ،ـ وـلـكـنـهاـ
تـجـددـ أـيـضـاـ فـ صـورـةـ دـعـوـاتـ وـحـرـكـاتـ تـخـمـلـ لـوـاءـ هـذـاـ الـفـكـرـ وـتـعـيـدـ
صـيـاغـتـهـ لـتـحـدـثـ فـ بـجـمـعـهـمـ مـاـ أـحـدـتـهـ الـدـعـوـاتـ الـهـدـامـةـ فـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ
وـالـخـامـسـ الـهـجـرـيـ فـيـانـ الـتـجـرـبـةـ تـتـكـرـرـ مـرـةـ أـخـرـىـ وـلـكـنـهاـ الـيـوـمـ أـشـدـ عـنـهـمـاـ
فـيـانـ إـرـادـةـ الـمـسـلـمـيـنـ الـآنـ لـيـسـ مـطـلـقـةـ فـ دـفـعـ أـعـاصـيرـ الـتـغـرـيبـ وـالـغـزوـ الـثـقـافـيـ
وـالـشـعـوـرـيـةـ الـتـيـ تـؤـيـدـهـاـ وـتـؤـازـرـهـاـ قـوـىـ الـاسـتـعـمـارـ وـالـصـهـيـونـيـةـ وـالـشـيـوخـيـةـ
وـتـحـاـلـوـلـ أـنـ تـفـرـضـهـاـ فـ بـجـالـ الـتـعـلـيمـ وـالـتـقـاـفـةـ .

وـلـقـدـ حـاـلـوـلـ الـاستـشـرـاقـ أـنـ يـمـدـعـ الـمـسـلـمـيـنـ بـهـذـهـ الـدـعـوـاتـ وـمـحـلـوـةـ
وـسـفـهـاـ بـأـنـهـاـ دـعـوـاتـ تـجـدـيدـ فـ الـإـسـلـامـ كـمـ قـالـ لـوـرـنـسـ بـرـاـونـ فـ كـتـابـهـ
طـوـالـعـ الـإـسـلـامـ الـذـيـ لـحـصـهـ وـقـدـمـهـ عـبـاسـ الـعـقادـ فـ جـلـةـ الرـسـالـةـ ١٩٤٥ـ
وـتـحدـثـ فـيـهـ عـنـ الـبـهـانـيـةـ وـالـقـادـيـانـيـةـ بـوـصـفـهـ دـعـوـاتـ إـصـلاحـ وـتـجـدـيدـ وـلـوـ
درـىـ لـعـرـفـ أـنـ الـقـادـيـانـيـةـ كـانـتـ الـبـدـيـلـ الـمـحـرـفـ عـنـ دـعـوـةـ الـجـهـادـ الـإـسـلـامـيـةـ
الـفـيـ اـهـنـهـ الـاـسـتـعـمـارـ وـقـضـىـ عـلـىـ دـعـاتـهـاـ فـهـىـ رـدـ فـعـلـ لـمـوـقـعـ زـعـمـاءـ الـمـسـلـمـيـنـ
فـ الـهـنـدـ مـنـ الـاـسـتـعـمـارـ الـأـنـجـلـيـزـيـ حـيـنـاـ اـهـزـمـ الـبـطـلـ الشـهـيدـ تـبـيـوـ سـلـطـانـ فـ
فـ مـعـ كـمـ بـيـسـورـ فـ جـنـوبـ الـهـنـدـ ١٧٢٩ـ وـأـصـبـعـ الـلـاـنـجـلـيـزـ نـفـوـدـأـ قـائـمـاـ وـقـدـ

ال المسلمين أمبراطورية ظلت أكثر من ستة قرون . ومن الناحية الاقتصادية
كان المسلمون هم الفاليين عليها وأصحاب الممارسة في الصناعة والزراعة ، فأغلق
الإنجليز المدارس وقطموا أيدي الصناع وحرموا عليهم الوظائف الرسمية
وشنل الجنود كيون الموالون للإنجليز وظائفهم ، لذلك فكر صفوة من
العلماء وهل رأيهم عبد العزيز الذهلوى ابن الشاه ولـ الله صاحب حجـة الله
بالغاـة فأفـى عبد العـزيـز بـأنـ المـنـدـ أـصـبـحـ دـارـ الحـربـ فـوجـبـ عـلـ الـسـلـمـينـ
أـنـ يـحـارـبـواـ الـاسـتـعـمـارـ فـقـامـ الـفـقـهـاءـ وـالـعـلـمـاءـ وـالـمـدـنـوـنـ وـالـمـصـوـفـونـ يـجـاهـدـونـ
فـيـ سـبـيلـ إـجـلـاءـ الـانـجـلـايـزـ وـكـوـنـواـ جـيـشـاـ كـبـيرـاـ قـادـةـ الشـهـيدـ إـسـمـاعـيلـ وـوـقـعـتـ
حـرـبـ دـامـيـةـ بـيـنـ الـاسـتـعـمـارـ وـخـلـفـانـهـ وـفـتـحـوـاـ مـدـنـاـ كـثـيرـةـ وـرـفـعـواـ فـيـهاـ رـاـيـةـ
الـاسـلـامـ وـوـدـعـتـ ١٨٣١ـ بـمـقـاطـعـةـ بـارـاـكـوبـ فـيـ بـنـجـابـ أـنـ اـنـزـمـ الـسـلـمـونـ
عـلـ أـيـدـىـ الـخـوـنـةـ مـنـ الـسـلـمـيـنـ أـنـفـسـهـمـ ، وـقـبـضـ الـاسـتـعـمـارـ عـلـ الـعـلـمـاءـ الـذـيـنـ
اشـتـرـكـواـ فـيـ الـجـهـادـ وـأـقـامـ فـيـ السـجـنـ وـأـفـيـتـ جـمـيعـ الـمـدـارـسـ وـأـنـدـيـةـ الـقـافـةـ
لـيـتـفـشـيـ فـيـهـمـ الـجـمـلـ وـالـفـقـرـ وـسـوـءـ الـحـلـقـ . وـهـبـ تـلـاـمـيـذـ الشـاهـ عبدـ العـزيـزـ مـرـةـ
أـخـرـىـ لـمـقـاـوـمـةـ الـاسـتـعـمـارـ وـجـاءـتـ نـورـةـ ١٨٥٧ـ الـتـىـ هـزـتـ الـاسـتـعـمـارـ وـالـتـىـ لـمـ
تـجـحـ وـأـقـعـ الـاسـتـعـمـارـ الـعـلـمـاءـ فـيـ عـنـتـةـ شـدـيـدةـ قـتـلـ الـكـثـيـرـوـنـ وـنـقـيـ الـكـثـيـرـوـنـ
إـلـىـ جـزـيـرـةـ أـنـدـوـمـانـ وـالـبـحـرـ الـأـسـوـدـ وـأـنـشـأـ الـاسـتـعـمـارـ مـنـ ١٨٥٨ـ إـلـىـ ١٨٨٧ـ.
خـمـسـ جـامـعـاتـ فـيـ مـدـنـ الـهـنـدـ الـكـبـرـىـ (ـكـلـتـاـ)ـ بـمـبـاـيـ (ـمـدـارـسـ)ـ لـاهـورـ
إـلـهـ أـبـادـ)ـ وـبـدـأـتـ تـدـرـسـ الـمـوـادـ الـحـدـيـثـةـ بـالـلـغـةـ الـأـبـجـيـةـ وـكـانـ تـلـاـمـيـذـ هـذـهـ
هـذـهـ جـامـعـاتـ هـمـ الـهـنـدـوـسـ وـأـرـادـ الـاسـتـعـمـارـ بـهـذـهـ جـامـعـاتـ القـضـاءـ عـلـ الـمـدـارـسـ
الـدـيـنـيـةـ وـالـفـاطـيـطـ الـاسـلـامـيـ فـيـ الـهـنـدـ قـامـتـنـعـ الـسـلـمـوـنـ عـنـ دـخـولـ تـلـكـ
الـجـامـعـاتـ . ثـمـ بـدـأـ الـسـلـمـوـنـ يـنـشـئـونـ مـدـرـسـةـ دـارـ الـعـلـومـ بـدـيـوـ بـنـدـ لـلـمـحـافظـةـ
عـلـ تـرـاثـ الـسـلـمـوـنـ وـتـخـرـيـجـ الدـعـاـةـ لـكـيـ يـقـوـدـوـاـ الـسـلـمـوـنـ خـدـ الـاسـتـعـمـارـ فـظـهـرـ
عـمـدـ قـاسـمـ الـفـانـشـوـيـ وـرـشـيـدـ أـحـمـدـ الـكـنـوـلـوـهـيـ وـحـاجـيـ إـمـدادـ اللهـ وـخـرـجـ
عـلـ أـبـدـيـمـ صـفـوـةـ مـنـ الـعـلـمـاءـ .

ولما رأى المايدون والمسالمون أن المسلمين لم يدخلوا هذه الجامعات ويدخلها المندوس وحدهم ، أنشأ أحد خان (كلية محمدية) ١٨٧٧ لكي يدرس فيها المسلمون وقد قعلم فيها محمد علي ومحمد إقبال والزعامة المسلمين الكبار الذين قادوا الأمة الإسلامية في الهند في منتصف القرن العشرين .

ويفرق بعض الباحثين بين دعوة أحد خان وبين دعوة غلام أحمد القادياني ، ويرى البعض الآخر أن دعوة أحد خان هي مقدمة للقاديانية ، ويرى الآخرون أن أحد خان شأنه في الهند شأن محمد عبده في مصر ، أراد أن لا تفوت المسلمين الفرصة وأن يأخذوا طريقاً وسراً حتى لا يحررون من التعليم الحديث وذلك بسمة الاستعمار .

(٤)

ولم يلبث الإنجليز أن عدوا إلى إبراز «القاديانية» ، لتعريف مفهوم الإسلام الأصيل ، وظاهرت حكومة الهند هذه النحلة ونقلت دعاتها إلى بريطانيا وأوجدت جريدة باسمهم (إسلاميك ريفيو) تنشر عقائدهم ودعائتهم وتبني دعوتهم جماعة من الإنجليز وأبناؤها جاءوا في حي ووكنج بلندن وقد عرفوا بجماعة الأحادية ، وقد ترجوا القرآن إلى اللعنين الإنجليزية والأردية .

وجرت محاولات للتفرقة بين الأحادية والقاديانية : فقال عبد الحميد السيد : أن غلام أحمد زعم أنه مخاص ومجدد في أول أمره ، ثم ترقى به الحال إلى أن ادعى أنه المسيح المولود والمهدى المعروض لهذه الأمة ، ثم نجراً فأعلن أنه نبي ورسول من آله لكافلة البشر ، وفي كل دور ألف كتاباً تناسب ادعاه فيه ، وفي الدور الأخير من حياته بنحو سبع سنوات ألف وكتب مدعايا النبوة والرسالة بنصوص قطعية .

ورأت هذه الجماعة أن دعوى النبوة والرسالة بعد خاتم الرسل لما لا يستسيغه منطق المسلمين، ولا ينخدع به مسلم أبداً، فانتفقوا بعد زمن يسير على أن يقولوا أنه لم يدع النبوة، مع أن كتبه التي يدعى فيها النبوة مطبوعة وادعاء النبوة صريح، وهي مسؤولة بثمت الأنبياء والصحابة وأآل البيت وسلاف المسلمين، وأعادوا اطبع كتبه التي ألفها في الدور الأول وليس فيها ادعاء للنبوة، بل فيها إنكار لها، وتركوا الكتب التي ألفها أخيراً وقبل ماته.

وكان محمد على الاهوري زعيم الفرق الأحادية من كبار أصحاب غلام أحد القاديانى ، وكان من أبرزهم في الخطابة وأبرعهم في الكتابة ، فهو الذي ترجم القرآن إلى الإنجليزية وفترة وحده وغير معاينه في مواضع شئ وفق تفسير متبعه القاديانى ، ومنه ادعاه بنزول الوحي على غير الأنبياء عليهم السلام ، ويؤمن الأحادية الاهوريون بأن المسيح الموعود والمهدى الممدود المرزا غلام أحد القاديانى هو منجي العالم والإلهان بمحمد صلى الله عليه وسلم وغلام أحد بهما .

وقد وجد الباحثون والمورخون وجوه لقاً واسدة ومتعددة بين البهائية والقاديانية ، فقد ظهرت الدعويان في قرن واحد ، أما البهائى فقد عرف نفسه بأنه الممثل الحقيق للأنباء السابعين ، وأنه تجتمع فيه كل الرسالات الإلهية ، وتنلق فيه البيانات جميعاً وهو لا يعتبر الرسالة المحمدية آخر الرسالات ويعتقد بالحلول ، ويقول إن اليوم الآخر والجنة والنار ليست إلا رموزاً للحياة الروحية .

وأفاد تبيان أن البهائية هي دينية الصهيونية ، وهي التي احتضنتها وأقامت مرااً كثراً في جبل الكرمل في حيفا في فلسطين ، وفي إسرائيل (١٩٦٨) فقد المؤتمر البهائى العالمي ، حضره ٢٢٥ شخص اختياراً من ٨١ جمعية وطنية تابعة للمعقيدة البهائية في القرارات الخمس ، وأعلن المؤتمرون أنهم يدعون إلى وحدة الجنس البشري وإلى السلام العالمي .

ويلتقي ما تروج له البهائية مع ما تروج له المنظارات الماسونية ، فهم جميعاً يسيطرون تقويض الدين من في نفوس الناس ، ومحو أنواره في المجتمع البشري كله .

وتعلن البهائية ما تعلمه الماسونية من الحديث عن سحق العدو الأزلي

الدين، مع إزالة رجاله، وحـدـم التـرـددـ في شـنـ الحـربـ عـلـيـ كـافـةـ الـأـديـانـ .
لـأـنـهـاـفـ دـعـوـاـمـ الـعـدـوـ الـحـقـيقـ لـبـشـرـيـةـ ، وـلـأـنـهـاـ سـبـبـ النـطـاحـنـ بـيـنـ الـأـفـرـادـ .
وـلـأـمـ عـبـرـ النـارـيـخـ ، وـبـيـدـ الـبـهـانـيـونـ عـلـىـ الـمـاسـوـنـ فـيـ أـنـهـمـ أـنـشـأـوـاـ دـيـنـاـ .
جـ.ـدـيـدـاـ يـشـرـوـنـ بـهـ وـهـ مـزـيجـ عـجـيبـ مـنـ الـعـقـائـدـ الـصـاهـيـرـيـةـ وـالـفـكـرـ الـبـشـرـيـ .
كـحـلـ وـسـطـ لـلـصـرـاعـ بـيـنـ أـهـلـ الـأـدـيـانـ ، فـقـيـ الـبـهـانـيـةـ آـيـاتـ مـنـ الـقـرـآنـ .
وـفـصـوصـ مـنـ الـتـورـاةـ ، وـفـقـراتـ مـنـ الـإـنـجـيلـ ، وـأـفـيـ بـاسـاتـ مـنـ الـبـوـذـيـةـ .
وـالـكـنـفـوـشـيـوـسـيـةـ .

وـقـدـ تـبـيـنـ أـنـ إـلـيـوـدـيـةـ الـعـالـمـيـةـ وـرـاءـ هـذـهـ دـعـوـيـةـ الزـانـفـةـ .

(٥)

الروحية الحديثة

وـمـنـ الدـعـوـاتـ الـجـدـيـدـةـ الـقـىـ جــدـدـتـ الـفـكـرـ الـبـاـعـانـيـ وـالـوـنـىـ الـقـدـيمـ .
دـعـوـةـ الـرـوـحـيـةـ الـمـدـيـرـةـ الـتـىـ تـمـثـلـ فـيـ ذـلـكـ التـيـارـ الـذـىـ يـغـمـرـ عـالـمـ الـإـسـلامـ .
بـالـجـمـعـيـاتـ الـرـوـحـيـةـ ، وـمـاـيـتـبـعـ ذـلـكـ مـنـ مـؤـلـفـاتـ وـكـنـبـاتـ تـحـاـولـ إـقـرـارـ هـذـاـ
الـمـعـنىـ فـيـ النـفـوسـ .

وـلـقـدـ بـدـأـتـ درـاسـتـ الـرـوـحـيـةـ فـيـ الـغـرـبـ عـلـيـ يـدـ جـاهـاتـ ظـاهـرـتـ أـنـهـاـ
تـسـقـطـيـعـ أـنـ تـعـارـضـ الـمـذـهـبـ الـمـادـيـ وـتـكـشـفـ مـفـاسـدـهـ ، وـلـكـنـ قـوىـ
الـصـهـيـونـيـةـ الـعـالـمـيـةـ اـسـتـطـاعـتـ أـنـ تـسـبـطـ عـلـىـ هـذـهـ الجـمـاعـاتـ وـتـوجـهـهاـ وـجـهـةـ
أـخـرـىـ ، أـرـادـتـ بـهـ هـدـمـ الـجـمـعـيـاتـ وـتـصـوـرـهـاـ عـلـىـ أـنـهـ دـيـنـ جـدـيدـ يـنـشـرـ
الـفـوـضـىـ وـالـشـكـلـكـ فـيـ كـلـ الـمـقـرـاتـ الـدـينـيـةـ وـالـخـلـفـيـةـ ، وـبـذـلـكـ تـصـبـعـ شـعـبـةـ
مـنـ الدـعـوـاتـ الـمـرـيـيـةـ الـتـىـ تـأـخـذـ النـاسـ مـنـ كـلـ جـانـبـ وـالـتـىـ تـلـبـسـ مـخـنـافـ
الـأـثـرـابـ وـعـنـىـ حـقـيقـتـهاـ تـحـتـ شـتـيـ الـأـسـمـاءـ ، وـأـبـرـزـ مـاـيـكـشـفـ فـسـادـهـ مـذـهـبـ
الـرـوـحـيـةـ الـمـدـيـرـةـ لـنـهـاـ تـقـيمـ تـعـالـيـهـاـ عـلـىـ مـفـاهـيمـ وـحـدـةـ الـوـجـوهـ وـتـنـاسـخـ
الـأـرـوـاحـ وـخـلـودـ الـحـيـاةـ فـلـاـ فـنـاءـ لـلـدـنـبـاـ ، وـإـنـهـ لـيـسـ هـنـاكـ يـوـمـ لـلـبـعـثـ

والحساب العام والعادات المقررة لا وزن لها عندهم ، وكذلك إنسكار حق
الله للكون ومحاولة الترويج لقدم العالم وإنسكار نهاية الخليقة وهي بذلك
شبكة بالبهاء الحديثة والذهبية القديمة ، والمعروف أن فكرة تنازع
الأرواح وخلود الدنيا وإنكار الجزاء هي نفس مبادىء المسؤولية مصوّفة
في أسلوب حديد ، وققوم الروحية الحديثة على معادة الأديان وخاصة
الإسلام ، وتكشف في كثير من إيمانها عن صلتها باليهودية التلودية ،
ولذلك فإن دعوة الروحية يهاجون رجال الدين عامة كدخل إلى مهاجمة
الآديان نفسها ، ويركزون على السخرية منهم واتهامهم بالتقسيط والتأخير
والتجويد إلى غير ذلك مما يراد إلصاقه بالدين نفسه فضلاً عن إنسكار علماء
الدين لما يدعونه من انتصال بالأرواح أو ما يسمونه بالعلاج الروحي ومم
فنفس الوقت يهددون الوثنية والنحل القديمة ويملئون من شأن الفرعونية
ويستخدمون من أسمائها رموزاً لهم ولخلفهم — وهم يستخدمون بعض
الأرواح الفرعونية مثل روح (رع آمون رع) و (هيبوت) ويطلقون
اسم جماعة الأهرام على مخلفهم وبركترون على الآثار والكشف عنها ويملئون
هذه السكشوف عنابة كبيرة .

كذلك فإن الروحية الحديثة ترتكز على هدم الأخلاق ونفي الاختيار
والقول بالجبر ، وهم في دراساتهم الروحية يتخدون نفس الأسلوب الذي
انخذته الدراسات النفسية في تبرير الجريمة والاعتذار عن المجرم ووصفه
بأنه مريض ومحاولة إرجاع دوافعه إلى صد نفسي .

ومن أخطر دعواتهم وأكذبها قوله إن الجنة والظاهر فكرة عقلية أو
حالة نفسية ، وإن الناس على اختلاف أديانهم وعلى اختلاف نحاجهم وطبعاتهم
يعيشون فيها وراء الموت حياة هي نفس حياتهم على الأرض ، وإن فرص
التكثير عن الذنب لا ينقطع بهم وهم بذلك يهددون أكبر رادع
(١٢٣ — المؤامرة على الإسلام)

للناس عن الظلم والفساد وهم يدعون أن القيامة هي قيامة آدم الجديد الذي ي تقوم على وجه الأرض في عالم لا يحكمه إلا السلام ونسوذه الروحية .

وهكذا نجد الروحية الحديثة صورة أخرى من الماسونية والبهائية والقاديانية فهي تقوم على رموز وأسرار وها درجات ولم تتفق ألا لانسانية . ولكن أنشئت لأهداف خاصة . ويقول علماء الروحية أن الإنسان خالد على الأرض وإن الوحي لم ينقطع بوفاة محمد وإن الأنبياء ليسوا إلا وسبطاً وإن العالم يتبعاً الآن للقرآن الجديد الذي نأى به الأرواح لتنقض العالم من حياة الضراعة والشروع .

وهم يهدون لنبي جديد يطلقون عليه اسم (سلفربوش) وهو الأسماء اليهودية ولا ريب أن الدعوة إلى أن الروحية وحدتها هي قوام الفكر والحياة ليست إلا دعوة عائلة للمادية التي ترى أنها وحدتها قوام الفكر والحياة والروحية بذلك إنما تمثل معارضة للإسلام: بين الحق الجامع المتكامل بين الروح والمادة، وهكذا نجد أن اليهودية العالمية تسسيطر اليوم على الدعوتين المادية والروحية وكلامها دعوة باطلة وبيق الإسلام متبايناً بنظامه ودعوته إلى الإيمان باقه وبجميع ما تتشده الروحية من مقاومة الإلحاد والمادوية .

ومن أكبر أخطاء الروحية الحديثة قولها أن العلم الروحي قد أصبح علماً فخر يلياً لا لبس فيه ولا غوض وإن التواصل بين الأحياء والموت لا شك فيه، ولا ريب أن الروح بعد الموت تدخل في عالم آخر ومن الزيف أن يقال إنها بما يمكن الاتصال به أو الحديث إليه .

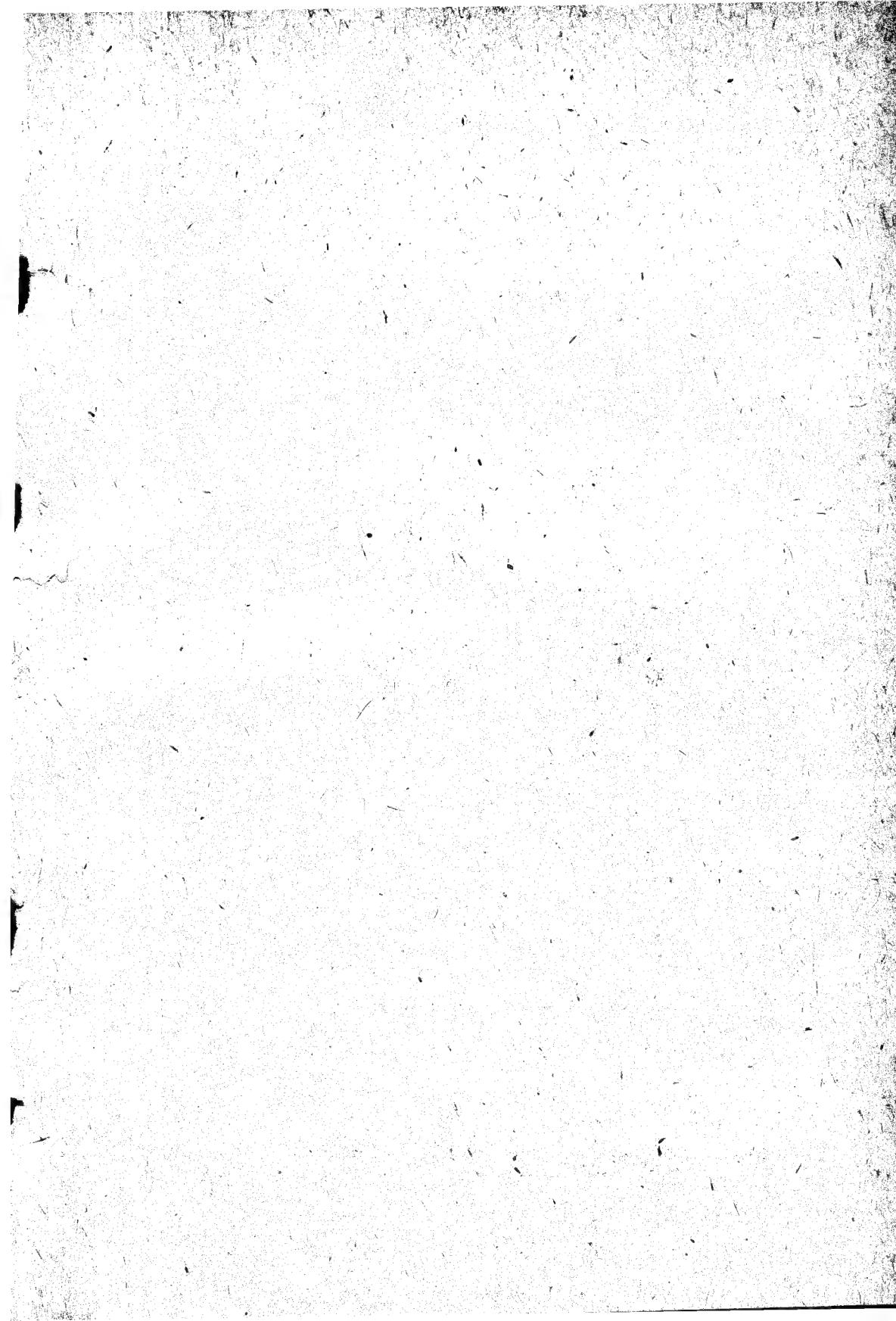
وتلتقي الروحية الحديثة مع البهائية في دعواها بالنبوة الجديدة والأفاق الجديدة ولا ريب أن اليهودية العالمية تمهد بذلك لخبطها الذي كشفت عنه بروتوكولات صهيون وتتحذى من هذه الدعوات مناذن ونهوات إلى هذا الخبط .

ويشير الأستاذ عبد الرافعى فى كتابه الشخصية الإسرائىلية إلى هذا المعنى فيقول إن الجمعيات الروحية ذات صلة بالتي طايط اليهودى أكثر من صيتها بتحضير الأرواح وإن هذه الجماعات المنتشرة فى مصر وغيرها إنما تصنف فى أعمقها التلودية الخطيرة وإن هذه الجمعيات لم تنشأ للتنفسية ولكنها أنشئت لأهداف خاصة وها نشراتها وكتبها و مجالاتها .

ويقول : إن الروحية الحديثة مختلط إسرائىل وأوضاع الهدف والأسلوب والهدف مثل الماسونية تماماً ، وهى انتزاع الشخص من دينه ومن قوميته وصبه فى قالب جديد من العالمية أو الكونية ، وهى تستخدمن لذلك مختلف الوسائل حتى أنها تستخدمن الدين فى هدم الدين ، ويقول علماء الروحية : إن الإنسان خالد على الأرض ، وإن الوحي لم ينقطع بوفاة محمد وإن الأنبياء ليسوا إلا وسطاء ، وإن العالم يهند اليوم للقرآن الجديد الذى نادى به الأرواح وللروحين الآن فائد هو شخص هندي ذو صفات تجده مرسومة فى قاعاتهم ، واسمها سلفريش ، وهو عندهم آدم الجديد الذى سيكون خليفة الله فى الأرض ، وهم يقولون الآيات القرآنية تأويلاً عجياً توصلان إلى منهجهم ، وهم ينكرون القيمة على ما يفهمها الفقهاء لأنهم يعتقدون أن الأرض خالدة ، وإن الإنسان خالد فيها ، وتفق هذه المفاهيم مع التلودية التى تقوم عليها الصهيونية ، ولقد كان من أخطر الدعاء إلى ذلك ، فهو من أبو الحير وعبد الجليل راضى ، ومن قبل مجلة المقتطف ، ولقد أغرت المسائل الروحية بعض الكتاب المسلمين ، فظنوا أنها فوهة جديدة فى مواجهة الفكر المادى ، ولكن تبين من بعد أن اليهودية العالمية قد احتوت هذه الدعوة وحوتها إلى غايتهاهى ، ولنفس الغاية التى عممت لها الماسونية لتحطيم الدين جرياً وراء حادثتهم التى تقول إنه لا بد أن تحطم الدين بيد

أتباعه فذلك هو السبيل أمام المسؤولية لكي ترکب أکشاف العالم في جدید
وهكذا نجد أن المؤامرة على الإسلام تتجدد في المجالين : مجال الفكر
ومجال الحركة ، ونجد أن الفكر البشري اليوم كله حاصل بخاطع المسؤولية
والماركسية وإنه يستهدف اختفاء الفكر الإسلامي ، وإن هناك خوالة
جديدة تعمل على تحديد المؤامرة القديمة التي واجهها المسلمون في صدر
الإسلام وحطموها تماماً بإعلان مفهوم الأصيل ، واليوم تواجه حركة
البعثة الإسلامية الخوالة الجديدة وتكشف زيفها وتفسّد أهوانها وتزيف
شعاراتها وصولاً إلى القضاء عليها .

الباب الثاني
الأصالة الإسلامية
في مواجهة المؤامرة على الإسلام



أولاً : من الفرق إلى السنة الجامحة

(١)

منذ اليوم الأول لظهور حركة (المؤامرة على الإسلام) في القرن الثاني للهجرة فقد قاتلت المواجهة الصادقة والمعارضة الصريحة ، على يد السنة والجماعة فردت فسادها وكشفت زيفها ونفضت شهانها وأبانت بالدليل أنها حركة معادية للإسلام ناشئة من دين أجنبي وأنها حركة خارجية أصلًا تلتقم في محيط المجتمع الإسلامي خيوطًا لتدمير القيم الإسلامية كقدمة لتدمیر النظام الإسلامي نفسه وبيّنت أنها وثيقة الصلة بأعداء الإسلام وقد تبيّن أن هناك معاهدات وعقود بين دولة الروم وهذه القوى فضلاً عن تأميم القوى المجوسية الفارسية القديمة وأكده الباحثون المسلمين أن الذين وضعوا أساس الشعوبية والباطنية كانوا من أولاد المجوس كانوا مائلين إلى دين أسلافهم متطلعين إلى هدم الإسلام عن طريق فكره بعد أن عجزوا عن هدمه عن طريق دولته .

أولاً : أنكرت السنة : التشبيه والتعطيل وكشفت عن أن المشبهة وثنية والمطليسون ملحدون وتعقبت في نفس الوقت الملحدين والوثنيين وكشفت عنهم .

ثانياً : عارضت السنة إخضاع الإسلام للجدل العقلي ودعت إلى القاسم المبين الأول والنبع الأصيل (القرآن والسنة) .

ثالثاً : كشفت السنة عن فساد إلهيات أرسطيو لأن مقدماتها ونتائجها معارضة أشد المعارضه لمفهوم التوحيد الخالص وأبانت أن المقابد مرجحها إلى الكتاب والسنة .

رابعاً : أستوعبت السنة كل المطابع والأمال التي كانت الفرق المختلفة تنادي بها بجعلت محبة أهل البيت جزءاً من عقيدتها وجعلت العقلانية التي رفعت لواءها المعتزلة شطر المعرفة وجعلت الوج다انية التي حل لواءها التصوف شطر المعرفة الأخرى وجعلت اختبار الحكم على أساس الشورى وليس على أساس النسب أساساً من أسس مفهومها .

خامساً : قاومت السنة الإتجاه «الزائف نحو القول بوحدة الوجود أو الخلو أو الانعداد كما قاومت انحرافات المعتزلة وال فلاسفة والصوفية فانتقت كل هذه القطاعات في أصل جامع .

سادساً : كشفت السنة عن أن النظر الفلسفى لا يمكن أن يكون أساساً للتفكير الإسلامى ذلك أن هناك مجموعة من الحقائق الأولية لا يمكن الوصول إليها ولا عن طريق الوحي والتبوه ، وبينت أن الفلسفة ليست فريدة الوحي ولا مناظرة له فهى لا تزيد عن كونها استخداماً للعقل وتفكيراً منظماً يمكن أن يستخدمه الناس في الدين أو في أي موضوع آخر ، وهي في أحسن صورها تعمل على أن تمتص الفهمن من الخطأ في الاستنباط والبرهان .

سابعاً : رأت السنة أن القرآن كلام الله القديم ولكن التعبير عنه بالكلمات والمحروف قد خلق ووجد في حدود الزمان ولكن من عند الله وأن في لغة القرآن العربية أحد الأدلة على أصله الشعوى .

ثامناً : أصبحت السنة هي البوقة التي انصهرت فيها كل الثقافات فهي بمثابة النهر الكبير والمذاهب والفرق روافد ، وخير ما هذه الروافد فقد انصهر في مفهوم جامع الأصالة الإسلامية وصب في النهر الكبير وكان أبلغ ما وصلت إليه هذه الغاية فهو قول الإمام الغزالى أن أساليب القرآن أرجح في سلامة المقيدة

والالتزام حفاظه الفطرة من جملة أسلوب البيزنطي والتكلميون ، ومن ثم خبرت السنة المترفة والفلسفية والتكلمية والشيعة والصوفية في بونتها فاصبح القول في خدمة الموسى يسير في ضوئه ، وأباح فقهاء المسلمين قدرًا كبيراً من التأويل والإختلاف في الفروع دون أن يتتجاوزوا مبدأ الولاء للجماعة ودعوا عن الوحدة الجامحة والنظرية المتكاملة في وجه الانحرافات المدama ودعوا هذه الأسس بمبدأ ينص على أنه إذا اجتمع الفقهاء المجتهدون على مسألة كبرى من مسائل المقيدة والتفقه فإن اجتماعهم حاسم فاطح أما المسائل الصغرى فلا مانع من الاختلاف حولها وتميزت السنة بأها توجّت منه البداية إلى إبراز العناصر الجامحة لا إلى إبراز دور الفرد ، حتى الأفراد الذين قاموا بدور بارز كانوا بمثابة عينين للنظرية الجامحة لا مفكرين مبتدعين .

ناتسعاً : استطاعت السنة أن تمثل في أعمال ثلاثة رجال كبار : الشافعى والأشرى وأبن حنبل فقد قاوم هؤلاء اختصار المزاولة على الإسلام مثله في الملبنة الراحفة وعمل في هذا الخبط كثيرون من العلماء الأبرار على نحو مكن من استئصال الباطنية من حيث أنها فوة معنوية ، وعندما تحطم مفاهيم الباطنية تحت سنابك السنة سقطت كفوة سياسية .

عاشرًا : كان لاحياء السنة وبناء معاهدها ومدارسها وتجديدها نذكرها في مواجهة الفكر الشعوبى والباطنى وقيام جهادات النساع الخلق ولإيقاظ روح الجماد عالماً بما في القضاء على القوى الخارجى كالحملات الصليبية والقوى الداخلية كالباطنية والخاشين . وقد استطاع الإمام الغزالى أن يزيل الحواجز بين الفقه ومفهوم التربية الاسلامية والأخلاق (التصوف والزهد) وذلك بالكشف عن أن الاسلام : عقيدة وشريعة وأخلاقاً وبذلك سقط ذلك الحلال المصطنع بين الفقهاء والصوفية والذى أغرت به مفاهيم الملبنة .

حادي عشر : استطاع مفهوم السنة : وهو مفهوم الأصالة الإسلامية
الجامع أن يقضى على القلو في كل تلك الفرق وبذلك تبين أن السنة ليست
مذهبًا مبينا بين المذاهب ، وليس طرفة من الأطراف : يقول ابن القيم
المجازي : وأهل السنة لا مع مؤلاه ولا مع هؤلاء بل هم مع هؤلاء فيما
أصابوا فيه فحفل حق مع طائفته من الطوائف
فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم فذهبهم حق جميع الطوائف بعضه
إلى بعض ، القول به ونصره ومؤلفه أهل في ذلك الوجه ونفي باطل كل
طائفه من الطوائف وكسره ومعاداة أهلها من هذا الوجه فهم حكام بين
الطوائف لا يعاملون بدعة يدعاة ولا يرون باطلًا يباعث ولا يحملهم شفاعة
قوم لا يعدلوا فيهم بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالاتهم بالعدل .

ومن هنا تسقط تلك الدعاوى الباطلة التي يدعى بها أمثال زكي نجيب محمود
وغيره من أن السنة فرقه أو طائفه بينما السنة هي مدرسة الأصالة الإسلامية
التي تجمع خير ما في الفرق وتحكم بينها وترفع عن الخلاف حول الأفراد
والأشخاص وتقرر أن هذا الخلاف هو الذي أفسد المفاهيم الإسلامية .

ثاني عشر : تبين بما لا يدع مجالًا للشك أن الاجتئاد بالرأي كان بداية
النظر العقل في الفكر الإسلامي وقد نما وترعرع في رعاية القرآن ونشأت
عنه المذاهب الفقهية وأينع في جنباته علم أصول الفقه ونبت في تربته
التصوف وذلك قبل أن تفعل الفلسفة اليونانية فعلمها فيها وجمت به المسلمين
إلى البحث فيها وراء الطبيعة والإطيات ، وبذلك لم يكن هناك أى تأثير اجنبى
في تشكين الفقه الذى هو وليد القرآن وآثار الصحابة والجبلين الأوليين من
التابعين وكان المنطلق لذلك كله هو أن الرسول أذن لولاته في الأمصار أن
يجهدوا برأيهم حين لا يجدون نصاً بذلك فقد كان ظبيعاً أن يقاوم أهل
السنة بالذات إهياً أو سلطوا لأنها في مقدماتها ونتائجها كانت تعتبر متعارضة
أشد التعارض مع مقتضيات هقائد الإسلام .

وقد أفسى القرآن إلى الإقناع أساليب مختلفة منها الأسلوب العقلي وأسلوب الوجدان وأسلوب العبرة التاريخية فلم يُولِّت براهينه في مقدمات وقضايا ونتائج كالفلسفة ومن هنا فإن الرأي والقياس أمور عرفها المسلمين منذ عهد النبي وقبل الإتصال بالفلسفة اليونانية .

ثالث عشر : أن السلف هم أول من رد على الجهمية ومذهبهم في التعطيل وإنكار الصفات وفي القول بخلق القرآن فقد تصدى لذلك مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم وبينوا فساد ذلك كله وإنحرافه عن مفهوم الكتاب والسنة وكانت مقالة الجهمية هي أول فتنة التأويل التي أدت إلى تعطيل النصوص والتجاوز بها عن معانٍها التي وضعت لها لغة وشرعاً إلى معانٍ وآراء مدخلة الباطنية والغنوسية وغيرها من التحعل التي كانت ترسي إلى عدم الشريعة وإضلال معتقداتها وببلة ما استقر في قلوبهم وامتزج ببنفسهم من عقائد واضحة لا ليس فيها ولا شائبة من غموض .

وكان أبلغ من رد على هذه الفرق الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة وناصر الله . رد على الجهمية والزنادقة الذين يشككون الناس في القرآن ويأخذون آيات معينة مقطوعة عن سياقها وعن جملة القرآن ويدعون أنها متناقضة مع آيات أخرى ، والذين أخذوا بعض المتشابه من القرآن وضلوا به وأضلوا .

وقد اعتمد أحمد بن حنبل في (تفسير القرآن بالقرآن) على أصول اللغة العربية ومواضيعها وعلى لسان العرب وقانونه في مخاطبتهم ومحاجوتهم ، تلك اللغة التي لم يكن هؤلاء الزنادقة على معرفة بها ولا على اطلاع على أسرارها اطلاع بن حنبل عليها وعلى كل ما يتصل بها من مواصفات الشرع وألفاظه واستعمالاتها وأعلن ابن حنبل أن القرآن ليس قدماً ولا حادثاً رأته كلام الله لا أقول خلوقاً أو غير خلائق .

رابع عشر : هاجم الإمام بن حبيل فتنته تحطيم سلسل الصفات وتحطيم التكليف والشرع لزام مؤامرة الجهمية في القول بأن الإنسان ليس له اختيار أو إرادة أو كسب وقد جعلوا الإنسان بمنابه حال أو شجرة .

خامس عشر : قرر ابن تيمية أنه لا سبيل إلى معرفة المقيدة والأحكام وكل ما يتصل بها إلا جالاً وتعطيلاً وإعتقاداً وإستدلاً إلا من القرآن والسنة المبينة له والنمير في مسارها فما يقرره القرآن ونشرحه السنة مقبول لا يصح رده وردده خلع للشريعة فليس للعقل سلطان في تأويل القرآن وتفسيره ومحض وجهه إلا بالقدر الذي توؤدي إليه العبارات وإذا كان العقل بعد ذلك سلطاناً فهو في التصديق والإذعان وبيان تقريب المعمول من المعمول وعدم المنافرة بينهما، فالعقل يكون شاهداً ولا يكون حاكماً ويكون مقرراً مؤيداً ولا يكون نائماً ولا رافيناً، ويكون موظعاً لما اشتغل عليه القرآن من الأدلة والتقليل دراء النقل (أي الوحي) يعززه ويقويه ولا يستقبل بالاستدلال بل يقوم على تقريب معانى النصوص .

سادس عشر : يقرر ابن تيمية أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء وأنه لا شيء في السكون بغير إرادةاته وأنه لا ينماز عه أحد من خلقه وأن الله قادر على حقيقة وله مشيئة وإرادة كاملة تجعله قادرًا على فعل وأن الله تعالى ييسر فعل الخير ويركتبه ويحبه ولا يسر فعل الشر ولا يحبه وأن العبد يفعل ما يشاء بقدرةه وإراداته (من شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله) .

سابع عشر : يقرر الشافعى : أن القرآن نزل بلسان العرب دون فهو وإنما عاطب الله بكلماته العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها .

وأكدت الأدلة على كذب الادعاء بأن البلاغة العربية تأثرت بخبطابة أرسلا وشمره في نشأتها وتطورها ذلك أن العرب عرفوا البلاغة وفتوتها

قبل أن يترجم كتاب أرسسطو وليس في كتب البلاغة العربية ما يدل دلالة واضحة على هذا التأثر أو النقل الصريح والدليل على ذلك فشل منهج قدامه في نقد الشعر الذي اعتمد فيه على منهج أرسسطو فقد أضف عليه جفاءً لا يقبله الذوق العربي السليم ولوضع حدوداً ورسوماً لازلام الشاعر العربي .

ثامن عشر : كشف رجال الأصالة الإسلامية (السنة) أن النزعة المقلية التي دافع عنها المعتزلة كانت تختنق العقيدة وأنها حولتها من يسرها وبساطتها إلى مذهب فلسي معقد بعيد عن روح الإسلام وكانت أخطاء المعتزلة : إخضاع العقل للوحي ، وإعلام العقل على الوحي .

وكانت حجة أهل السنة أن العقل واحداً في الناس وأن أهل الكلام ليسوا على رأي واحد في المسائل التي يبحثونها وعدم اتفاق المتكلمين دليل على صغر العقل وقصوره . والعقل ليس حكماً فيما وراء الطبيعة ولا على ماجاه في الشرع ذلك أن العقل ماهر عن إدراك ما وراء المحس وصاحب الشريعة الحق تبارك وتعالى أدرى بمحاسن الناس من أنفسهم .

ويقول ابن تيمية : إذا كان العقل سلطاناً في التصديق والإذعان وبيان تقريب المقول من المقبول وعدم المنافرة بينما فالعقل يكون شاهداً ولا يكون ساكناً ويكون مقرراً ممدياً ولا يكون ناقضاً ولا رافضاً .

تاسع عشر : وصل كثير من مفكري الإسلام إلى نفس النتيجة التي وصل إليها الغزالي : حتى قال الرازى في آخر أيامه : لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فدارأيت فيها قائدة تساوى القائدة التي وجدتها في القرآن لأنّه يسعى في تسلیم العظمة والجلال لله تبارك وتعالى وينبع من التعمق عن إبراز المعارضات والمناقضات وما ذاك إلا للعلم بأن المقول البشرية تتلاشى في تلك المصابق العميقه والمناهج الخفية .

عشرون : قرار ابن تيمية أن المقادن لا تؤخذ إلا من النصوص وأن السلفيون يؤمنون بالنص لأنه موسى إلى النبي وأن الأساليب المقلية المنشقة مستحدثة في الإسلام ولم تكن معروفة قطعاً عن الصحابة والتابعين فإذا قلنا أنها بخوروية لفهم المقادن فزدوى ذلك أن هؤلاء السلف ما كانوا يفهمون المقادن على وجهها وأن الطريق الصحيح أن تؤخذ العقيدة من القرآن وفق مفهومهما في عهد الصحابة والتابعين وأن يتقييد الناس بأدلة القرآن .

• • •

ولقد كان لهذا الفهم أثره الواضح في استئصال الباطنية والشيعية وتحطيم مذاهومها والقضاء على المؤامرة وكان ذلك منطلقاً إلى ظهور حركة الجهاد الضخمة الواسعة التي حررت العالم الإسلامي من التتار والصلبيين وحملت بقایا القلاع الباطنية وبعثوب الحشاشين .

ولن تستطيع أن تفعل اليوم في مواجهة المؤامرة المتتجدة (الشيعية الشبوانية الاستعمارية) إلا ما فعله المسلمون على السهو الذي فرره ابن تيمية والشافعى والأشعرى والمرزاوى فى إسقاط الهلينية والباطنية والشيعية .

ثانياً : من التبعية إلى الأصالة

من صنن الفكر الإسلامي وقانونه القائم الذي لا يتحول ولا يتغير : فذرته على تصحيح مساره عندما ينحرف وابعاث حرارة يفطرة من داخله دون عامل خارجي ، وتوهج ضوء الأصالة فيه فيقضى على كل حاولات التزيف في حالة الأزمة التي تفرض فيها القوى الفازية ، التبعية ، لها بما يمكن الفكر الإسلامي من كسر هذا القيد والانطلاق بقوته الذاتية نحو المتابع خارجاً من دائرة الأنبية والاحتواء التي تفرض عليه .

وقد كان هذا جلياً في أزمات الاعتزال والفلسفة والتصرف الفلسفى وفي المصر الحديث نجد هذه الصورة واضحة تماماً :

نجد المدرسة الحديثة التي حملت لواد الدغوة إلى الفكر البشري مثلاً في الفكر الغربي تهزم شيئاً وتفسح من مواقها في فرض التبعية إلى معادلة جديدة بعد أن اكتشفت صغرها عن إخضاع الفكر الإسلامي لمؤامرة التغريب والغزو الثقافي وتعلن أنها كانت لاترى أبعاد الأمور ، أو أنه قد ضرر بها في كلات غربية برافة كالحرية والإخاء والمساواة ، ولم تلبث الأيام أن أثبتت فساد ذلك وزيفه ، ومن ثم نرى هؤلاء الذين حلوا لواد الدغوة إلى الفكر الغربي وإلى الفرعونية ، والباطنية والشعوبية والإقليمية (هيكل ومنصور فهمي والعقاد و توفيق الحكيم ووزكي مبارك وإسماعيل مظہر) يذوبون مرة أخرى إلى التراث الإسلامي يستلهمونه ويرون أنه وحده القادر على العطاء ، والمصدر الأصيل لما يجسون بين القديم والجديد .

وبالرغم من خصوص هؤلاء الكتاب لمناهج التحليل الغربي وهي مناهج لاصلاح للتطبيق على الفكر الإسلامي والتراث الإسلامي ، وأصبح منها تلك المناهج التي طبقها مصطفى صادق الرافعى وجاد المولى وحسن البنا والمودوسى

والحسن النبوى إلا أن هذا يؤكد صدق ذلك القانون الثابت الذى يحصر الفكر الإسلامى من أي إضافات غير أصلية إليه مما يلعن من عذب التهدى ومهما حاول الاستيهاد والتغريب (إغراق) الفكر الإسلامى في دوامة عاصفة من هذه المذاهب والدعوات والنظريات فإن الفكر الإسلامى يأخذ دائما حاجته وميراه صالحاً لتصحيح مساره ثم يرفض الباقى وينخلص منه .

وقد فشلت التجربة لزام الفكر الغربى الليبرالى وتجاهـ الفكر الماركسي
فبعد أكثر من عشرين عاماً من تجربة الاشتراكى ، وارتفاع مده
حتى ظنـ أنه قد أغرق الفكر الإسلامى ، نجد لفيما من هؤلام الذين كانوا
يتصدرون الدهوة إلى التفسير المادى للتاريخ ونظريات الماركسيـة يعودون
لبعضـ مواقفهم ويلتـمسوا مفهوم الإسلام .

وفي كلـ المرحلتين نجد أنـ الفكر الإسلامى هوـ الحاكمـ المسيطرـ والمصدرـ
الأصلـىـ الذىـ لاـ تـجدـ بـعـثـاتـ المـسـلـمـينـ وـالـعـربـ سـيـلاـ غـيرـهـ وـقـدـ مـرـواـ
بـالـتـجـربـةـ منـ دـيمـوقـراـطـيـةـ الـغـربـ إـلـىـ مـارـكـسـيـةـ الشـرـقـ وـتـبـيـنـ فـشـلـ التـجـربـةـ
بـحـيـثـ لـمـ يـعـدـ أـمـامـ الـعـربـ وـالـمـسـلـمـينـ إـلـاـ مـهـجاـ وـاحـداـ هـوـ مـهـجـومـ
الأـصـلـ .

كـذـلـكـ نـجـدـ أـنـ الـمـحاـولـاتـ الـجـديـدةـ لـتـقـيـيـمـ بـهاـ طـهـ حـسـنـ وـأـمـدـ أـمـينـ
وـجـيدـ الرـحـنـ بـدـوىـ وـرـذـكـ نـجـيبـ مـحـودـ وـغـيرـمـ فـيـ نـطـاقـ المـؤـاـمـرـةـ عـلـىـ الـاسـلـامـ
يـاـ حـيـاءـ الـفـكـرـ الـوـنـىـ وـالـفـلـسـفـىـ وـالـمـعـتـزـلـىـ مـنـ رـكـامـ الـفـكـرـ الـبـشـرـىـ الـقـدـيمـ هـىـ
مـحـاوـلـاتـ فـاـشـلـةـ لـنـ تـحـقـقـ شـيـئـاـ وـأـنـ مـفـهـومـ الـأـصـلـةـ الـاسـلـامـيـ قـادـرـ عـلـىـ تـخـطـيـمـهـاـ
وـكـشـفـ زـيـفـهـاـ وـكـانـ الـانـجـازـاتـ لـتـقـيـيـمـ الـعـامـلـوـنـ فـيـ حـقـلـ الـتـرـاثـ
الـاسـلـامـيـ وـالـتـيـ حلـ لـوـاهـاـ مـصـطـفـىـ جـيدـ الرـازـقـ وـسـارـ بـهـ قـدـمـاـ الـشارـ وـرـزـيانـ
وـالـبـهـىـ وـغـيرـهـاـ قـدـ حـطـمـتـ تـلـكـ الـمـحاـولـةـ لـتـقـيـيـمـ الـاسـلـامـ وـأـرـادـتـ إـلـادـةـ فـرـضـ مـفـهـومـ الـفـلـسـفـةـ
الـاـهـمـيـةـ وـالـكـلـامـ عـلـىـ الـفـكـرـ الـاسـلـامـيـ الـمـدـبـتـ ، وـكـشـفـتـ عـنـ أـنـ الـفـكـرـ

اليوناني لم يكن سليم المصادر وأن اليونان احتقرت التعرّيف وأن المسلمين هم للذين قدموه المنهج التجربى الذى قامت عليه الحضارة الحديثة وأن المسلمين رفضوا منطق أرسطو منذ اليوم الأول وأن مفهوم المقلانبـة الذى قدمه المعتزلة لم يكن سليماً ولم يجد تقبلاً من المسلمين لأنه يتعارض مع مفهوم الإسلام الذى قدمه القرآن الكريم والجامع للقلب وللعقل وعبرة التاريخ كأسلوب المعرفة .

كانتين أن الإسلام فصل تماماً بين مفهومه الأصيل القائم على التوحيد وبين ركام الفكر البشرى القديم الذى يقوم على الوثنية والتعدد والمادبة والإباحية .

ولم يعد فالأمكان لإعادة الربط بين هذا الركام القديم وبين المفهوم الأصيل، كذلك فقد كشفت حركة البقلاة الإسلامية عن عواذير الإمبرانيليات الجديدة والجديدة التى تسررت إلى التفسير وإلى التاريخ عن طريق بعض الأساطير والخرافات ، والسلكون الذين يملكون النص الموثق الذى لا يأتيه الباطن من بين يديه ولا من خلفه ، يجدون المنطق الصحيح لفكرة ، فإنهم يعودون إليه يلتمسون الطريق المستقيم وكلما أزمتهم الأزمات أو أحاطت بهم المؤامرات .

كذلك كشفت حركة البقلاة الإسلامية فساد الفكر الفتوحى والهابئى على السواء ، وما دسته حركة التغريب على تاريخ العرب والإسلام من سخون ، يراد بها إعادة إثارة الخلافات القديمة التى انتهت من قديم ولم يجد لها مكان .

وتبيّن أن محاولة الحديث عن المعتزلة وفكرة أو الفلسفه ودعوهام أو التصوف الفلسفى والقضايا منفصلة عن سياقه التاريخي هو من المؤامرات

الى يراود بها دسم صورة زائفه لمنطلق الفكر الإسلامي ، فلكل قوى هذه الفرق قد ظهرت لبيان المسوأة التي قررتها حركة الترجمة . وإن كل هذه الفرق قد انصهرت في مفهوم الإسلام الجامع ، فقد استصلحتها الفكر الإسلامي وقبل عناصر القوة والمحبوبة منها فيها يتفق مع مفهوم التوحيد ورفض الباطق وكشف ذيفه .

وقد كشفت حركة البقظة الإسلامية اليوم زيف كل حاولات فرض الأساطير أو الوثنيات أو ما يحصل بما يسموه أحكام التحريم الذي كان يعزى إلى اليونان والبابليين وأبانوا رأى الإسلام الذي أبطل صناعة التنجيم وكيف فسادها .

وزيف المفكرون المسلمين الدعوة إلى إحياء وحدة الوجود والحلول والاتحاد وغيرها من الوثنيات الفاسدة بمحدثة في ابن هربى وابن الفارجى والخلاج ، وكشفوا أفساد وجهة هذه الشخصيات وحالتها مع خصوم الإسلام لمهدم الدعوة والأحسنة .

وقد تبين من وراء المؤامرة على الإسلام عثة في إحياء الفكر الباطنى والصيغون الفلسفى والفلقى والمتربى حاولة جديدة لإذابة الإسلام فى الأديان والقضاء على ذاتية الإسلام ونفوذه وطابعه الخاص الذى تميز به بوصفه آخر رسالات السماء وما تحقق له من امتلاك كتابه الموثق وسننه المسجدة غالبا على سكر خبره .

كذلك فقد كان الدفاع عن الفكر الباطنى هو عاولة لاسقاط المحدودة الإسلامية والانتقام الأخلاقى وما يحصل بها من المسؤولية الفردية والجماعية الأخرى لفتح الطريق أمام الآجال للأصول والشوافات .

وما زال المعركة بين الذين يقرضون المؤامرة على الإسلام ، وبين

حركة اليقظة قامة وعند ، ذلك لأن أهل الباطل لا يستسلمون من قرير ،
وعل المثقفين المسلمين أن يكونوا على يقظة دائمة إزاء هذه المؤامرة
المستمرة ، وليس هناك من سبيل إلى المقاومة إلا بالتحاس مفهوم القرآن
والتمسك به والكشف عن صفاء التعاليم الإسلامية في ساحتها وبرها وقرائتها
الأصيلة بعيدة عن الشروح والخلافات المذهبية التي تفسدها ، فعلى الجماعة
الإسلامية أن تعود إلى وحدة الفكر الذي يتحققها لها القرآن الكريم
ولا ريب أن فكرة التحاس المنابع الأصيلة هو من الأهداف التي تعمل
حركة التغريب والغزو الثقافي لصرف المسلمين عنها إلى تلك الخلافات
وال مشاهدات وقد دعاها القرآن إلى التمسك بالأيات المحكمات .

المؤامرة على الاسلام

ان من اخطر التحديات التي تواجه الاسلام في العصر الحديث : ابتعاث الفكر الوثنى والفنوسى القديم الذى كان معروفا قبل ظهور الاسلام فى البيئات الشرقية والغربية على السواء والمذى تشكل فى احياء الفكر المعتزلى والفكى الصوفى الفلسفى والفكر الفلسفى المادى والفكر الشعوبى والباطنى .

تجددت هذه الافكار مرة اخرى فى عصرنا الحديث ووضعت فى صور براقة لخدع شباب الاسلام وتفتح لهم طريقا الى التحلل والفساد والاباحية ولتحطم مقومات الاخلاق وضوابط القيم وحدود الله وقد ظهرت فى ظل هذه الافكار الوثنية الفاسدة القديمة المتجددة مؤامرات القاديانية والبهائية ومحاولات اعادة كتابة تاريخ الاسلام وأحياء دعوات الزنج والقراامطة وأخوان الصفا ودعوات وحدة الوجود والحاول والاتحاد والاشراق كل ذلك تحت اسم تجديد الفكر العربى ومن هنا فقد كان من الضرورى مواجهة (المؤامرة على الاسلام) وكشف هذه السموم ودحض هذه التسbelات الزائفة وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم الاسلامية انتقالا من الفرق الى السنة الجامعة وتحولها من التبعية الى الوفدة الى الاصالة الاسلامية .